٤٧

الكاتب

للثقافة الإنسانية والتقدم

- الطابع الطبقي خلف الدور العاجز للنظام الاردني
- أسباب وأبعاد أزمة منظمة التحرير الفلسطينية.
- في المحتوى الطبقي لبعض جوانب تصور حركة التحرر الفلسطينية
- الخاص والعام في نضال الشعب العربي الفلسطيني
- دراسة لبعض الأوضاع الصحية في الضفة الغربية اضاءة على الحياة الاردنية في فلسطين.
- نظام الخدمة المدنية الاردني، سيف مسلط على اعناق المعلمين.
- "الوحدة الديمقراطية" كيف؟.
- من هم اصحاب اعلانات السينما؟.
- ماذا يعني العودة الى سوفي؟.
- من الطب الشعبي الفلسطيني.

مسارات القوى الوطنية اللبنانية ... مأزق التحالف الامبريالي

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب

لثقافة الانسانية والتقدم

صاحب الامتياز - المحرر المسؤول
أسعد الأسعد
القدس

AL-KATEB

For human culture and progress

Editor – Asa'd AL-asa'd
Jerusalem

P.O. Box 995
Ramallah

رئيس التحرير :
أسعد الأسعد

مدير التحرير :
بسام الصالحي

الاشتراكات :

بالدولار أو ما يعادله عن سنة واحدة

محليا	١٥ دولار
بلدان اخرى	٦٠ دولار
المؤسسات المحلية	٥٠ دولار
المؤسسات في الخارج	١٠٠ دولار

هيئة التحرير

محمد البطراوي جميل السلحوت
محمود الشيخ
صالح زقوت عمر حمش

المسؤول الإداري : يحيى شقير

صف ومونتاج

عبير أبو غوش

ترتيب المواد في هذا العدد يخضع لضرورات فنية

لا ترد المواد لمرسليها إذا لم تنشر.

المراسلات :

الكاتب - ص ب ٩٩٥ رام الله

Digitized by Birzeit University Library

الآداب
العدد (٤٧) السنة (٥) آذار ١٩٨٤ .

كلمتنا

يجب امتلاك عناصر القوة والنصر ٢

سياسة

أحمد الاسعد

- انتصارات القوى الوطنية اللبنانية تعمق مأزق التحالف الامبريالي ٤

صارم حكمت

- الطابع الطبقي خلف الدور العاجز للنظام الاردني ٧

نعيم الاشهب

- أسباب وأبعاد أزمة منظمة التحرير الفلسطينية ١٣

شبير الغاروري

- في المحتوى الطبقي لبعض جوانب قصور حركة التحرر الفلسطينية ١٨

مداخلات

حارم الماسي

نظام الخدمة المدنية الاردني سيف مسلط على أعناق المعلمين ٦٥

علي الجربري

- ماذا تعني العودة الى شوقي"؟ ٧٨

دراسات وابحاث

د. ماهر الشريف

- الخاص والعام في نضال الشعب العربي الفلسطيني جذور الاشكالية نشوء وتبلور الحركة الوطنية العربية الفلسطينية ٣

اتحاد لجان الاغاثة الطبية

- دراسة لبعض الاوضاع الصحية في الضفة الغربية ٤٥

ابراهيم جوهر

- اضاءة على الحياة الادبية في فلسطين ٥٥

مع الكتب

عمر ابو عقاب

- مع جنكيز ايتماتوف في "رحلة على ظهر الحصان جولساري" و"السفينة البيضاء" ٩٥

مقابلات

جميل السلحوت

- لقاء مع الشاعر علي الخليلي ١٠٠

تراث

كايد أبو حشيش

- من الطب الشعبي الفلسطيني ٨٣

قصة

محمد ابو النصر

- الاهتداء ١٠٥

يعقوب اسماعيل

- فتحت الجلسة ١٠٨

شعر

عبد الناصر صالح

- الوقت يبدأ اشكاله ١١٠

سميح فرح

- سيل عيونه ومد ايده بحنونه ١١٢

محمد العراقي

- قصائد عراقية ١١٤

شهريات

حسن صحبي

بالقلم العريض

- من هم اصحاب اعلانات التهنئة ٧٣
- رسائل وردود ١١٦
- اصداء ثقافية ١١٩

متفرقات

- الوحدة الديموقراطية كيف ؟ ٧٠

زكي العيلة

- دعوة سعدي يوسف أو القرز الحقيقي ٧٦

حسن ابراهيم حسربل

- رسالة الى شاعر باق ٩٣

سهاد هاشم

- تانيا الثائرة التي لا تنسى ٨٨
- وفاة الكاتب السوفيتي الشهير ميخائيل شولوخوف ٩٩

يعقوب الصالح

تعقيب ٧٥

Digitized by Birzeit University Library

يجب امتلاك حليفنا

تعود الانتصارات التي حققتها الحركة الوطنية اللبنانية الى مجموعة من العوامل التي ينبغي على حركة التحرر الوطني الفلسطينية امتلاكها لتجاوز التعقيدات الراهنة امامها .

فهذه الانتصارات كانت ثمرة للتحديد الواضح في الاهداف الاستراتيجية التي تمثلت في الغاء اتفاق الاذعان ، وتحرير لبنان والمحافظة على استقلاله ووحدته من كل اشكال التقسيم والسيطرة ، ومنع هيمنة الحزب الواحد على السلطة .

وثمرة للنجاح في توحيد كافة القوى صاحبة المصلحة في هذه الاهداف وبلورة الاطار المناسب لوحدتها فضلا عن الحفاظ على علاقة حية وديموقراطية بين مختلف الاطراف التي تمثل هذه الاهداف داخل جبهة الخلاص او خارجها كحركة امل .

واستفاد هذا التحالف من المرونة في اشكال العمل وحسن الانتقال من شكل لاخر ، والجمع الناجح بين المقاومة الباسلة في الجنوب والاستعدادات العسكرية للقوى الوطنية اللبنانية ، وما يجرى عرضه على طاولة المفاوضات .

وشكّل التنسيق الفعّال ، والتحالف الوثيق بين النظام السورى والحركة الوطنية اللبنانية افضل استثمار للتواجد السورى في لبنان ، ولثقل سوريا العسكرى والسياسي في المنطقة ، بما منع الانفراد بالحركة الوطنية اللبنانية وعزلها او استخدامها في مواجهة مباشرة مع سوريا .

Digitized by Birzeit University Library

عناصر القوة والنصر

كما شكل التحالف الوثيق للحركة الوطنية اللبنانية ولسوريا بالقوى الثورية في المنطقة، وبالحركة الثورية العالمية وعلى رأسها المنظومة الاشتراكية، بزعامة الاتحاد السوفييتي، أكبر كابح لتبريد الروءوس الحامية في واشنطن وتل أبيب .

ان هذه العناصر التي حوّلت النصر الامريكي والغطرسة الاسرائيلية اللامتناهية الى هزائم وتراجعات امام الحركة الوطنية اللبنانية، ليست محرّمة على الحركة الوطنية الفلسطينية بل هي في اشد الحاجة لامتلاكهـــا .

وفي هذا الاطار فان محاولة اعادة العلاقات بين قيادة منظمة التحرير وسوريا الى مسارها الصحيح وتطوير زيارة القدومي لدمشق باعادة اللحمة للعلاقات الفلسطينية الداخلية، وتحسين اساليب التنسيق والعمل الموحّد والخروج بحل مناسب ومشرف للانقسام في منظمة فتح؛ سيكون بادرة مشجعة لاعادة امساك منظمة التحرير الفلسطينية بالحلقات الاساسية على الصعيد الذاتي في هذه المرحلة من مراحل الكفاح الفلسطيني، وللتجاوب مع رغبة القوى الثورية في المنطقة والعالم للمحافظة على المكانة العالمية المرموقة لمنظمة التحرير الفلسطينية .

واذا ما كانت زيارة ملك الاردن الى الولايات المتحدة التي اوضحت حدود الموقف الامريكي المنسجم مع تصورات الحكومة الاسرائيلية كفيلة بنفض الاوهام حول تغير موقف الولايات المتحدة من منظمة التحرير، وعقم الاعتماد على التنسيق الاردني الفلسطيني، فان انتصارات الحركة الوطنية اللبنانية قد أكدت الحقائق في ان النصر حليف التمسك بالاهداف والتحالفات الثورية على المستوى المحلي والعربي والعالمي .

وبغض النظر عن اوهام اللقاءات في الاردن فان المصلحة الحقيقية لمنظمة التحرير الفلسطينية تكمن في تحسين التحالف الفلسطيني، الوطني اللبناني والسوري، وبالثقة بطاقة وامكانات الحلفاء من القوى الثورية العربية والعالمية .

الكاتب

Digitized by Birzeit University Library

انتصارات القوى الوطنية اللبنانية تعني مأزق التحالف الامبريالي

أسعد الأسعد

في تطورات دراماتيكية وسريعة، تتالى الاحداث ولا تزال على الساحة اللبنانية لتعيد تشكيل الخارطة السياسية، بشكل لم يفاجئ غير المغفّلين، وقصيري النظر، والذين لا يفهمون حركة التاريخ، ومسارها الحتمي، الذين اعتقدوا ان الغزو الاسرائيلي للبنان، سوف يعيد رسم خريطة المنطقة بشكل يتناسب ومخططات الحكومة الامريكية، بحيث تخرج منظمة التحرر الفلسطينية من لبنان، وتنسحب سوريا، وتبقى القوات الوطنية اللبنانية وحيدة في الساحة تواجه خياراً واحداً" لا مناص من القبول به، وأعني الاستسلام والرضوخ للامر الواقع وبالتالي تنصيب حكومة تستطيع السيطرة على الوضع القائم هذا، والحفاظ على المصالح المشتركة لكل الجوقة التي "تهز وسطها" على نفس اللحن، وان اختلفت ادوات العزف.

ولاننا لم نعتد ان نأخذ الامور بظواهرها بمعزل عن مدلولاتها وأبعادها، فاننا لا بد أن ندرك ونفهم ما جرى ويجري، حتى نستطيع أن نرسم صورة المستقبل الذي نراه جيداً" وبوضوح تام، رغم المحاولات المستميتة لتعتيم الرؤية، وتغليفها بأوهام المضلّلين اللاهثين وراء فتات الموائد.

Digitized by Birzeit University Library

فحين وقعت حكومة الجميل على اتفاق الاذعان ، اعتقد حكام اسرائيل والبيت الابيض والرجعية العربية ، أن ذلك سيكون آخر المطاف وينتهي الامر بالشكل الذي حلموا به وخططوا له ، وحين نجح ريغان في توريط حلفائه معه في موضوعة قوات حفظ السلام المتعددة الجنسيات ، هلّل حكام اليمين العربي ، اعتقادا منهم بأن صديقهم ريغان قام بالواجب ، وها هو يحميهم ، واذا به عاجز عن حماية جنوده ، مما دفعه الى الانسحاب المبكّر الى عرض البحر ، معترفا بفشله وفشل قواته في حماية النظام الذي نصبوه بغير حق ولا شرعية ، واضطرت باقي القوات الحليفة إلى الانسحاب ، تاركة الجميل ونظامه بدون حراسة مباشرة ، رغم مرابطة البوارج الحربية قبالة الساحل اللبناني ، وقصفها مواقع القوى الوطنية اللبنانية بين الحين والاخر ، في هذا الوقت يطلع علينا بعض المسؤولين الاسرائيليين ، بتصريحات تصب جام غضبها على خطوة ريغان بسحب المارينز من بيروت ، وبردّ فعل عصبي ، تدفع وزارة الدفاع الاسرائيلية الى ارسال رتل من قواتها شمال خط الاوّلي ، باتجاه المواقع التي احتلتها القوى الوطنية ، في حركة استعراضية يائسة ، غير مدركين مخاطر هذه اللعبة الجديدة ، ذلك أن موشيه أرنس نسي أو تناسى ، الدوافع الحقيقية للانسحاب الاسرائيلي الى الاولي والخطط التي تحدث عنها المسؤولون الاسرائيليون قبيل اختتام المعارك الاخيرة والتي تقضي بانسحاب جديد باتجاه نهر الزهراني جنوب صيدا ، من هنا فان الاسباب التي حدت بالقوات الاسرائيلية الى الانسحاب جنوباً ، والابتعاد عن بؤرة الصراع تقليلا للخسائر ، هي نفسها التي حدت بريغان الى سحب قواته بعيداً عن بؤرة الخطر ، حتى لا تتكرر الكارثة فتقع هذه المرة على رأسه لتصيف سببا آخر من الاسباب التي تهدد مستقبله في البيت الابيض .

الذين أعادوا رسم خريطة لبنان ، والذين اجبروا قوات المارينز وحلفائهم على الانسحاب ، فاجأوا الكثيرين ، ولعلهم قرعوا نواقيس الخطر قبل قوات الاوان ، فافاق البعض ، والبعض لا يزال يغط في سبات عميق ، ولن توقظه كل أجراس العالم ، لانه لا يريد أن يفيق .

واذا كانت هناك دروس وعبر من الانتصارات التي حققتها القوى الوطنية اللبنانية ، فهي صحة ما ذهبنا اليه دائما ، من ان التحالف الحقيقي بين كافة القوى الوطنية والتقدمية والتصميم والنضال المثابر بلا كلل هو الضمانة الاكيدة لتحقيق طموحات الشعوب المغلوبة على أمرها ، أما اللهاث وراء سراب كامب ديفيد ومشاريع ريغان وغيره ، فلن يحقق لنا شيئا من حقوقنا الوطنية ، أو من طموحاتنا القومية .

ان حكام اسرائيل رغم فهمهم للعجز الذي حدا بريغان الى الهرب بقواته الى عرض البحر ، فانهم يحاولون تحقيق ما عجزت القوات الامريكية عن تحقيقه من خلال التورط في الحرب الدائرة على الارض اللبنانية ، فقد انسحبت القوات الاسرائيلية الى الاولي ولم

Digitized by Birzeit University Library

تغادره شمالا الا حين شعرت بالخطر الذى يتهدد حلفاءها شمال خط تمركزها ،وان عبّرت هذه الخطوة عن شيء ،فانما تعبر عن المأزق الذى أوقعت الحكومة الاسرائيلية نفسها فيه ، فهي من جهة لا تستطيع الصمت ،والوقوف موقف المتفرج على هدم كل ما بنته القوات الاسرائيلية منذ غزوها للبنان في حزيران عام ١٩٨٢ ،وفي نفس الوقت ،لم تعد تنطلي على أحد من اللبنانيين مقولة انقاذهم من الفلسطينيين وخاصة بعد خروج منظمة التحرير من بيروت ،وبالتالي بدأت تتكشف النوايا الحقيقية للغزو الاسرائيلي ،مما أدى الى تصعيد المقاومة الوطنية ضد القوات الاسرائيلية في جنوب لبنان المحتل .

هذا الوضع شكل ولا يزال عبئا على حكومة اسرائيل ،وهي تدفع ثمنه غاليا كل يوم ، مما سيجبرها على الرحيل هي الاخرى وسحب قواتها ،في القريب العاجل .

ان الانتصارات التي حققتها القوات الوطنية اللبنانية يجب ان تشكل درسا وعبرة ليس فقط لانظمة اليمين المنذبلة ، أو لحكام اسرائيل ،بل يجب ان تكون عبرة للداعين واللاهثين وراء الحلول الواهية ،عبر انظمة كامب ديفيد وبقية الجوقة من أنظمة اليمين العربي ، ولتدرك كل الاطراف المتآمرة على حرية الشعوب واستقلالها ،خطورة هذا التوجه ،وأن لا مناص من الاعتراف بحق الشعوب في الحياة الحرة الكريمة .

Digitized by Birzeit University Library

الطابع الطبقي خلف الدور العاجز للنظام الاردني

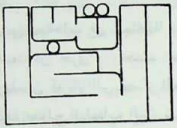

بقلم : صلاح حكمت

تتميز المرحلة الراهنة من الصراع ،بين النظامين العالمين ،الاشتراكي والرأسمالي بالتداخل الحاد في طابع القضايا التي تصادفها.فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية،دخلت الامبريالية في عدد كبير من الازمات الملازمة لطبيعتها ،وفقدت المبادرة التاريخية على الصعيد العالمي،في الوقت الذي حققت فيه البلدان الاشتراكية،وحركة التحرر الوطني العالمية العديد من الانتصارات ،ورسمت بصورة قاطعة طريق المستقبل .

الا ان مجموع الانتصارا ت لصالح حركة التحرر الوطني ،وبلدان المنظومة الاشتراكية، ألجأت الاخيرة الى اجراء تغييرات عديدة في تاكتيكها واشكال استعمارها ،من اجل المحافظة على مواقع نفوذها في اقطار عديدة من العالم .

لقد غدت مختلف العمليات والقضايا المحلية،في خضم هذا الصراع المحتدم،قضايا متشابكة ،لا يمكن لمسارها ان يجرى منعزلا عن ساحة الصراع الرئيسية على المستوى العالمي ويمكن التأكيد بحق على ما ذهب اليه المنظر السوفييتي الراحل" زرادوف "عندما اشار الى "أن من العدل ان يقال عن العالم المعاصر انه "تقلص" تضاءل واصبح عالما "مردحما" . وبالفعل فان تدويل كل ميادين ، الحياة قد بلغ اليوم مستوى اعلى من اى وقت مضى" .

وكما تشكل الاحداث المتفجرة في امريكا اللاتينية،وافريقيا ، برهانا قاطعا على ذلك، فان ما تشهده منطقة الشرق الاوسط يوضح بما لا يدع مجالا للشك سعي الولايات المتحدة الامريكية لتحويل المنطقة الى جزء من سياستها الكونية بالاعتماد بالدرجة الاولى على اسرائيل التي طالبت بعد ابرام اتفاق التحالف الاستراتيجي التزود بصواريخ ببرشنغ ،وتطوير دورهاكقوة نوويّة صغيرة في منطقة الشرق الاوسط.وبالاعتماد كذلك على مجموعة الدول الرجعية العربية التي تؤدى ادوارها المرسومة في اطار الاستراتيجية العامة للامبريالية.

Digitized by Birzeit University Library

لقد ذهبت الولايات المتحدة الامريكية عام ٧٨، الى محاولة تشكيل حلف عسكرى بضم كل من اسرائيل السعودية ومصر وعمان والصومال، وروجت وسائل الاعلام الغربية فى حينه لفكرة تشكيل حلف MEDO في الشرق الاوسط على غرار احلاف السنتو والسياتو، والريوس ..الخ.

وكان يبرر للسياسة الامريكية محاولاتها هذه ما حققته من نجاحات في المنطقة خلال العقد الماضي حيث جرى الاخلال بتوازن القوى لصالحها، بعد ان جرى تجميد عملية الثورة الوطنية في عدد من الاقطار العربية، وفي نقل عدة بلدان كذلك الى معسكر العداء المكشوف لحركة التحرر العربية، وذلك بالاعتماد على طبيعة مصالح الطبقات التي تتولى الحكم في هذه البلدان .

وهي تسعى اليوم لقطف ثمار هذا النجاح باكبر قدر ممكن من السرعة من اجل المحافظة على موطئ قدم ثابتة وللحيلولة دون التأثر والتراجع امام التغيرات المحتملة فى المنطقة.

وتسعى الولايات المتحدة الامريكية للاستفادة من طاقات وامكانات حلفائها، والتنسيق فيما بينهم لتحقيق افضل النتائج، حيث يرتسم الدور الاردني في هذا السياق خلال المرحلة الراهنة باتجاهين :

الاول : تدمير اضخم انجاز حققه الشعب الفلسطيني في تاريخ كفاحه المعاصر وهو انبعاث الشخصية الوطنية المستقلة، وتوطد دور ومكانة منظمة التحرير الفلسطينية، وذلك من خلال الاستفادة من عوامل الضعف الداخلية التي مازالت تعانيها م.ت.ف.

الثاني : اعداد الاردن من اجل تأدية مهام عسكرية تخدم المصالح الامبريالية في منطقة الخليج الغنية بالنفط وذلك ضمن ما اسمي بتشكيل قوة انتشار سريع اردنية .

لقد كان هذان الموضوعان محور المحادثات التي دارت بين الحسين، وريغان ومبارك فى واشنطن، وتمخض عنها مباشرة اعلان اسرائيلي "بالسماح" للاردن بتشكيل قوة التدخل السريـــع .

لقد راهن رجالات النظام الاردني وما زالوا، برغم نتائج زيارة الملك حسين للولايات المتحدة، على نجاح النظام الاردني في تخليص الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة من المعاناة اليومية التي يعيشها، وفي وقف عمليات المصادرة والاستيطان، وفي استرداد الارض.

ويسعى هؤلا عن عمد لتجاهل الطبيعة الطبقية التي يتشكل منها النظام الاردني، وعجزها المشين في الاستقلال عن سياسة الامبريالية فهل يستطيع النظام الاردني في طبيعة تركيبته الراهنة تحقيق الوعود التي يقدمها اصحاب العمود الثامن من جريدة القدس يوميا ؟

ان بحث المصالح الاقتصادية للتحالف الطبقي الحاكم، يشكل الاساس في استجلاء الدور التاريخي الملموس للنظام الاردني في هذه المرحلة .

Digitized by Birzeit University Library

لقد خصت الامبريالية البريطانية الاردن منذ البداية بدور مميز في استراتيجيتها العامة ولهذا* كان الاستعمار يدفع للاردن أكثر مما يأخذ* .واعتمدت في سياستها تجاه الاردن على دعم كبار الملاكين العقاريين الذين كانوا هم انفسهم شيوخ العشائر ،من خلال تقديم المعونات المالية ومن خلال ربطهم بجهاز الدولة والجيش الذى كان ينمو بشكل كبير نظرا للدور المطلوب من هذا الجهاز بصورة خاصـــة .

ومع تطور الاعتماد على جهاز الدولة ،المرتبط بزيادة الانفاق والمساعدات كانت تتكون في قمة هرم السلطة ،البرجوازية البيروقراطية ،وهى التي تضم المجموعة الحاكمة ـ والقيادات البيروقراطية المرتبطة فيها والمهيمنة على مؤسسات الدولة ،فضلا عن جناحها الاخر داخـل الجيش .

وبالاختلاف عن عدد من البلدان العربية المجاورة ،كمصر والعراق التي شهدت نموا للبرجوازية البيروقراطية في مراحل معينة من سيطرة رأسمالية الدولة" وبعد التحول الذى طرأ على شرائح البرجوازية الصغيرة في السلطة والتي لعبت في مراحل معينة ادوارا تقدمية على المستويات الداخلية والخارجية ،فان البرجوازية البيروقراطية في الاردن كانت بنتيجة مباشرة لعملية النفخ المتواصل لجهاز الدولة بالاعتماد منذ البداية على المساعدات الاجنبية ،ولهذا ارتبطت تماما بحجم الزيادة في ميزانية الدولة المعتمدة اساسا على الدعم الخارجي ،مما يفسر اكتفاء كبار الملاكين في بعض الاحيان بالارباح المقدمة نتيجة الدعم دون اللجوء الى زيادة توسيع ملكياتهم او حتى زيادة الاهتمام بها . وانعكس التغير في سياسة الاستعمار الجديد على المستوى الدولي على الدولة الاردنية .لقد اشتملت سياسة الاستعمار الجديد في منتصف الخمسينات وبداية الستينات على "التصدير الواسع لرأسمالية الدولة الاحتكارية الى البلدان النامية" وكما يقول سيمونيا "فانه اصبح من غير الممكن اعتبار مشكلة تصدير الرأسمال بشكل منفصل عن مجرى الصراع العام بين النظامين العالميين ، بين الاشتراكية والرأسمالية لذا فهي تتحدد بشكل اساسي من قبل سياسة الحكومة في الدول الامبريالية وليس فقط من قبل مصالح مجموعات احتكارية معينة" وكانت اشكال التصدير هذه تتم من خلال مساعدات مالية غير مستردة وقروض بشروط سهلة ،او من خلال مساعدات وقروض بشروط تجاريـــة

في هذه المرحلة ايضا ،تغلبت الغايات المرسومة للدور الاردني في استراتيجية الامبريالية على ما يمكن ان يقدمه من فوائد اقتصادية للشركات الاحتكارية في العالم .نظرا لضعف موارده وافتقاره للمصادر الخام او السوق الواسع ،واتجهت المعونات المالية من اجل الحفاظ على النظام الـذى تعرض للعديد من الضربات في اوائل ومنتصف الخمسينات بسبب المقاومة الجماهيرية الواسعة للمعاهدة البريطانية الاردنية وسياسة الاحلاف العسكرية ومن

* بعض قضايا الصراع الاجتماعي في الاردن .

Digitized by Birzeit University Library

،اجل تعريب الجيش مما اسفرت بمجموعها عن تشكيل حكومة سليمان النابلسي الوطنية عام ١٩٥٦.

لقد ادت سياسة الاستعمار الجديد لتوسيع قاعدة التحالف الطبقي الحاكم في الاردن بحيث شمل فضلا عن البرجوازية البيروقراطية وكبار الملاكين والطفيليين تلك الفئة من البرجوازية الوطنية التيارتبطت بتأثير سياسة الاستعمار الجديد الاقتصادية بالشركات الرأسمالية الاجنبية،لا من خلال المشاركة في رأس المال ولكن من خلال رخص الانتاج وتوريد المواد شبه المصنعة للمصانع التي أقامتها برأسمال وطني".*

وفي الواقع فان التطور اللاحق لمختلف فئات البرجوازية المذكورة بغض النظر عن مستوى التفاوت بينها من مرحلة لاخرى ،كان مبنيا على قاعدة التبعية المباشرة للمعونات الاجنبية وتضخيم موازنة الدولة،مما قرر حقيقة هيمنة البرجوازية البيروقراطية المستندة بشكل اساسي على الدولة وبروزها الى مقدمة التحالف الحاكم ومما يهدد باستمرار في حال انعدام الدعم الخارجي،فقدان هذه الفئات لامتيازاتها الطبقيـــة .

لقد كان الهدف من ربط هذه الفئات بهذه الصورة المباشرة ضمان استمرارية التبعية من جانب النظام الاردني للسياسة الامريالية،وهذا ما استوعبته جيدا فئات التحالف الحاكم ،ولا تغيّر مظاهر الانتعاش الاقتصادي التي اصابت الاردن في السنوات العشر الماضية من صحة هـذا الاستنتـــاج .

صحيح أن موازنة الدولة قد ازدادت بوتائر عالية خلال هذه السنوات ،حيث قفزت من ١٠٧ مليون ديناراًعام ٧١،الى ٧٩٥ر٣٧٥ مليون ديناراًعام ٨٣،الا ان هذا التضخم في موازنة الدولة ترافق بزيادة الضرائب وتقليص الضمان الاجتماعي .

وما زالت هذه الموازنة تعتمد بالدرجة الاولى على المساعدات الخارجية،حيث بلغ حجم المساعدات العربية منها ٢١٥ مليون ديناراً،بالاضافة لتغطية نفقات القوات المسلحة ويقدر حجم تحويلات العاملين الاردنيين من الخارج بـ ٢٥٠ مليون دينارا اردنيا سنويا وبالاجمال فقد بلغ العجز الاجمالي بمقارنة الايرادات والقروض في الدولة بـ ٧٣ ، ٣١ مليون دينارا اردنيا للعام ٨٣ .

لقد رافق هذه المرحلة من الانتعاش التي (بدأت بالانكماش خلال السنتين الاخيرتين كما اشارت "الفايننشال تايمز") ازدياد تأثير الفئات الطفيلية،وانتعاش بعض المرافق في الصناعة والزراعة،ولكن دون الابتعاد عن مصالح هذه الفئات وبما لا يضمن تحرر الاقتصاد الاردني من التبعيـــة .

* المصـدر السابـــق .

Digitized by Birzeit University Library

فقد انتعشت الاستثمارات في العقارات والتجارة، وتطورت فئات البرجوازية في الصناعات المعتمدة على الشركات الاجنبية كالادوية والمفروشات وغيرها مما يؤ من الاستهلاك المظهري في الاردن، كما انتعشت بعض المشاريع الاقتصادية المشتركة مع الدولة كالفوسفات، وبينما ازداد استثمار الاراضي الزراعية في الاغوار، فان ذلك لم يعكس خطة زراعية متوافقة مع تدعيم الاقتصاد الوطني، حيث انخفض انتاج المحصول الاساسي من القمح، بينما ازداد على حساب انتاج انواع من المزروعات لاغراض التصدير الخارجي، وبلغ حجم ما رصدته الحكومة الاردنية للزراعة عام ٨٢ مبلغ ٦ر٣١ مليون دينارا اردنيا فقط كان منهم ٢٦ مليون دينارا لسلطة وادي الاردن التي يشرف عليها كبار الملاكين العقاريين.

وبينما ازداد التفاوت الاجتماعي، وازداد الفقراء فقرا، فقد ازدادت التناقضات في اوساط فئات البرجوازية في الاردن، حيث ازداد نشاط الطفيليون والفئات العليا التي تسيطر على المصارف والمؤسسات الكبرى والتي تسعى للتخلص من التبعية للبيروقراطية، الا ان استمرار هذه التناقضات الثانوية لا يتجاوب مع حجم الدور الموحد الذي ينبغي لهذه الفئات الاضطلاع به في هذه المرحلة، ويمكن القول ان اعادة تشكيل البرلمان الاردني وتكوين الحكومة الجديدة في الاردن، كان يرمي فضلا عن اهدافه السياسية اعادة ترتيب عناصر التحالف وتثبيت قاعدته، فقد ازداد تمثيل البرجوازيين من اصل فلسطيني في الحكومة وكان هذا تجاوبا مع ازدياد دور هؤلاء في الحياة الاقتصادية في الاردن، حيث انتقلت اقسام كبيرة منهم للعمل في الاردن وبشكل خاص بعد الازمة اللبنانية وتعزز خلال هذه السنوات اندماج هذه الفئات في اطار التحالف الطبقي الحاكم، ويمكن القول ان خطوة النظام الاردني الاخيرة كانت تسعى لطمأنة هؤلاء في عدم اعادة التمييز الاقليمي الذي لحق بالبرجوازية قبل عام ٦٧، والى ربط مصالحهم بشكل اكثر وثوقا بالسلطة السياسية في الاردن.

كما كانت قرارات الحكومة الجديدة، "باردنة" البنوك ومنح مساعدات مالية لشركات النقل والتصدير التي تضررت من عدم دفع العراق لقيمة الصفقات التجارية وتسديد الديون المترتبة عليه، كمحاولة للتقليل من بعض مظاهر التناقض في صفوف البرجوازية في الاردن.

وبازدياد اندماج فئات البرجوازية الكبيرة فلسطينية الاصل في قاعدة التحالف الحاكم فانها لا تشكل فقط قاعدة للحل الامريكي، حيث تشاركها في هذا اوساط البرجوازية الفلسطينية الكبيرة في المناطق المحتلة وخارجها، وانما تمثل بشكل خاص قاعدة للتصور الاردني في الحل الامريكي. والذي ينادي بارجاع الضفة الغربية، او اجزاء منها في اطار مشروع ريغان للسيادة الاردنية.

ان هذه الاوساط لا ترى في انشاء الدولة المستقلة ضمانا في السيطرة الطبقية نظرا للعديد من التغيرات التي رافقت موقع القوى الطبقية المختلفة في ساحة الكفاح الفلسطيني، فضلا عن عدم حاجتها للتقوقع في سوق محصور في الضفة والقطاع بينما يمكن للاندماج ان يوسع

Digitized by Birzeit University Library

السوق المحلي .

ولهذه الاسباب لا تبدو غريبة سرعة تجاوب العديد من فئات البرجوازية الكبيرة في المناطق المحتلة التي استفادت بالدرجة الاولى من اموال الصمود مع حلفائها في الضفة الشرقية ،وحيث كانت عين النظام الاردني تتطلع اليهم منذ فترة طويلة .

لقد اعتمد النظام الاردني على هذه الفئة من اجل استرجاع نفوذه ومن اجل التعبير عن النظام سياسيا في المناطق المحتلة ،ونتيجة للموءهلات الخاصة التي تكتسبها هذه الفئة على صعيد البرجوازية الكبيرة الفلسطينية نظرا لازدياد الدور العام لساحة المناطق المحتلة ولدور طبقاتها المختلفة ،فان النظام الحاكم في الاردن يعتمد عليها من اجل الضغط وابتزاز منظمة التحرير الفلسطينية ،كما يحضرهافي الوقت ذاتهللخروج على شرعية م.ت.ف.اذا اقتضت الضرورة ذلـــك .

ان ممثلي هذه الفئة في المناطق المحتلة ،يدركون تماما العجز المطبق للنظام الاردني في التأثير على اسرائيل او في استراتيجية الامبريالية في المنطقة ،ولكنهم يستخدمون هذا السلاح امعانا في تضليل الجماهير الفلسطينية ،في المناطق المحتلة ،ومن اجل دفع قيادة م.ت.ف .الى الالتحاق بركب التخاذل والاستسلام ..

الا انهم ينطلقون في موقفهم هذا من زاوية خدمة مصالحهم الانانية الضيقة على حساب الاستقلال الوطني وعلى حساب مصالح كافة الفئات والطبقات الاجتماعية الاخرى .

Digitized by Birzeit University Library

أسباب وأبعاد أزمة منظمة التحرير الفلسطينية

- ظواهر سلبية في توجهات وممارسات القيادة الفلسطينية
- ماذا يعني التعاطي مع الحلول الأميركية ؟

نعيم الأشهب* — براغ

يمكن القول بأن الأزمة التي مر بها منظمة التحرير الفلسطينية هي اخطر واعمق ازمة تتعرض لها منذ قيامها عام ١٩٦٤ . ذلك ان الأزمات السابقة كانت نتيجة هجمات خارجية ، كمذابح ايلول الإسود في الأردن عام ١٩٧٠ ، واحداث عام ١٩٧٦ في لبنان ، واعتداءات الاسرائيليين وغزواتهم على مواقع المقاومة الفلسطينية ، وبرغم الخسائر التي كانت تلحق بالثورة الفلسطينية ، وأيا كانت نتائج اعادة تقييم الموقف ومراجعة اخطاء الماضي وتجاوزاته ، فقد كانت الثورة الفلسطينية تخرج منلاحمة من جديد ، وكان هذا ينعكس على وحدة منظمة التحرير . اما هذه المرة ، فالأمر مختلف تماما ، فالصراع داخلي ، والخطر الجدي يتهدد وجود المنظمة ذاتها .

ومعلوم ان العدوان الاسرائيلي ، المدعوم اميركيا ، في صيف عام ١٩٨٢ قد استهدف ضمن ما استهدف تفكيك حلقات التحالف الثلاثي : السوري ـ الفلسطيني ـ الوطني اللبناني عن بعضها البعض وتناول كل حلقة منها على انفراد ، ولذلك بعد ان اثبتت هذه الجبهة جدواها بعد انتكاسة مصر ، وتحولها الى قوة الصدام الامامية لحركة التحرر العربية في وجه الهجمة الامبريالية ـ الاسرائيلية .

وبعد بيروت ، تركز تكتيك واشنطن ضد الثورة الفلسطينية ، من المواجهة التي بلغت القمة خلال حصار بيروت ـ الى التفجير من الداخل ، وكانت اداة التفجير الرئيسية مشروع ريجان الذي طرحته واشنطن فور مغادرة المقاتلين الفلسطينيين بيروت .

ويمكن القول ان حصيلة حصار بيروت وانعكاساته في اوساط البرجوازية الفلسطينية ، وبخاصة فئاتها العليا ، كان انضاج اليأس لديها من مستقبل قيام الدولة الفلسطينية المستقلة ، في ضوء التقاعس العربي عن نجدة المقاتلين المحاصرين لمدة تقرب من ثلاثة شهور والمصاعب التي تعاظمت ما بعد بيروت . والى جانب ذلك فقد جاء تفاقم اجراءات حكام اسرائيل في الاراضي المحتلة ، من مصادرة الارض وتوزع المستوطنات الكولونيالية والاعتصار الاقتصادي ، وكذلك للتصريحات المتزايدة بالتصميم على عدم ترك الارض الفلسطينية ، ليمارس ضغطا شديدا على هذه الفئات من البرجوازية ولا سيما اقسامها الموجودة في الارض المحتلة . ولذلك ، فقد بدت على استعداد للتعاطي مع مشروع ريغان . وتعبيرا عن هذا التوجه راح بعض ممثلي الفئات البرجوازية في الاراضي المحتلة يرددون شعار : انقاذ ما يمكن انقاذه .

اما فئات هذه البرجوازية الفلسطينية الموجودة في الخارج ، وبخاصة المرتبطة بالبترودولار . فقد ذهبت ابعد من ذلك ، وأشارت من جديد ، قضية اقامة حكومة فلسطينية في المنفى ، لتشكل اداة التعاطي مع

* عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفلسطيني .

Digitized by Birzeit University Library

« الحلول » الاميركية ، بدل اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير التي-لا يمكن تأمين قبولها ، بتركيبتها الحالية ، للقيام بهذا الدور .

وغني عن القول ان التعاطي مع هذه المشاريع يعني ، اولا : التسليم بحصر معالجة القضية الفلسطينية في الاطار الاميركي المطلق ، وثانيا : القبول سلفا بسقف سياسي اقل من الدولة الفلسطينية المستقلة . ذلك ان مشروع ريغان سجل صراحة رفض قيام هذه الدولة ، واتفاقات كامب ديفيد سدت كل امكانية حقيقية امام هذا الهدف .

أما الحصيلة النهائية من التعاطي مع هذه المشاريع فهي تبديد الهوية الفلسطينية .

وهكذا ، فان النتيجة الاساسية التي حققها مشروع ريجان ، والذي يعتبر احد اخبث الفخاخ السياسية الاميركية التي تم طرحها في المنطقة ، هي احداث انقسام واضح في موقف هذه الفئات العليا من البرجوازية الفلسطينية ، فهي من الجانب الواحد ثورية بمقدار ما يتعلق الامر بمعاداة الاحتلال الاسرائيلي ، وهي من الجانب الاخر غدت محافظة بل ورجعية بمقدار ما يتعلق الامر بقيام الدولة الفلسطينية المستقلة .

ان تناقض هذه الفئات العليا من البرجوازية الفلسطينية ، وبخاصة تلك الاقسام الموجودة داخل الاراضي الفلسطينية المحتلة ، مع الاحتلال الاسرائيلي تناقض تناحري ، ناجم قبل كل شيء عن طبيعة هذا الاحتلال نفسه ، من حيث كونه احتلالا استيطانيا كولونياليا ، يستهدف تدمير المجتمع الفلسطيني بمختلف طبقاته ، دون تمييز ، وصولا الى طرد سكان المناطق المحتلة ، اسوة بالذين تم طردهم منذ ١٩٤٨ وحتى اليوم ، ليرث هذا الاحتلال ارضا خالية ، يغرس فيها ، بدل سكانها العرب ، مستوطنين صهاينة . من هنا يمكن القول بأن الموقف العام لهذه الفئات البرجوازية لا يختلف جوهريا عن موقف بقية طبقات وفئات الشعب الفلسطيني من حيث العداء التناحري للاحتلال والطموح للتخلص منه .

اما موقف هذه الفئات من البرجوازية الفلسطينية من مستقبل المناطق الفلسطينية المحتلة ، فقد بقي مهزوزا ، يراوح بين الولاء لحكام الاردن والعودة الى سلطتهم وبين الولاء للدولة الفلسطينية المستقلة . وعندما بدا ان هذه الفئات انحازت الى جانب الدولة المستقلة ، بعد حرب ١٩٧٣ ، ووقوع الاعتراف العربي والدولي بحق الشعب الفلسطيني اقامة دولته المستقلة وبمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا ووحيدا ، اشتدت المنافسة بين النظام الاردني وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية على كسب ولاء هذه الفئات البرجوازية المهزوزة . ويفسر هذا التنافس الكيفية التي كانت تنفق بها قيادة منظمة التحرير اموال الصمود في الاراضي المحتلة ، بحيث تنال هذه الفئات نصيب الاسد على حساب الطبقات الشعبية . واليوم ، اذ يبدو هدف اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة بعيدا ، ويسيطر على هذه الفئات البرجوازية الياس من امكانية تحقيقه ، فانها لا تجد حرجا في التحول نحو العودة للاردن . وهذا هو الافق الذي يطرحه مشروع ريجان امامها بدل الدولة المستقلة . ويمكن القول بأن مصالحها الاقتصادية لا تتضرر من العودة للاردن . كما انها ترى ، من منظورها الطبقي ، أن حل القضية الفلسطينية في الاطار الاردني هو حل « قومي » في اخر الامر ، ذلك ان الاردن بلد عربي ، والامر الاساسي هو التخلص من الاحتلال الاسرائيلي ، الذي يستهدف تهويد الاراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ كذلك .

الالتزام بقرارات المجالس الوطنية

واذ راحت اعراض هذه الحالة من الانفصام والازدواجية تبدو في ممارسات ونشاطات قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، بعد بيروت ، فقد دفع ذلك الى السطح وبحدة التناقض بين قرارات المجالس الوطنية وممارسات هذه القيادة ، وكشف ، بالتالي علة الاستنثار ، في نشاط هذه القيادة . ولم تكن علة الاستنثار تشكل خطرا جديا على القضية الوطنية الفلسطينية عندما كان نشاط هذه القيادة يدور في اطار المصالح الوطنية العليا ، التي تحقق عليها اجماع الشعب الفلسطيني وقواه الوطنية . ومن هنا ، فان احد الضمانات الاساسية ، اليوم ، لحماية القضية الوطنية برمتها من الاهدار ، هي في وضع حد لحالة الاستنثار واستبدالها بقيادة جماعية ، تجسد بحق تشكيلة جبهة وطنية فعلية وليس شكلية . وبهذا ، يتم ، في الوقت نفسه ، حل التناقض بين قرارات المجالس الوطنية وممارسات قيادة منظمة التحرير الفلسطينية .

ان مأساة هذه الفئات من البرجوازية الفلسطينية هي في عدم ادراكها الغرض الاساسي من مشروع ريغان ، وهو نسف الوحدة الوطنية الفلسطينية من داخلها ، ليسهل اجهاض وتصفية الثورة الفلسطينية نهائيا ، في ظروف ما بعد بيروت البالغة التعقيد تماما ، كما كان شأن مبادرة روجرز ، التي طرحتها واشنطن عام ١٩٦٩ وادت الى خلافات مأساوية بين القوى الاساسية المعادية للاحتلال الاسرائيلي ، وبخاصة بين عبد الناصر وحركة المقاومة الفلسطينية ، حيث تحقق في اوج هذا الخلاف

Digitized by Birzeit University Library

تخطيط وتنفيذ مذابح ايلول ١٩٧٠ ، كما يغيب عن بال هذه الفئات من البرجوازية الفلسطينية غياب العناصر الاساسية ، في الوقت الراهن ، للضغط على الولايات المتحدة واسرائيل ، لارغامها على التراجع والتسليم بالحد الادنى من الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . واهم هذه العناصر : وضع دولي يتسم بالانفراج . وليس بالتأزيم المتصاعد ، وميزان قوى ملائم في منطقتنا ، وليس ميزانا مختلا بشكل واضح لصالح التحالف المعادي ، وبخاصة بعد خروج مصر من معسكر حركة التحرر العربية ، وانتكاسة العراق ، وغزو لبنان ، مأخوذ في الحسبان كذلك ان اسرائيل لم تعد مجرد تابع للولايات المتحدة ، وان العلاقات بينهما في حالة ازدهار وتوطد مستمرة ، كما تؤكد اتفاقية التحالف الاستراتيجي بين الطرفين . كما تتجاهل هذه الفئات في حماة احلامها الوردية الواهمة عن آفاق مشروع ريغان انه يدخل العنصر الاردني كمجرد شريك للاحتلال الاسرائيلي في ادارة الاراضي الفلسطينية المحتلة ، وان الهيمنة الاقتصادية وبقاء المستوطنات القائمة ومستقبل هذه المناطق الامني سيبقى - حتى بموجب هذا المشروع - بيد اسرائيل ، مأخوذ في الحسبان كونها الشريك الاخوي . بل يمكن ان تغدو ، صفقة مربية كهذه ، معبرا شرعيا لاسرائيل وبرجوازيتها الى الاردن وبقية العالم العربي .

ان الخاصية الاساسية لحركة التحرر الوطني الفلسطيني يكمن في ان ما حققته على مدى اكثر من خمسة وثلاثين عاما من الصراع الرهيب والتضحيات البالغة السخاء ليس مكسبا ماديا ، بمعنى انها لم تحقق حتى الآن ، وبهذا الثمن الباهظ جدا ، تحرير شبر واحد من الارض الفلسطينية ، بل ان ما حققته ينحصر في مكسب معنوي - سياسي ، وهو ان المجتمع الدولي اعترف ، اخيرا ، لشعبنا الفلسطيني بحق تقرير المصير واقامة دولته الوطنية المستقلة وبمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا ووحيدا لهذا الشعب . ان الاستعداد للتخلي عن حق الدولة الفلسطينية المستقلة ، والقبول بالتعاطي مع حلول دون ذلك ، والتنازل عن تمثيل هذا الشعب وعن منظمة التحرير ، انما هو اجهاض لهذا المكسب المعنوي - السياسي التاريخي وعودة بالقضية الفلسطينية الى المواقع التي كانت عليها عام ١٩٤٨ ، عقب مأساة تشريده وحرمانه من حقه في تقرير المصير واقامة دولته وفقا لقرار الجمعية العمومية للامم المتحدة في ١٩٤٧/١١/٢٩ . وينبغي الانتباه انه مطلوب - بموجب مشروع ريجان - المغامرة سلفا بهذا المكسب المعنوي - السياسي التاريخي ، دون ان تكون هناك اية ضمانة حقيقية بتحقيق - اي من الاهداف الاساسية العادلة للشعب الفلسطيني ، ولا حتى تحرير الاراضي الفلسطينية التي احتلت عام ١٩٦٧ تحريرا حقيقيا .

وقد رصد الحزب الشيوعي الفلسطيني ومنذ وقت مبكر ، بعد بيروت ، عددا من الظواهر السلبية الخطيرة في توجهات وممارسات قيادة منظمة التحرير الفلسطينية التي كونت القناعة حول هذا التحول في موقف هذه القيادة ، من ابرزها :

١) الموقف من العمل المسلح

في الظروف التي تكونت نتيجة الغزو الاسرائيلي للبنان واحتلاله قرابة ثلث اراضيه . وتعدد القوات الاسرائيلية نتيجة ذلك فوق أرض جديدة لم تتأقلم بعد على تضاريسها ، مما يجعل جنود هذه القوات هدفا سهلا لنشاط قوات المقاومة ، وتوفر السلاح الذي كان يملأ لبنان وكل بيت فيه على امتداد سنوات عديدة . وتوفر الخبرة على استعماله بشكل جماهيري . هذه الظروف المواتية جدا لاستنزاف المحتلين الاسرائيليين وتحويلهم الى اسرى احتلالهم بدل العكس ، مما يشكل اداة ضغط سياسية هامة عليهم لارغامهم على التراجع . ويساهم في الوقت نفسه ، في تنشيط المعارضة داخل المجتمع الاسرائيلي لهذا الغزو ولاستمرار احتلال الاراضي اللبنانية والفلسطينية ، فان قيادة منظمة التحرير بدت مترددة في استغلال هذه الظروف المواتية لتصعيد المقاومة ضد المحتلين الاسرائيليين . بل بدت عليها اعراض واضحة للتخلي عن هذا الاسلوب في النضال . انطلاقا من قناعتها الخاطئة بان مغرّكتها قد انتهت في بيروت وان هذه ليست معركتها . ويلاحظ ان السعوديين على وجه الخصوص كانوا يحرضون عنا بعد بيروت قيادة منظمة التحرير لتنفض يدها من اسلوب الكفاح المسلح . وهكذا ، تنتقل هذه القيادة من مقولة كل شيء من فوهة البندقية الى التخلي الكامل عمليا عن البندقية . وقد انعكس هذا التوجه في الاجراءات الادارية التي اتخذتها هذه القيادة باحداث تنقلات وتغييرات اساسية في القيادة العسكرية ، بخاصة في منطقة البقاع . والتي استهدفت استبدال قادة عسكريين وطنيين ومتحمسين لمواصلة المعركة مع الاحتلال الاسرائيلي ، بغض النظر عن مدى نضجهم السياسي ، بآخرين مشبوهين بالفساد والجبن وانعدام الكفاءة .

Digitized by Birzeit University Library

٢) الموقف من الحزب الشيوعي الفلسطيني

لقد كان مجمل نهج هذه القيادة ، ومنذ البدء ، محاولة تحجيم الشيوعيين الفلسطينيين وضرب مواقعهم في اوساط الجماهير الفلسطينية والتمييز ضدهم في اطار مختلف مؤسسات منظمة التحرير ، لكن هذا النهج لم يبرز بمثل الحدة الصارخة كما بعد بيروت . هذا ، في وقت كانت تحاول فيه هذه القيادة ان تحتفظ بعلاقات ودية مع الاحزاب الشيوعية الشقيقة في البلدان العربية والعالم ، للتغطية على هذا النهج ، ولتأمين دعم ومساندة هذه الاحزاب لها .

٣) الموقف من سورية

إن القطيعة والنفور الذي ابدته قيادة منظمة التحرير تجاه سورية ، بعد بيروت لا مبرر له في وقت مضت فيه تعزز علاقاتها بانظمة اليمين والرجعية العربية وعلى رأسها حكام السعودية ، الذين لعبوا دور العراب لنشاط واشنطن خلال العدوان على لبنان وحصار بيروت ، والذين لم يكفوا لحظة واحدة عن محاولة فرض ارادتهم على منظمة التحرير ، وبالتالي : مصادرة استقلالية قرارها الوطني ، ذلك ان سورية هي البلد الوحيد من دول المواجهة التي ما زالت تتخذ موقفا معاديا لمشاريع واشنطن في المنطقة . لقد انعكس هذا الموقف المختل من سورية في جميع ممارسات قيادة منظمة التحرير على النطاق العربي . ولم يكن صدفة ان ثبتت هذه القيادة في البيان الصادر عن الدورة السادسة عشر للمجلس الوطني الفلسطيني انتقادا صريحا لموقف دول جبهة الصمود والتصدي ، في وقت تجاهلت فيه كلية الدور التآمري الخطير الذي لعبته دول اليمين والرجعية العربية خلال غزو لبنان وحصار بيروت . وقد اسهم هذا الموقف المختل في زعزعة التحالف السوري - الفلسطيني في ادق الظروف التي تمر بها المنطقة بشكل عام والقضية الفلسطينية بشكل خاص .

الموقف من مشروع ريجان

لكن هذه الظواهر السلبية الخطيرة في توجهات وممارسات قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، ما بعد بيروت ، لم تكن منفصلة عن موقف هذه القيادة من « الحلول » الاميركية ، بل كانت اعراضا تشير الى التحول في توجه هذه القيادة للتعاطي مع هذه الحلول ، وبخاصة مشروع ريغان . لقد تهربت هذه القيادة ، بعناد ، عن اعلان رفضها لهذا المشروع الذي يستهدف اجهاض وتصفية القضية الفلسطينية ، كقضية تحرر وطني . وحتى في البيان الصادر عن المجلس الوطني الفلسطيني ، وضعت كل ثقلها حتى لا تغلق الباب نهائيا وباحكام في وجه هذا المشروع . وقد جاءت زيارة هذه القيادة للقاهرة والاجتماع برئيس جمهورية مصر ، الملتزم باتفاقات كامب ديفيد والمؤيد لمشروع ريجان نقلة نوعية على طريق التعاطي مع « الحلول » الاميركية ، وفتحت المجال العريض لسلسلة من اعمال الهدم لمنظمة التحرير وشرعيتها ، وكانت باكورة ذلك دعوة حسين مجلس النواب الاردني المجمد منذ عشر سنوات للانعقاد بمن فيهم اولئك الذين كانوا نوابا آنذاك عن الضفة الغربية المحتلة . وفي الحقيقة ، فانه في الوقت الذي انحازت فيه قيادة منظمة التحرير ، نهائيا ، الى جانب الفئات العليا من البرجوازية الفلسطينية ، وراحت تتبنى تصوراتها لمعالجة القضية الفلسطينية ، فقد انفتح الباب لتغيرات في تحالفاتها العربية والدولية . ولا ينحصر الامر ، على النطاق العربي ، في تعزيز علاقاتها بانظمة الرجعية واليمين العربية . فمن الملاحظ ان هناك خلل راح يتفاقم في السنوات الاخيرة ، بين علاقة قيادة منظمة التحرير الفلسطينية بالانظمة العربية وبين العلاقة مع الجماهير العربية العريضة ومنظماتها السياسية لصالح الاولى وعلى حساب العلاقة مع الثانية .

ان الحفاظ على العلاقة الكفاحية بالجماهير العربية العريضة وتعزيز هذه العلاقة ، كان وحده الكفيل بالزام الانظمة العربية باتخاذ مواقف اكثر ايجابية من القضية الفلسطينية . ان هذا النهج المغلوط ، والمرتبط ، علميا ، بسلوكية الدولة البرجوازية لا الثورة ، راحت تنمو اعراضه في السنوات الاخيرة ، وفي ميادين متعددة من نشاط منظمة التحرير وقد ادى ، اي هذا النهج ، بالضرورة مع التوجهات السياسية الجديدة ، لان تجد هذه القيادة نفسها اسيرة الحركة بين المحاور الرجعية واليمينية العربية ، وان لا تجد لنفسها ، بالتالي ، موقعا خارج هذه المحاور المرتبطة آخر الامر بواشنطن ومخططاتها في المنطقة .

فرز وإستقطاب طبقي على الساحة الفلسطينية

وفي تشخيص الحزب الشيوعي الفلسطيني للوضع ما بعد بيروت ، استنتج ، وفي وقت مبكر ، بان الساحة الفلسطينية ستشهد عملية اصطفاف وفرز واسعة وعميقة اكثر من اي وقت مضى ، سياسية وتنظيمية ، وذلك في ضوء المصاعب النوعية ما بعد خروج حركة المقاومة

Digitized by Birzeit University Library

الفلسطينية من لبنان ، حيث كانت تمارس قدرا غير قليل من استقلالية الحركة . وغني عن القول ان هذا الاصطفاف والفرز يجري وسط عالم عربي ، تتفاقم فيه هو الاخر ، عملية فرز واستقطاب طابعها الاساسي

من أهداف مشروع ريجان نسف الوحدة الوطنية الفلسطينية

طبقي ، وذلك في ظروف تعزز هيمنة طريق التطور الرأسمالي في العالم العربي . وبالتالي : فان عناصر عملية الفرز والاستقطاب في الساحة العربية ، وهي في الاساس طبقية . كما اشير اعلاه . تضغط بقوة على الساحة الفلسطينية . حتى قبل ان تنضج هذه الساحة تماما للفرز على هذه القاعدة الطبقية ، في ضوء المرحلة التاريخية التي تمر بها هذه الساحة وبمعنى اخر : اذا كانت اعراض الارهاق والاستعداد للتخلي عن راية النضال الوطني تبدو على البرجوازية الوطنية الفلسطينية ، ولاسيما فئاتها العليا ، حتى قبل انجاز قيام الدولة المستقلة ، فان للمحيط العربي وتناقضاته اثر كبير في ذلك .

وفي هذا السياق لم يكن مستغربا وقوع الاشتباق داخل حركة « فتح » ، اذا اخذنا في الحسبان الطابع العريض والمتنوع لتركيبتها باعتبارها اكبر تنظيم في الساحة الفلسطينية ، وان ما جرى ويجري داخلها هو احد اشكال الاصطفاف والفرز السياسيين المشار اليهما في الساحة الفلسطينية . واذا كان الصراع داخل فتح قد اتخذ هذا الطابع الدموي العنيف اولا ، وامتد خارج منظمة « فتح » ليشمل الساحة الفلسطينية برمتها ثانيا ، فذلك لانه صراع على مركز اتخاذ القرار الفلسطيني ، الذي كانت تستأثر به قيادة « فتح » طيلة الوقت .

واذا كانت نتائج غزو لبنان وخروج حركة المقاومة الفلسطينية من بيروت قد اسفرت عن اشتداد نشاط التيار اليميني المهادن داخل حركة التحرر الوطني الفلسطينية ، فان من نتائج هذا الغزو كذلك تفاقم نشاط تيار التطرف والرفض ، رغم ان سير الاحداث في السنوات الماضية ، وبخاصة منذ مذابح ايلول ١٩٧٠ في الاردن ، قد اضعفه وضيق قاعدته السياسية بين الجماهير الفلسطينية . واذا كانت ابرز تجليات التيار الاول ، ما بعد بيروت هي الركض وراء اوهام الحلول الاميركية ، والمغامرة بشق الوحدة الوطنية ، باهدار المكاسب السياسية الاساسية التي حققها شعب الفلسطيني بنضاله الطويل والعسير ، مما يجعل هذا التيار يمثل ، في هذه المرحلة الخطر الرئيسي على الثورة الفلسطينية من داخلها ، فان التيار الثاني ، بتسعيره للشعارات المتطرفة وممارساته غير المسؤولة وعودته الى التركيز على شعارات التحرير الكامل ورفض مبدا الحل السياسي واستخفافه بمصير منظمة التحرير وموسساتها ، انما يؤدي عمليا الى عزل قضية شعبنا وتجريدها من العطف والاعتراف الواسعين على النطاق الدولي . وبالتالي : اهدار المكاسب السياسية الاساسية التي حققها شعبنا حتى الان وبضرب وتصفية الخط السياسي الواقعي والمسؤول الذي وصلت اليه الثوره الفلسطينية عبر مسيرة طويلة ودامية .

وهكذا ، يكمل هذان التياران المنحرفان داخل الثورة الفلسطينية بعضهما البعض ويغذيان احدهما الاخر . فتيار المهادنة بممارساته يضفي على تيار الرفض مسوح « العفة والطهر الثوريين » بينما تيار الرفض يكسب بممارساته تيار المهادنة صفات الواقعية وروح المسؤولية تجاه معاناة شعبنا التي طالت وتعقدت . ان هذين التيارين البرجوازيين المنحرفين داخل الحركة الوطنية الفلسطينية انما يعكس نشاطهما المتفاقم فقدان الصبر والنزق امام مصاعب المعركة وطول الطريق . وكردود فعل على تفاقم جرائم حكام اسرائيل ومذابحهم المنظمة ضد شعبنا ، وخيانة الرجعية العربية وتواطئها ضد قضية شعبنا الوطنية .

ان الحزب الشيوعي الفلسطيني ادراكا منه لحجم الاخطار التي تهدد منظمة التحرير ، وجودها ووحدتها ، ومصداقية تمثيلها للشعب الفلسطيني ، وبالتالي : للوحدة الوطنية الفلسطينية ، ولمصير القضية الفلسطينية برمتها سيكرس كل طاقاته وجهوده ، بالتعاون مع كل تنظيم او فئة او اشخاص في الساحة الفلسطينية ، للعمل المسؤول للانقاذ الوطني . وذلك من اجل انقاذ الوحدة الوطنية والحفاظ عليها على قاعدة قرارات المجلس الوطني السادس عشر وفي سبيل الاصلاح الديموقراطي : مع الادراك التام بأن هذه المهمة الخطيرة في سباق مع الزمن . ذلك ان كل يوم يمر على استمرار الازمة ، يجعل هذه المهمة اكثر صعوبة وتعقيدا .

وعلى كل حال ، فأيا كانت نتائج هذه الازمة الخطيرة والمصيرية التي تمر بها الثورة الفلسطينية وحركة التحرر الوطني الفلسطينية ، فان حزبنا سيواصل ، بلا كلل ، بل وسيضاعف جهوده ، من اجل مقاومة مشاريع التصفية الاميركية - الصهيونية - الرجعية ، التي تستهدف اهدار حقوق شعبنا الفلسطيني العادلة ، والمعترف بها من المجتمع الدولي ، ولسوف يتعاون ويتضامن مع كل موقف في هذا الاتجاه .

عن مجلة اليسار العربي

Digitized by Birzeit University Library

في المحتوى الطبقي لبعض جوانب قصور حركة التحرر الفلسطينية

بقلم : تيسير العاروري - جامعة بير زيت

يجب ان نحكم على الانسان بتصرفاته ، والتصرفات بنتائجها .

"كراسين"

مدخـل

لقد شهدت السنوات الاخيرة ازدياد ارتباط القضية الفلسطينية بالاوضاع والمتغيرات الدولية ، وازداد التصاقها بالجوانب الاستراتيجية للصراع الطبقي على المستوى الدولي . وبالتالي ضمن القضايا ذات الارتباط المباشر بالحسابات الاستراتيجية في السياسة الدولية .

وقد عكس هذا نفسه من خلال ما قاد اليه توتير الوضع الدولي ، السمة المميزة للسياسة الخارجية لادارة ريغان ، من ازدياد تعقيد القضية الفلسطينية وتوسيع دائرة الصراع والتوتر في المنطقـــة .

كما ان "التطور النوعي في العلاقات القائمة بين الولايات المتحدة واسرائيل ، حيث لم تعد مجرد علاقة تبعية ، خاصة بعد اتفاقية التحالف الاستراتيجي بينهما وكون اسرائيل تمتلك السلاح النووي قد زاد من اخطار تحول الصراع في الشرق الاوسط الى حرب عالمية جديدة . ويربط هذا الوضع قضية الشرق الاوسط أكثر فأكثر بقضية السلام العالمي والدفاع عن الانفـــراج ".

وفي هذه الحقبة التاريخية فان اهم ما يميز الوضع العربي هو الخلل الكبير في ميزان القوى على صعيد المنطقة لمصلحة اليمين العربي والرجعية . وقد باتت هذه المنطقة بمثابة واحدة من ابرز مناطق ضعف الحركة الثورية العالمية ، ولذلك ، ولهذا السبب قبل غيره ،

Digitized by Birzeit University Library

وهو ليس من قبيل الصدفة مطلقا . كانت هذه المنطقة وليس غيرها ، ساحة الهجوم الكبير والمتواصل للامبريالية ـ الامريكية بشكل خاص ، وحلفائها في المنطقة ، اسرائيل والرجعية العربية ـ وذلك لاستغلال الوضع الناشيء .

ومرد ذلك يعود لعدة اسباب اهمها : موقف القيادات السياسية في أكثرية الدول العربية الوطنية المتردد في صراعها مع الامبريالية والقوى الرجعية في المنطقة والمواقف غير الحازمة او المتأرجحة في الصراع ضدها ، والتردد والتأرجح (وصولا الى مناصبة العداء احيانا) في علاقة التحالف مع قوى الثورة العالمية وبشكل خاص مع الاحزاب الشيوعية ومع الاتحاد السوفياتي . وبالتالي فان هذه العلاقة لم تتطور مطلقا لتصل الى المستوى الضروري مستوى التحالف الاستراتيجي ، لاطراف تجمعها عملية ثورية واحـــدة .

يضاف الى ذلك ، تغييب الجماهير الشعبية ، وتنفيس طاقاتها الثورية من خلال فك ارتباطها بالمنجزات الثورية ، وصولا الى الغاء دورها او مشاركتها في اي شيء سوى التصفيق والهتاف وحمل الصور . ولعل ذلك مرتبط بخصوصية انتصارات حركة التحرر العربية في الخمسينات والستينات بالاعتماد الواسع على الجيش والتنظيمات العسكرية والانقلابات ـ بشكل خاص من قبل البرجوازية الصغيرة والمتوسطة ـ بديلا لضعف حركاتها وتنظيماتها السياسية ، وضعف واحيانا غياب الاطر والمنظمات الجماهيرية الفعالة .

اضف الى كل ذلك حرمان الجماهير الشعبية من كافة اشكال الممارسة الديمقراطية ، حرية التنظيم والممارسة السياسية ، والنقابية ، حرية التعبير والرأي ، وافراغ كافة المؤسسات التمثيلية من محتواها الديمقراطي ، وتحويلها الى مجرد اذرع متفرعه عن الجهاز التنفيذي وبشكل خاص عن جهاز أمن النظام .

على خلفية هذا التحديد السريع لطبيعة ارتباط قضيتنا في هذه الحقبة التاريخية بالاوضاع الدولية والعربية ، نبدأ بطرح السؤال التالي :

هل كان قدر ا ان تمنى حركة التحرر الوطني الفلسطينية بكل ما منيت به من خسائر واخفاقات وتراجعات وهزائم احيانا ، بدءا بايلول سنة ١٩٧٠ مرورا باحراج جرش وتل الزعتر والخروج من بيروت وصبرا وشاتيلا واخيرا طرابلس ؟؟

ان نفس هذه الحقبة ، كانت بمثابة حقبة الانتصارات العظيمة لحركات التحرر الوطني في فيتنام ولاوس وكمبوديا واليمن الديمقراطية ، وانغولا وموزامبيق وانيوبيا وغينيا بيساو وجزر الرأس الاخضر وبنين وافغانستان ونيكاراجوا وايران وغيرها . ان هذه الانتصارات والانجازات لحركة التحرر الوطني العالمية لا يضاهيها سواء من حيث الاتساع أو الاثر سوى انتصارات هذه الحركة في اعقاب هزيمة النازية والفاشية وقيام المعسكر الاشتراكي في اواخر الاربعينات وأوائل الخمسينات .

اذن لماذا هزائمنا في حقبة انتصارات الاخرين ؟!

Digitized by Birzeit University Library

هل هو قدر ؟ القدر لا يدخل ضمن دائرة منهج التحليل العلمي ،ولذلك فهو مستثنى.
اذن هل هي الصدفة ؟ الصدفة هي شكل تجلي الضرورة. والضرورة تعبر عن نفسها من خلال الصدفة.وعليه هل كانت هزائمنا ضرورة ؟ واذا كانت حقيقة ضرورة ،ما الذي جعلها كذلك؟ اين هي الاسباب الداخلية المنبثقة من الطبيعة الداخلية لحركتنا الوطنية التحررية ؟
ان التحليل المقارن يمكن ان يقودنا للاجابة على هذه الاسئلة او بعضها .
سنقسم عوامل التشابه والاختلاف الى شقين : موضوعية وذاتية .

الجوانب الموضوعية

١) في كل تلك الامثلة المذكورة ،كان يجري الكفاح ضد عدو مستعمر اجنبي ـ الولايات المتحدة الاميركية ،البرتغال ،انجلترا او فرنسا ،في حين بالنسبة لحركة التحرر الوطني الفلسطينية ،فان الكفاح يجري ضد استعمار استيطاني ،يختلف كيفيا ،من حيث جوهره ، عن الاستعمار الكولونيالي التقليدي .

٢) عنصر الزمن وبعد المسافات وما يرتبط بها من ضرورات انتشار قوات الغزو الاستعماري وما تتطلبه من نفقات وتكلفة هائلة.وعليه فان نقل القوات والتعزيزات من كاليفورنيا الى فيتنام او من لشبونه الى انغولا ليس مثل نقلها من تل أبيب الى رام الله أو من نتانيا الى طولكرم .... الخ

٣) طبيعة التناسب السكاني في منطقة الصراع.فاذا كان الاميركيون اقلية في فيتنام وكذلك البرتغاليون في انغولا والانجليز في الهند ،فان اليهود الاسرائيليين هم الاكثرية (حوالي ٧٠ ٪ من السكان) من مجموع سكان اسرائيل والضفة الغربية وقطاع غزة .

٤) لقد قاتل المقاتل الفيتنامي والانغولي واليمني من على ارض وطنه وبين ظهراني شعبه ، في حين ان القوات الفلسطينية كانت قوات مهجرة ،في الاردن ردحا من الزمن ثم في لبنان وسوريا ومصر والعراق وغيرهـــا .

٥) في كل تلك الامثلة ،كان هناك دولة او اكثر تقوم بدور ظهير الثورة ،دولة تسند الثورة وتحمي ظهرها ،وتستند الثورة اليها ،ولديها الاستعداد لتحمل كافة تبعات العبء الناشئ عن القيام بمثل هذا الدور .

٦) الاعتبارات الدولية ،الاهتمام الخاص الذي اولته وتوليه الامبريالية العالمية ،وبشكل خاص الاميركية ،لاسرائيل .حيث كما اثبتت تجربة العقود الثلاثة الماضية ،بشكل قطعي واضح لا لبس فيه ،ان اهمية اسرائيل الاستراتيجية بالنسبة للامبريالية العالمية قد تفوقت نوعيا حتى عن اهمية فيتنام ،عداك عن انغولا او اثيوبيا او نيكاراجوا ،حيث استطاعت اسرائيل ان تقدم للامبريالية ولقضية الرأسمالية العالمية اكثر بكثير من اعضاء اصيلين في حلف الناتو مثل تركيا او ايطاليا ،بل وحتى في بعض الجوانب اكثر من انجلترا او فرنسا ،كما تشير مقارنة نتائج العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ،والعدوان الاسرائيلي الامبريالي على ثلاث دول عربية عام ١٩٦٧ .

Digitized by Birzeit University Library

العوامل الذاتيـــة

وهي الاهم من وجهة نظرنا وذلك بالارتباط مع القضية قيد البحث في هذه المقالة ـ وليس بمعنى انها الاهم في العملية الثورية او في دياكتيك علاقة الذاتي بالموضوعي ـ وبشكل خاص لانها تتعلق بالذات الفلسطينية، وبالارادة الفلسطينية. وفي هذا الجانب بالذات تستطيع الجماهير الشعبية الفلسطينية ان تجري التغييرات الضرورية لاستمرار الحركة وتطورها لانها ضمن دائرة تأثيرها المباشر، ومن خلالها ، من خلال الجانب الذاتي وبه فقط يمكن للحركة الثورية الفلسطينية ان تؤثر في الجوانب الموضوعية بغرض تغييرها بما يخدم مصلحة الحركة والوصول الى اهدافها باقصر واسرع الطرق .

١ ـ التركيب الطبقي وقيادة الحركة .

لم تكن صدفة ابدا الا بقدر ما هي تعبير عن الضرورة، ان تتميز ثورات حركة التحرر الوطني المنتصرة خلال العقدين الاخيرين عن تلك التي انتصرت في مرحلة سابقة، (اواخر الاربعينات والخمسينات) او قبل الحرب العالمية الثانية، بانها جميعا تقريبا بقيادة الطبقة العاملة او بقيادة ممثلي الطبقة العاملة، حركات سياسية تتبنى الماركسية ـ اللينينية *. ان هذا يعكس روح العصر، يعكس المستوى الجديد لتداخل حركة التحرر الوطني بالتحرر الاجتماعي وتداخل مهمات التحرر الوطني بمهمات التحرر الاجتماعي. وتعكس ايضا المستوى الجديد لتداخل الصراع الوطني من اجل التحرر الوطني وطرد الاستعمار بالصراع ضد الامبريالية العالمية، وضد الرأسمالية العالمية. ويعكس المستوى الجديد الذى تقتضيه الضرورة الموضوعية من التحام وتحالف وانسجام كافة روافد مجرى العملية الثورية الواحدة.

في حين ان الحركة الوطنية الفلسطينية ممثلة في م.ت.ف.، بقيت قيادتها بيد ممثلي البرجوازية الفلسطينية ـ الكبيرة والمتوسطة بالدرجة الاولى وممثلي البرجوازية الصغيرة، ولكن على درجة أقل، ان هذا يعكس نفسه بشكل دقيق في كافة اجهزة ومؤسسات م.ت.ف، وبشكل خاص في اجهزتها القيادية. اللجنة التنفيذية، المجلس المركزي والمجلس الوطني.

وهكذا فان البرجوازية الفلسطينية وبسبب من وضعها الطبقي من جهة، ومن جهة ثانية وضعها السياسي والوطني والقومي والدور المنوط بها القيام به، فهي في وضع متناقض، انها

* ان ايران هي الشذوذ الوحيد عن هذه القاعدة، ولكنها حتى الان لا يمكن اعتمادها بصفتها خروجا اكيدا عن القاعدة المذكورة، وذلك لان العملية الثورية في ايران لا زالت في حالة مخاض وعلى مفترق طرق، ولم تستقر الامور بها بعد. ومن الصعب التصور ان يقود نهج القيادة الايرانية الحالية الى المحافظة على مكتسبات الشعب الايراني وتطويرها .

Digitized by Birzeit University Library

تقود حركة وطنية تناضل ضد الصهيونية وضد الامبريالية، وبالتالي ضد الرأسمالية بالضرورة، وهذا بالمنظور التاريخي والاستراتيجي وبشكل خاص في ظل الواقع الجديد لطبيعة الصراع الطبقي على المستوى العالمي في العقدين الاخيرين، هو نضال ضد الاساس الطبقي الذي تقف هي عليه، انها تسحب البساط (بساط السيطرة الطبقية) من تحت اقدامها ببديلها.

وفي هذا يكمن مفتاح فهم الكثير من المواقف والشعارات والتصريحات و"منهج" العمل. وكذلك التردد والمراوحة وعدم المثابرة وازدواجية المواقف والكثير غيرها.

اضف الى ذلك ارتباطات البرجوازية الفلسطينية، بمختلف اشكال هذه الارتباطات وابعادها ومضامينها السياسية والطبقية والاقتصادية وغيرها، بالبرجوازية العربية ومن خلالها بالانظمة العربية، مع ملاحظة ان الجزء الاوسع نفوذا والاقوى تمثيلا في اجهزة م.ت.ف، هو البرجوازية الفلسطينية المقيم في خارج المناطق المحتلة ـ الضفة الغربية وقطاع غزة، وبشكل خاص في السعودية ودول الخليج والاردن.

وخلال العقدين الماضيين كانت البرجوازية العربية تتجه الى اليمين بوتائر متسارعة ضاعفت منها سياسة التمويل المستندة الى عائدات النفط وغياب مركز الاستقطاب للحركة الثورية العربية الذي كان يقوم به عبد الناصر. وكانت البرجوازية العربية في حركتها المتسارعة نحو اليمين تجر في ذيلها البرجوازية الفلسطينية، (بفعل الروابط الموضوعية). وليس بالضرورة برضاها او موافقتها بل وفي معارضة طموحاتها الروماتيسية احيانا.

من هنا الموقف المتردد غير الحازم، تجاه التصدي للامبريالية الامريكية بشكل خاص، ومشاريعها ومؤامراتها. وتجاه الرجعية العربية وتواطؤها بما في ذلك نظام السادات ونظام خليفته مبـــارك.

في الحديث عن البرجوازية الفلسطينية (الكبيرة والمتوسطة). لا بد من ملاحظة:

أولا: ان اطلاق اصطلاح طبقة عليها بالمفهوم العلمي للطبقة ليس دقيقا (الا اذا كنا نقصد ذلك الجزء المقيم في المناطق المحتلة)، وذلك لانها موزعة في اقطار مختلفة ـ المناطق المحتلة، والاردن والكويت والسعودية ودول الخليج ولبنان وغيرها ـ وبالتالي فان مصالحها ليس بالضرورة ان تكون متماثلة او متطابقة بل وفي بعض الاحيان، يمكن ان تكون مصالحها متناقضة، ذلك تبعا لطبيعة العلاقة بين برجوازيات الاقطار التي تعيش بين ظهرانيهـــا.

ثانيا: ان ولاء هذه الشرائح البرجوازية موزع بين كونها فلسطينية من جهة المنشأ والارتباط النفسي والعاطفي والتاريخي، وبين كونها سعودية او اردنيـــة او كويتيـــة مـــن حيـــث ارتباطاتها الاقتصادية والمعاشية من جهة ثانية، وكلما كان التباعد والتناقض بين الولائين أقل كلما برز أكثر رجحان كفة الولاء للمصلحة الاقتصادية الذاتية، كما هو بارز بالنسبة للبرجوازية الفلسطينية ـ الاردنية (البرجوازية الاردنية من اصل فلسطيني). ولكن في المحصلة النهائية فانها فلسطينية بقدر ما هو رفيق الحريري لبناني.

Digitized by Birzeit University Library

ثالثا : بفعل زيادة دور واهمية المناطق المحتلة في النضال الوطني الفلسطيني ، وبشكل خاص خلال السنوات الاخيرة ، فان الدور النسبي للطبقات المقيمة في هذه المناطق سيزداد تبعا لذلك ، وقد ازداد بالفعل اهمية دور برجوازية المناطق المحتلة (وازداد بالطبع دور الطبقة العاملة) في المناطق المحتلة بشكل ملحوظ بعد خروج المقاومة من بيروت ، ومن المنتظر ان يزداد هذا الدور أكثر وأكثر .

رابعا ان الدور الاخطر واكثر رجعية في هذه المرحلة من النضال الوطني الفلسطيني ، (حيث تتركز المعركة حول الالتفاف على حق الشعب الفلسطيني في الاستقلال الوطني واقامة دولته الوطنية المستقلة وسحب بساط الشرعية ووحدانية التمثيل من تحت اقدام م . ت . ف ، والعودة الى صيغة المملكة المتحدة او حتى صيغة "وحدة الضفتين ، وهذا ما تمهد له اجراءات النظام الاردني الاخيرة) هو الدور الذي يمكن ان تلعبه البرجوازية الفلسطينية ـ الاردنية الكبيرة والى جانبها تلك العناصر من البرجوازية الكبيرة والمتوسطة المرتبطة أو الموالية للنظام الاردني في المناطق المحتلة . اتيا الطابور الخامس للنظام الاردني في الجبهة الفلسطينية . وهي الجسر الذي سيعبر عليه الملك حسين الى الضفة الغربية او بعض اجزائها ، اذا ما قدر له في يوم من الايام ان يعبر اليها .

٢ ـ سياسة تمويل حركة التحرر الفلسطينية .

بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ ، وعلى اثر النهوض العارم لحركة المقاومة الفلسطينية في اعوام ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩ ، واكتسابها لمصداقية عظيمة ليس في اعين جماهير الشعب الفلسطيني في مختلف مواقع شتاته ، بل وكذلك في اعين الجماهير الشعبية العربية حيث كانت تحمل لهذه الجماهير الامل وتشير الى طريق ازالة اثم وآثار هزيمة الانظمة العربية ، مقاومة المعتدي والتصدي له والصمود في وجهه لا التراجع والتخاذل امامه والسعي للتعايش معه . على اثر كل ذلك ، بدأت الدول العربية الغنية ، وبشكل خاص السعودية ودول الخليج العربي ، بتقديم مساعدات مالية ضخمة لحركة المقاومة الفلسطينية ، وقدمت تسهيلات كبيرة لـ م . ت . ف . لتنظيم عملية جباية الاموال والتبرعات من المغتربين الفلسطينيين في هذه الدول من خلال تبني هذه الدول لنظام خصم ٥٪ من رواتب كافة العاملين الفلسطينيين بشكل تلقائي وتحويلها الى الصندوق القومي الفلسطيني .

ان الاغداق المالي لهذه الدول على الحركة الفلسطينية ، كان دائما ، ولا عجب ، مثار انتباه وتساؤل خاصة وان ليس لهذه الظاهرة من مثيل في تاريخ الحركة الثورية العالمية . على العكس تماما ، فان الغالبية الساحقة ، ان لم تكن كافة ثورات التحرر الوطني كانت تعاني اشد المعاناة من نقص امكانياتها المالية والمادية . وكثيرا ما كانت تساق تبريرات وتفسيرات لا تصمد للمحاججة الجادة او العلمية . كأن يقال بان هذه الاموال تقدم تحت ضغط عامل التضامن القومي العربي ، أو ان هذه الانظمة تريد ان تكسب ود حركة المقاومة الفلسطينية ،

Digitized by Birzeit University Library

او أن تريد كسب بعض المصداقية ،او خوفا من غضب الجالية الفلسطينية المقيمة في ذلك البلد ،او لتفادي ان تقوم م.ت.ف ،بتحريض هذه الجاليات ضد هذه الانظمة ،خاصة واسها انظمة ضعيفة في غالبيتها .. الى آخر هذه القائمة الطويلة من المبررات .

ان هذه الظاهرة ،وان كانت غير واضحة المعالم تماما في السنوات الاولى ،الا انها سرعان ما بدأت تتضح وبالاساس من خلال نتائجها العملية واثرها في الحركة ومسارها ونهجها .

ان الجرم بان هذه الظاهرة كانت سياسة مبرمجة ،ذات اهداف محددة من وضع وتخطيط الدوائر الامبريالية والصهيونية لتنفذها هذه الانظمة العربية ـ وليس بالضرورة عن معرفة وعي ـ ليس من قبيل تحميل الظواهر من التفسيرات او المضامين أكثر مما تحتمل . أو لم يعد في ظل الملبارات النفطية طريق قتل الانسان بالتخمة ،اخطر واشد فعالية من طريق قتله بالتجويع ،كونه اسهل واسرع .

ان هذا الاختيار لطريق القتل ،لا يعني ان الامبريالية اصبحت اكثر تحضرا ورحمة تجاه حركات التحرر الوطني ولذلك فهي تريد استبدال مقصلة القرون الوسطى بالكرسي الكهربائي وانما لان الخيار الاخر ،القتل بالتجويع ،قد سقط من سلة الخيارات بفعل وجود المعسكر الاشتراكي والاتحاد السوفياتي بامكانياته العظيمة واستعداده الدائم لمساعدة ودعم الحركات الثورية وثورات التحرر الوطني بمختلف الاشكال ووفق حاجاتها .

ان مضمون هذه السياسة كان ولا زال اغراق الحركة بالاموال وتفريغ "جهدها" الثورى ، قتل مرونتها الثورية ،المتمثل في سرعة الحركة وسرعة الاستجابة للفعل ورد الفعل ،والمقدرة على العمل في مختلف الظروف واتقان مختلف اشكال النضال والتكتيكات وسرعة التقدم والتراجع .. الخ ،واستبدالها بترهل اجهزة الحكم البيروقراطية المتضخمة البليده ،البطيئة الحركة ، الغارقة في الملفات والسجلات والورق ،والتقارير ،حيث يستبدل الهواء النقي في الحقول والخنادق والقواعد وخط المواجهة ،الكفيل بقتل الجراثيم والطفيليات في الجسم في مراحل ظهورها الاولى ،باجواء الهواء الفاسد المشبع بالدخان في الغرف المغلقة من المكاتب القابعة في الطوابق العليا في غابة البنايات الكبيرة حيث الاجواء المناسبة لنمو وتكاثر المنتفعين والطفيليين والانتهازيين والمتسلقين ... الخ .وحيث تغيب أهداف الحركة عن الاعين ليحل محلها هدف اساسي ،هو المحافظة على المؤسسة ،على الذات وتحسين وضعهـــا .

ان هذه السياسة تودى بالحركة ـ بالضرورة ـ الى وضع تتضخم معه الاجهزة البيروقراطية والنفقات لتصل الى مئات او حتى الاف الملايين من الدولارات ،التي لا يمكن تأمينها الا من الدول العربية الغنية وبالتحديد من البترو دولار .ولا شك بان المحافظة على "حنفية" البترو ريال مفتوحة يقتضي عدم اغضاب او ازعاج اليد القابضة عليها وسرعة الاستجابة لتلميحاتها ،وليس عبثا قيل "من يدفع القرش يطلب الموسيقى" .

Digitized by Birzeit University Library

٣ ـ الموقف من الجماهير والمنظمات الجماهيريـــة .

ان من اولى نتائج سياسة الاغراق المالي السابقة الذكر، ومن اخطرها، هو تغير موقف الحركة تجاه الجماهير. فالحركة التي تعيش بين الجماهير، تشعر كل لحظة باهمية علاقتها الحية بالجماهير ومدى حيوية احتضان الجماهير لها ودعمها. وبالتالي تحرص على سبل الابقاء على هذه الصلات والروابط بالجماهير وتطويرها، من خلال تأطير حركة الجماهير وتفعيلها عن طريق تطوير واستحداث اشكال جديدة لتنظيم واستيعاب طاقات الجماهير وشحذ كفاحيتها والارتقاء بها ومعها من ملكوت العفوية الى ملكوت الوعي .

ولعل من ابرز ملامح انحازات الحركة الوطنية في المناطق المحتلة، وفي الضفة الغربية بشكل خاص، تلك العلاقة الراقية التي طورتها مع الجماهير الشعبية واطرتها في اطر متعددة ومتباينة، نمت وتضجت على شجرة الحياة، مختبر الثورة والثوريين، وخاضت معها وبها معارك نضالية سياسية هامة من امثال معركة كامب ديفيد والحكم الذاتي والادارة المدنية وغيرها الكثيـــر .

ان سياسة الاغراق المالي افرزت من البيروقراطيين من لا يختلفون مطلقا في نظرتهم للجماهير والعلاقة معها والخوف منها ومن مبادراتها الثورية واستقلاليها النسبي عن صنوهم في الاجهزة البيروقراطية للانظمة العربية، واخذت تقلدها، وكما ان وزير الشؤون الاجتماعية في الاردن أو العراق او غيره يستطيع بقرار وبعض الاموال ان "يقيم "اتحادا للمرأة" واتحادا للشباب" و ... الخ، ووزير العمل بنفس الاسلوب يستطيع ان يقيم "النقابة" الفلانية او ان يأمر بحل اتحاد النقابات وان يعين تشكيلة بعد "اجراءات وتحضيرات ملائمة" بمساعدة الامن العام والمخابرات وبعض الاموال، فان صنوهما في الهرم البيروقراطي الفلسطيني مارسا نفس الاساليب ولكن بنجاح اكبر بفضل المصداقية الوطنية التي يستمدانها من كونهما ينتميان الى حركة تخوض معركة تحرر وطني .

وكانت نتيجة مثل هذه الجهود خلال السنوات الثلاث الماضية، على وجه الخصوص، ايقاع اضرار في الحركة الجماهيرية ومنظماتها وبالتالي في الحركة الوطنية نفسها وفعاليتها الكفاحية فاقت بمئات المرات الضرر الذي اوقعه بها الاحتلال. فاغرقتها في بحر الانقسامات (اصبح هناك اربع نسخ من كل منظمة) والصراعات الداخلية والتمزق وحولت القسم الاكبر منها الى مجرد اسم وختم. وكونها لا تلزم الا لوضع اعلان تأييد او استنكار او تعزية او تهنئة في جريدة عندما يطلب منها ذلك، فلا حاجة للجماهير الحقيقية، حيث يكفي بضع اسماء لتسمية هيئة ادارية، ولا مانع ان تتكرر نفس الاسماء، ولكن بتراكيب مختلفة في عدة هيئات ادارية، خاصة اذا "عزت" الاسماء وفاضت الاموال واقتضت ضرورات التعليمات والمراسيل اقامة العديد من هذه النقابات واللجان والاتحادات والنوادي الصورية .

Digitized by Birzeit University Library

وقد فتح هذا النهج الطريق رحبا امام الوصوليين والباحثين عن الثراء السريع والكسب غير المشروع وبثوب "مناضلين وطنيين" .ومظاهر ذلك لا يحتاج الانسان لبذل اى جهد للبحث عنها فهي تطل علىه في كل لحظة من خلال صوت ابواق السيارات الفاخرة الجديدة ومن شرفات الفيلات التي اخذت في الانتشار مثل الفطر في يوم دافيء مشمس بعد ايام من المطر العزيـــر .

٤ ـ التحالفـات .

ان من بدهيات النضال التحررى الوطني ،السعي لتشكيل اوسع ائتلاف جبهوى ممكن وحيث ان كافة الفئات والطبقات الاجتماعية لها مصلحة اكيدة في النضال ضد المستعمر الاجنبي (باستثناء قلة من العناصر والافراد او المجموعات المرتبطة بالاحتلال الاجنبي ، وهي في الغالب لا تشكل طبقة او فئة اجتماعية) فانه يكون لزاما على قيادة حركة التحرر العمل الدؤوب للاستفادة من كل طاقات الشعب بكل طبقاته وفئاته وذلك بجمعها حول برنامج للحد الادنى ،يكون قاسما مشتركا لاهدافها المرحلية ،ضمن ائتلاف جبهوى عريض.وهذا يتطلب بالضرورة نبذ روح الهيمنة ،ومحاولات فرض برنامج سياسي لفصيل معين على فصائل اخرى او على الحركة بمجملها ،وسيادة الممارسة والعلاقة الديمقراطية ونبذ العصبوية العمياء سواء في العلاقة بين مختلف فصائل الحركة او بينها وبين الجماهير الشعبية .

ان التحالف لا يعني مطلقا انتفاء اى مظهر من مظاهر الخلاف او التناقض بين الحلفاء ، ولكن يجب ان لا يغيب عن البال ولو للحظة واحدة ان مثل هذه التناقضات في صفوف الحلفاء يجب التعامل معها بصفتها ثانوية وغير تناحرية بالمقارنة مع التناقض الرئيسي التناحرى مع العدو المشترك ،ولا يعني تكريس وضع معين ثابت او موازين قوى محددة ضمن التحالف ،وذلك ببساطة لانه تحالف قوى في حالة حركة وتغير مستمرين .ويكون التحالف اكثر قوة واتزانا بقدر ما يعكس موازين وعلاقات القوى التي تشكل التحالف ،وهذا لا يمكن ان يتم الا بسيادة الديمقراطية في التحالف ،وهي شرط ضرورى وكاف لان يعكس التحالف باستمرار موازين وعلاقات القوى المتغيرة وبالتالي يبقى التحالف متزنا ومتينا .

هذا على النطاق الداخلي ،اما على نطاق التحالفات الخارجية ،فالامر ـ نظريا على الاقل ـ يبدو في غاية البداهة والبساطة ،حيث لاحليف لحركة ثورية سوى قوى الثورة العالمية ـ حركة التحرر الوطني العالمية ،وحركة الطبقة العاملة في الدول الرأسمالية ،ودول المنظومة الاشتراكية ،وفي مقدمتها الاتحاد السوفياتي .

Digitized by Birzeit University Library

أين حركتنا ـ حركة التحرر الفلسطيني ـ من كل ذلك ؟

أولا : على النطاق الداخلي

ان م.ت.ف ،لم تستطع ان ترتقي لتكون الاطار الملائم لاوسع جبهة وطنية متحدة، (وان كان ولا زال بمقدورها من حيث المبدأ ،ان ترتقي لتكون ذلك الاطار) وتتحمل البرجوازية الفلسطينية مسؤولية ذلك كاملة.، (كما كانت هي المسؤولة عن فشل تجربة الجبهة الوطنية الفلسطينية في المناطق المحتلة وفشل محاولات احيائها من جديد) . وذلك لانها من جهة تنفرد بالقيادة الفعلية لـ م.ت.ف ،وتمارس الهيمنة والتفرد وتحول دون تمثيل القوى بما يتناسب ومساهمتها في النضال الوطني وتمارس التمييز ضد بعض الفصائل وبشكل خاص ضد الشيوعيين . وباختصار لانها ،اي البرجوازية ،هي المسؤولة عن تغييب اسس التحالف الوطني العريض والديمقراطي .

ان هذا هو احد الاسباب الرئيسية المسؤولة عن حالة التمزق والصراعات الجانبية التي ترتقي بين حين وآخر الى مرتبة التناقض الرئيسي ـ عن غير حق ـ سواء في خارج المناطق المحتلة او في داخلها .

ثانيا : على النطاق العربي

ان حركة التحرر الفلسطينية ،جزء لا يتجزأ من حركة التحرر الوطني العربية. وبهذا يجب ان تكون بوصلة تحالفات م.ت.ف ، العربية ومعيارها هو المصلحة المشتركة للطرفين ـ مصلحة النضال الوطني الفلسطيني ومصلحة نضال الحركة الوطنية في القطر العربي المعين .

ان هذا التحديد ،يجب ان لا يقود بالطبع الى التطرف في تفسير ذلك باتجاه مطالبة م.ت.ف. بقطع كافة علاقاتها بالانظمة العربية الرجعية او اليمينية ،من منطلق ان مثل هذه العلاقة قد تمس بمصلحة القوى الوطنية في ذلك البلد. حيث ان في ذلك تبسيط ميتافيزيقي لعلاقة اكثر تعقيدا وعمقا وتشابكا. وفي مقدمة ذلك ان القضية الفلسطينية قد تكرست تاريخيا بصفتها قضية قومية لا يستطيع اي نظام عربي مهما كانت صفته التحلل منها .كما ان قرابة ٧٠٪ من الشعب الفلسطيني لا يعيشون الان فوق الثرى الفلسطيني ،بل في الدول العربية ،المجاورة منها بشكل خاص، وكذلك الحال بالنسبة لقيادة م.ت.ف ،واجهزتها ومؤسساتها ،ان كل ذلك ،وكثير غيره يفرض على م.ت.ف. بالضرورة ان تقيم علاقات معينة مع الانظمة العربية ولكن وفي نفس الوقت ليس بالضرورة ان تكون مثل هذه العلاقة في تعارض مع مصلحة الحركة الوطنية في ذلك البلد وعلى حسابها .

Digitized by Birzeit University Library

ان م.ت.ف وللاسف الشديد ،وبفعل التركيبة الطبقية لمراكز اتخاذ القرار فيها من جهة واعتمادها المتزايد على الاموال العربية ،وبشكل خاص من الدول العربية الرجعية من جهة اخرى الى جانب انغماسها اكثر واكثر فيما نفرضه بروتوكولات العلاقات الدبلوماسية والزيارات والمحادثات الرسمية ،والاستقبالات والسجاد الاحمر والعناق والقبل.والنقاط الصور التذكارية الى جانب الملوك والرؤساء العرب ،بكل ما لذلك من اثر نفسي سلبي على الجماهير العربية ،بفعل هذه الاسباب وغيرها لم تراع م.ت.ف ،بدقة معادلة العلاقة الدقيقة بالشعوب العربية وحركتها التحررية من جهة وبالانظمة العربية من جهة اخرى.بحيث لا يكون للعلاقة بهذه الاجهزة آثار سلبية على رسوخ علاقة التحالف بالحركة الثورية العربية بل بالعكس توطيدها

ان هذا الخلل ،فعل فعله التراكمي بسبب من طول هذه الحقبة التاريخية وبسبب استغلال اجهزة الدعاية والاعلام الرجعية له اسوأ استغلال ،بحيث كان يضعف ،بشكل ملموس ومتواصل ،تضامن الشعوب العربية وحركتها الثورية مع نضال الشعب الفلسطيني.وهذا ما تشير اليه بوضوح مقارنة مواقف الجماهير العربية ابان عدوان ١٩٦٧ ،مذابح ايلول سنة ١٩٧٠ تل الزعتر سنة ١٩٧٦ ،واخيرا حصار بيروت والخروج منها ومذابح صبرا وشاتيلا سنة ١٩٨٢.

ثالثا : على النطاق الدولـي

لقد امتازت حركة التحرر الفلسطينية عن العديد من حركات التحرر الوطني في البلدان الاخرى بنشاطها وعلاقاتها الدولية الواسعة.وبسبب من خصوصية القضية الفلسطينية وطبيعة عدو الشعب الفلسطيني المباشر ،اسرائيل والصهيونية بمؤسساتها المتعددة ذات الامتداد والتفرع والتأثير الواسع على النطاق الدولي ،مما اتاح لها خلال الفترات الزمنية السابقة ان تقوم بعمليات تضليل بعيدة الاثر في الرأي العالمي ،ان هذا فرض على الحركة الفلسطينية ان يكون من ضمن اهتماماتها الاولية ،العمل على الجبهة الدولية ،دبلوماسيا واعلاميا وغيره.ومما لا شك فيه ،ان م.ت.ف ،وبمساعدة حلفائها ـ الحركة الثورية العالمية ، وبشكل خاص الاحزاب الشيوعية ،قد حققت نجاحا ملموسا على هذا النطاق .

ومع ذلك يبقى السؤال قائما ،هل استطاعت حركتنا ان ترتقي في تحالفاتها الدولية الى افضل مستوى يخدم تقدم حركتنا وانتصارها ؟ هل وثقت علاقاتها بحلفائها بشكل راسخ ومتين ،بثبات ولا تردد ؟ ما مدى مراعاتها لاهمية انسجام مواقفها وسياستها وشعاراتها ومواقف وسياسة وشعارات حلفائها الدوليين ـ الحركة الثورية العالمية ؟ وهل قطعت كل الحبوط بالامبريالية وبالقوى الدولية الرجعية وتقف منها موقفا حازما بلا مهادنة ؟

ان الامور هنا ايضا ليست على ما يرام ،وهو ما لا يمكن فصله عن جذوره الطبقية .

Digitized by Birzeit University Library

الخلاصـــة

ان ما قدمناه من تحليل لبعض الجوانب الذاتية لحركة التحرر الفلسطينية ـ تقول بعض لانه ما زال هناك الكثير من الجوانب التي لم يسعفنا المجال لتناولها ـ يشير الى ان هناك الكثير الكثير مما يمكن وما يجب عمله لكي تتمكن الحركة من تصليب عودها وتجديد نفسها وقطع الشوط حتى نهايته، وبهذا الخصوص لا أجد أفضل من اقتباس مما كتبه ابو اياد (صلاح خلف) في نهاية كتابه "فلسطيني بلا هوية" منذ أكثر من اربع سنوات :

.... ان ما اوردناه وما اسلفناه لا يبعث على التفاؤل. وبقينا ان دوري كقائد ثورة هو ان أبث الامل واعرر مواعث شعبنا على مواصلة المعركة. الا ان واجبي الى ذلك هو عدم خداعه، وتغذيته بالاوهام التي يفوق خطرها خطر خيبات الامل الموجعة. وانا أقولها صراحة. اني لا اعتقد ان حيلي سيحظى بفرحة رؤية ولادة دولة مستقلة حتى على حزء متناهي الصغر من فلسطين ... .

وبطبيعة الحال، فانه ليس ثمة امر محتوم مسبق. فهناك من التقلبات والمتغيرات في الظرف الدولي وفي ظرف المنطقة ما أكثر مما يمكننا من التنبوء بالمستقبل. ولكني اتمنى ان تكذب الاحداث تشاؤمي على المدى القصير او المتوسط. واذا كنت لا استثني امكان انتصار قريب الا انني لا استبعد فرضية حدوث كارثة ايضا. عندئذ تشل او تدمر حركتنا وتلك لن تكون اول مرة ولا آخر مرة تنجح القوى الرجعية الحاقدة في اجهاض ثورة .

غير ان شعبنا سيلد ثورة جديدة وينجب حركة اعظم بأسا من حركتنا وقادة اكثر دراية وتجربة وأشد خطرا ـ من ثم ـ على الصهاينة. فارادة الفلسطينيين التي لا ترد في مواصلة المعركة كائنا ما كانت الظروف، هي حقيقة لا تأتيها الريبة من بين يديها ولا من خلفها. بل انها ارادة تعليها طبيعة الاشياء. ونحن عازمون على البقاء كشعب وسيكون لنا ذات يوم ـ وطـــن "

Digitized by Birzeit University Library

الخاص والعام في نضال الشعب العربي الفلسطيني

جذر الاشكالية: نشوء وتبلور الحركة الوطنية العربية الفلسطينية

د. ماهر الشريف * - دمشق

نشأت القضية الفلسطينية ، كقضية وطنية تحررية ، في مطلع عشرينات هذا القرن بعد احتلال بريطانيا لفلسطين وتمهدها بتوفير الظروف المناسبة لاقامة « الوطن القومي اليهودي »، وإثر ولادة حركة وطنية عربية جسدت مقاومة الشعب العربي الفلسطيني للمشروع الامبريالي - الصهيوني . ومنذ ظهورها ، ارتبطت القضية الفلسطينية إرتباطاً وثيقاً بالمسألة القومية العربية التي برزت بعد قيام الدول الامبريالية ، وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا ، باحتلال المشرق العربي وتمزيق أوصاله والحيلولة دون تمكن شعوبه من تحقيق وحدتها القومية . وبات للقضية الفلسطينية بالتالي بعدان : بعد وطني « خاص » وبعد قومي « عام ». وفي هذا لم تختلف قضية الشعب العربي الفلسطيني عن غيرها من القضايا الوطنية التحررية التي جابهتها ، في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، الشعوب العربية كالشعب السوري أو العراقي أو اللبناني .

إن خصوصية قضية الشعب العربي الفلسطيني قد كمنت ، في الموقع المتميز الذي احتله « الخاص » في إطار النضال التحرري الفلسطيني . فالقضية الفلسطينية لم تنشأ فقط كنتيجة للصراع بين الامبريالية من جهة والحركة الوطنية العربية من جهة ثانية ، وإنما نشأت ، وكما يقول أميل توما ، نتيجة للصراع الذي إندلع فوق الأرض الفلسطينية بين

* عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني

Digitized by Birzeit University Library

ثلاث قوى : الامبريالية البريطانية ، والحركة الصهيونية من جانب والحركة الوطنية العربية الفلسطينية من جانب آخر . من هنا ، يمكننا القول بأن الشعب العربي الفلسطيني لم يتصد لمشروع امبريالي « بسيط » كان يهدف إلى بسط سيطرته على فلسطين واستغلال سكانها ، بل تصدى لمشروع امبريالي ـ صهيوني « مركب » إستهدف بالتوازي مع بسط السيطرة والاستغلال ، إقتلاع الشعب الفلسطيني من أرضه وإقامة « شعب » آخر غريب في مكانه .

تحورت أشكالية القضية الفلسطينية ، وعلى مدى العقود الستة الفائتة ، حول طبيعة العلاقة بين بعديها الخاص والعام . ففي قلب النضال التحرري الفلسطيني ، كان هذان العاملان موجودين دوماً في وحدة عضوية وبينهما تأثير متبادل . ويكفينا للتأكيد على هذه الحقيقة إسترجاع الشعارين الرئيسيين الذين طرحا في المرحلة التي سبقت هزيمة حزيران عشية ظهور حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة وهما : « الطريق إلى فلسطين يمر عبر الوحدة العربية » و « الطريق إلى الوحدة العربية يمر عبر تحرير فلسطين » .

لقد أثبتت التجربة الكفاحية الطويلة للشعب العربي الفلسطيني بأن تجاوز التراتب الجدلي بين هذين البعدين من خلال تغليب أحدهما على حساب الآخر كان يلحق أضراراً فادحة بالقضية الفلسطينية . فالتركيز فقط على البعد القومي « العام » للقضية الفلسطينية قد أدى ، في أحيان كثيرة ، إلى السطو على استقلالية القرار الوطني الفلسطيني وفرض الوصاية على الحركة الوطنية الفلسطينية وبالتالي إهدار حقوق الشعب العربي الفلسطيني . هكذا كان الحال في عام ١٩٣٦ وكذلك في عام ١٩٤٨ . في حين أن التركيز فقط على البعد الوطني « الخاص » للقضية الفلسطينية سيؤدي عملياً ، ومهما حسنت النوايا ، إلى سلخ نضال الشعب الفلسطيني عن المعركة الأشمل التي تخوضها الشعوب العربية في سبيل التحرر والتقدم والديمقراطية والوحدة ، وبالتالي سيحرم الحركة الوطنية الفلسطينية من دعم ومساندة حليف ثابت لا يمكن من دونه تحقيق أهداف النضال الفلسطيني وهو الحليف المتمثل بفصائل حركة التحرر الوطني العربية .

إن اشكالية الخاص والعام في نضال الشعب العربي الفلسطيني هي ، في الواقع ، اشكالية قديمة لم تتكون بظهور القضية الفلسطينية ، كقضية وطنية تحررية ، على مسرح الأحداث فحسب ، بل برزت مع بدايات المقاومة العربية للهجرة والاستيطان اليهوديين في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين . وفي هذا البحث سنحاول تحديد جذر هذه الاشكالية وذلك بالرجوع إلى الحيثيات التاريخية التي رافقت نشوء وتبلور الحركة الوطنية العربية الفلسطينية .

لم تشكل فلسطين قبل إندلاع الحرب العالمية الأولى وحدة جغرافية وإدارية مستقلة ، بل شكلت جزءاً لا يتجزأ من المنطقة التي عرفت باسم « بلاد الشام » في إطار الامبراطورية العثمانية . وبسبب موقعها الجغرافي المتميز ، ظلت فلسطين ، طوال عقود عديدة ، محط أنظار الدول الأوروبية الاستعمارية الطامعة إلى وراثة تركة « الرجل المريض » .

قدر عدد سكان فلسطين ، عند منتصف القرن التاسع عشر ، بنصف مليون نسمة كان

Digitized by Birzeit University Library

٨٠٪ منهم من المسلمين وحوالي ١٠٪ من المسيحيين وما بين ٥ إلى ٧٪ من اليهود . وكان معظم يهود فلسطين في تلك الفترة من « السفارديم » الذين قدموا في الماضي من اسبانيا ، وكانوا يتحدثون خليطاً من العبرية والاسبانية ويعملون في التجارة (١).

ومع إشتداد تنافس الدول الأوروبية الاستعمارية للسيطرة على ولايات الامبراطورية العثمانية ، فكرت بريطانيا باستغلال اليهود لتعزيز مواقعها في فلسطين ، فأصدرت الحكومة البريطانية (بالمرستون) تعليمات إلى جميع قناصلها في الامبراطورية تدعوهم فيها إلى منح الحماية لجميع اليهود الأجانب الذين يرفض قناصلهم الاعتراف بهم . وقد شجعت هذه السياسة البريطانية على إجتذاب عدد كبير من اليهود المهاجرين من أوروبا استقر معظمهم في مدينة القدس ، مما أدى إلى زيادة نسبتهم فيها حتى باتوا يشكلون ، في أواخر ستينات القرن التاسع عشر ، حوالي نصف سكانها (٢) . وبالرغم من التحسن الملحوظ لأوضاع اليهود ، بفضل حماية بريطانيا لهم ، إلّا أن هجرتهم إلى فلسطين بقيت محدودة وذات طابع ديني في الغالب .

بعد عام ١٨٨١ ، حصل تطور نوعي على هجرة اليهود إلى فلسطين . فعلى أثر إغتيال القيصر في روسيا واندلاع المذابح ضد اليهود بفعل تنامي ظاهرة العداء للسامية ، نشطت في روسيا القيصرية وبلدان أوروبا الشرقية الأخرى هجرة يهودية جماعية واسعة ، إتجه قسم كبير منها إلى فلسطين بهدف الاستيطان وإقامة المستعمرات الزراعية .

آ ـ الحكومة العثمانية في مواجهة الهجرة اليهودية :

سعت الحكومة العثمانية إلى الوقوف في وجه الهجرة اليهودية التي بدأت تتخذ أبعاداً جديدة إثر إغتيال قيصر روسيا في عام ١٨٨١ . فعندما طلبت « جمعية عشاق صهيون » في نيسان ١٨٨٢ ، من القنصل العثماني العام في أود يسا منح مجموعة من المهاجرين اليهود تأشيرات دخول إلى فلسطين بهدف إقامة مستوطنات فيها ، إتصل القنصل بحكومته مستفسراً حول الموضوع ، فجاءه الرد واضحاً : يمنع اليهود من إقامة المستوطنات في فلسطين ، ويسمح لهم بالاقامة في « الولايات » الأخرى من الامبراطورية كمواطنين يخضعون لقوانين الدولة العثمانية (٣).

وفي ٢٩ حزيران ١٨٨٢ ، أوصت الحكومة العثمانية متصرف القدس بإتخاذ كافة الاجراءات المناسبة لمنع دخول اليهود الروس والرومانيين والبلغار إلى فلسطين ، مبدية تخوفها من أن تؤدي الهجرة اليهودية الواسعة إلى ظهور مسألة قومية جديدة تضاف إلى المشاكل الأخرى التي كانت تعاني منها الامبراطورية . كما أشارت الحكومة في توصيتها إلى الضغوطات العديدة التي كانت تمارس عليها من قبل روسيا القيصرية ، والتي كانت تتخوف من حدوث تغير في توازن القوى الدقيق القائم بين « حماة الأماكن المقدسة » في حال قدوم أعداد غفيرة من اليهود إلى فلسطين (٤).

في عام ١٨٨٤ ، إتخذت الحكومة العثمانية إجراءات عملية للحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين . وبمقتضى هذه الاجراءات ، حددت مدة إقامة اليهود في فلسطين بثلاثين يوماً فقط . غير أن الحكومة العثمانية لم تلبث أن تراجعت في عام ١٨٨٧ عن موقفها هذا وقررت تحديد فترة إقامة المهاجرين اليهود بثلاثة أشهر ، وذلك بعد أن أعربت الحكومات الأوروبية عن استنكارها لاجراءات تقييد هجرة اليهود المتعارضة حسب إدعاءاتها مع نظام الامتيازات . في تشرين الثاني ١٨٩٢ ، وأمام استفحال ظاهرة شراء الأراضي من قبل المهاجرين اليهود ، أعطت الحكومة

Digitized by Birzeit University Library

العثمانية أوامر صارمة إلى متصرف القدس تمنع بموجبها عمليات بيع الأراضي « الميري » إلى اليهود . وكعادتها أعربت الدول الأوروبية عن استيائها من هذا الاجراء ، ونددت ، في بداية عام ١٨٩٣ ، بما وصفته بـ « الخرق الفاضح » لنظام الامتيازات ، مما إضطر الحكومة العثمانية إلى التراجع مجدداً والسماح لليهود من حملة الجنسيات الأجنبية ، والمقيمين في فلسطين بشكل شرعي ، بشراء الأراضي إذا ما تقيدوا بالشرطين التاليين : أولاً ينبغي عليهم أن يتقدموا إلى مكتب تسجيل الأراضي (الطابو) في القدس بوثيقة رسمية صادرة عن قناصلهم ومصدقة من المتصرف ، وثانياً ينبغي عليهم الالتزام بعدم السماح لليهود « غير الشرعيين » بالاقامة في أراضيهم وبناء المستوطنات فوقها (٥) .

جاء إنعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في آب ١٨٩٧ بمدينة بال وظهور الصهيونية السياسية الداعية إلى استيطان فلسطين وإقامة « وطن قومي يهودي » فيها ، ليزيدا من مخاوف الحكومة العثمانية تجاه مخاطر الهجرة اليهودية إلى فلسطين . وعلى هذا الأساس ، إتخذت الحكومة العثمانية ، في حزيران ١٨٩٨ ، إجراءات جديدة للحد من الهجرة اليهودية ، منعت بموجبها جميع اليهود دون استثناء من دخول منطقة القدس إلا إذا التزموا بالشرطين التاليين : دفع كفالة مالية من جهة والتعهد الخطي بمغادرة أراضي السنجق في مدة أقصاها ثلاثين يوماً من جهة ثانية . ومن أجل إعطاء صفة قانونية لهذه الاجراءات ، طالبت الحكومة العثمانية بريطانيا بالموافقة على تغيير بعض بنود نظام الامتيازات ، وبخاصة تلك التي كانت تمنح المواطنين البريطانيين حرية الاقامة والتنقل في الأراضي الخاضعة للسيطرة العثمانية (٦) .

ومرة أخرى ، عجزت الحكومة العثمانية عن الصمود في وجه الضغوطات التي مارستها عليها الدول الأوروبية ، واضطرت ، في كانون الأول ١٩٠٠ ، إلى إعطاء تعليمات جديدة إلى سلطاتها الادارية في سنجق القدس أدت عملياً إلى إلغاء كافة إجراءات التقييد السابقة . واعتباراً من ذلك التاريخ ، صار يحق للمهاجرين اليهود الاقامة في فلسطين لمدة ثلاثة أشهر بعد أن يسلموا جوازات سفرهم إلى سلطات مرفأ يافا ويمنحوا بدلاً عنها بطاقات خاصة عرفت باسم « البطاقة الحمراء »(٧) .

سعت الحركة الصهيونية ، في مطلع القرن العشرين ، إلى الحصول على تعهد رسمي من الحكومة العثمانية بتسهيل مهمتها الرامية إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين تتمتع بضمانات دولية . وبهدف بلوغ هذا الهدف ، قابل « تيودور هرتزل » زعيم الحركة الصهيونية ، في الثامن من أيار ١٩٠١ ، السلطان عبد الحميد ، ودار الحديث بينهما حول أهداف الحركة الصهيونية وحول المشاكل الاقتصادية المستعصية التي كانت تجابهها الحكومة العثمانية ، بما فيها مشكلة تصفية الدين العام العثماني . وقد أعرب هرتزل خلال هذا اللقاء عن استعداد المنظمة الصهيونية لتقديم مليون جنيه إلى الحكومة العثمانية إذا ما وافقت هذه الأخيرة رسمياً على تشجيع المشروع الصهيوني في فلسطين (٨) . وخلال زيارته الثانية إلى اسطنبول في شباط ١٩٠٢ ، أبلغت الحكومة العثمانية « تيودور هرتزل » بأنها توافق على استقبال المهاجرين اليهود شريطة أن يصبحوا مواطنين عثمانيين وأن يكون للحكومة المركزية وحدها الحق في تحديد مكان إقامتهم في أي منطقة من مناطق الامبراطورية باستثناء فلسطين . وكان من الطبيعي أن يرفض زعيم الحركة الصهيونية كافة وعود

Digitized by Birzeit University Library

الحكومة العثمانية طالما أنها لم تتضمن تعهداً واضحاً بالسماح لليهود باستيطان فلسطين .

لقد بقي السلطان عبد الحميد طوال فترة حكمه (١٨٧٦ - ١٩٠٨) يشكل عقبة في وجه تحقيق المشاريع الصهيونية . ولم تتعزز آمال الحركة الصهيونية إلاّ بعد إنقلاب تموز ١٩٠٨ ووصول حزب « الاتحاد والترقي » إلى سدة الحكم في البلاد . وقد ساعد في تعزيز هذه الآمال الدور الذي لعبه اليهود العثمانيون ويهود « الدونمة » في إنقلاب ١٩٠٨ والتعاطف المعلن الذي أبداه الزعماء الأتراك الجدد تجاه الهجرة اليهودية وذلك بسبب حاجتهم الماسة إلى الرساميل اليهودية . ولم تتردد الحركة الصهيونية بالطبع في استغلال هذا الوضع الاستثنائي للحصول على مكاسب تصب في خدمة مشروعها الاستيطاني ، كان من أبرزها موافقة الحكومة التركية على فتح مكتب رسمي للحركة الصهيونية في اسطنبول دعي باسم « مكتب فلسطين »(٩).

لقد دفع ضغط الحاجة المالية الحكومة التركية الجديدة إلى الخضوع تدريجياً لمطالب الحركة الصهيونية . ففي صيف ١٩٠٩ ، أعرب وزير الداخلية التركي عن تأييده لهجرة اليهود إلى جميع مناطق الامبراطورية بما في ذلك إلى فلسطين ، إلا أنه استنكر في الوقت نفسه أية نوايا للاستقلال أو للانفصال . وفي تشرين الأول ٩١٢ ، طالبت الحكومة العثمانية السلطات المحلية في سنجق القدس بإلغاء نظام « البطاقة الحمراء »(١٠).

وما بين تشرين الأول ١٩١٣ وآذار ١٩١٤ ، كانت الحكومة العثمانية قد ألغت عملياً كافة الاجراءات التي إتخذتها في السابق حكومة السلطان عبد الحميد لتقييد هجرة اليهود إلى فلسطين .

على جميع الاحوال ينبغي القول بأن هذه الاجراءات ، وإن كانت قد حدت بعض الشيء من وتيرة الهجرة اليهودية ومنعت اليهود من إمتلاك مساحات أوسع من الأراضي ، إلا أنها لم تستطع الوقوف في وجه تصاعد حركة الاستيطان . فعشية الحرب العالمية الأولى ، كان عدد المستوطنات اليهودية في فلسطين قد وصل إلى أربعين مستوطنة انشئت وتطورت على مرأى من السلطات العثمانية العاجزة . وتعود أسباب عجز الحكومة العثمانية في هذا المجال إلى عدة عوامل من أبرزها الضغوطات الكبيرة التي مارسها سفراء الدول الأوروبية وممثلوهم في القدس وبيروت وانتشار مظاهر الفساد والرشوة بين الموظفين العثمانيين في سنجق القدس ، بالاضافة إلى أساليب التحايل التي لجأ إليها المهاجرون اليهود حيث كان بعضهم ينزل في الموانىء السورية ويتسلل سراً إلى سنجق القدس ، وهناك يسعى للحصول على الجنسية البريطانية لكي يضمن إقامته بشكل شرعي (١١).

ب - بدايات المقاومة العربية وتبلور شخصية « وطنية » فلسطينية :

ارتبطت ظاهرة تبلور شخصية « وطنية » فلسطينية في العصر الحديث بالاستيطان الصهيوني في فلسطين (١٢). فالشعور بمخاطر المشروع الصهيوني في سنجق القدس وجنوب ولاية بيروت وإدراك الحاجة لأهمية توحيد كل الجهود العربية في مواجهة هذه المخاطر ، قد ساهما في بلورة شخصية « وطنية » فلسطينية حتى قبل أن تبرز القضية الفلسطينية ، ببعديها الخاص والعام ، كقضية وطنية تحررية ناجمة عن الصراع الذي نشب فوق الأرض الفلسطينية في مطلع عشرينات هذا

Digitized by Birzeit University Library

القرن بين الحركة الوطنية العربية الفلسطينية من جهة وبين الامبريالية والصهيونية من جهة ثانية .

ومن المفيد التأكيد في هذا الصدد على حقيقة أن بذه تبلور شخصية « وطنية » فلسطينية ، قد تم على الرغم من غياب وحدة إدارية وجغرافية مستقلة تميز فلسطين عن غيرها من مناطق « بلاد الشام » وتميز العرب الفلسطينيين عن غيرهم من العرب القاطنين في هذه المناطق .

إن غياب مثل هذه الوحدة الادارية والجغرافية المستقلة قد دفع السكان العرب في المناطق التي ستشكل منها فلسطين في أعقاب الحرب العالمية الأولى إلى الانخراط في نشاط الجمعيات والأحزاب السياسية المختلفة التي شارك فيها عرب المناطق الأخرى الخاضعة للسيطرة العثمانية . فالشعور العميق بالانتماء إلى أمة عربية واحدة كان يغلب ، في نهاية المطاف ، على الشعور بالانتماء إلى خصوصية محلية أكانت ذات طابع إداري أم جغرافي . وهنا بالتحديد تكمن صعوبة دراسة الحركة القومية العربية في العهد العثماني على أساس إقليمي غير أن النضال المشترك الذي خاضه العرب ، في إطار الحركة القومية العربية الجامعة ، لا ينفي مع ذلك بروز قضايا محلية جابهتها هذه الولاية العربية أم تلك في إطار الامبراطورية العثمانية . وبسبب خصوصية المشروع الصهيوني ، برز ، الخاص ، المحلي في سنجق القدس وجنوب ولاية بيروت بشكل جلي ، بحيث توافق النضال القومي الجامع الذي خاضه العرب الفلسطينيون في صفوف الأحزاب والجمعيات العربية المناهضة للسيطرة العثمانية مع نضالهم ضد المشروع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين ، بل يمكننا القول بأن نضالهم ضد المشروع الصهيوني قد سبق مشاركتهم النشطة في النضال القومي العربي الجامع .

لم تشهد فلسطين ، طوال المرحلة التاريخية التي سبقت ثمانينات القرن التاسع عشر ، نزاعاً جدياً بين العرب واليهود . غير أن موقف عرب فلسطين ، الذي بقي هادئاً في خلال السنوات العشر الأولى من الهجرة الكثيفة (١٨٨١ - ١٨٩١) ، سرعان ما انقلب وبدأت مشاعر الشك والاستنكار تسيطر على العرب الفلسطينيين ، واصبح مألوفاً أن تحدث إعتداءات فلاحية على المستعمرات اليهودية .

وسجل عرب فلسطين أول تذمر رسمي لهم من الهجرة اليهودية في ٢٤ حزيران ١٨٩١ حينما أبرق زعماء المسلمين في القدس إلى الصدر الأعظم يعربون عن تخوفهم من وصول أعداد كبيرة من المهاجرين اليهود ويطالبون بمنع اليهود من دخول فلسطين (١٣) .

وشهد العام ١٩٠٠ حملة احتجاجية واسعة عبرت عنها العرائض الجماهيرية التي استنكرت انحياء المهاجرين اليهود لتملك الأراضي العربية . وقد أشارت التقارير التي أرسلها في تلك الفترة Albert Entebi ممثل شركة الاستيطان اليهودي إلى تنامي ظاهرة العداء للاستيطان اليهودي ، وأكدت بأن بروز هذه الظاهرة ما هو إلا تعبير عن استيقاظ الوعي القومي لدى العرب الفلسطينيين . وقد أرجعت التقارير المشار إليها أسباب تردي العلاقات بين العرب واليهود إلى السياسة العنصرية التي كانت تنتهجها الحركة الصهيونية (١٤) .

وفي الواقع ، فإن النزاع بين العرب واليهود قد استفحل في أعقاب الموجة الثانية من الهجرة اليهودية التي أخذت تتدفق على ميناء يافا إثر فشل ثورة ١٩٠٥ في روسيا وتصاعد

Digitized by Birzeit University Library

موجة العداء للسامية . فقد تميزت هذه الموجة الجديدة من الهجرة بالمحاولات التي قام بها المهاجرون اليهود ، خلف شعار « احتلال الأرض » و « العمل العبري » ، لطرد العمال والفلاحين العرب من المستوطنات الصهيونية وفرض المقاطعة اليهودية المنظمة على المنتوجات العربية ، مما أدى إلى تنامي مشاعر التذمر والاستياء بين صفوف العرب الفلسطينيين الذي باتوا يدركون ، منذ ذلك الحين ، بأن استمرار الهجرة اليهودية سيشكل تهديداً مباشراً لوجودهم المادي فوق أرض وطنهم . وفي هذا السياق ، كانت الصدامات العنيفة التي إندلعت في مدينة يافا بين العرب واليهود في آذار ١٩٠٨ ، والتي استدعت على أثرها الحكومة المركزية قائمقام المدينة للتحقيق معه في أسباب الاضطرابات ، كانت تلك الصدامات تعبيراً ساطعاً عن تزايد شعور العرب بمخاطر المشروع الصهيوني (١٥).

تطورت حركة اليقظة القومية العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر من مجرد حركة فكرية تدعو إلى إحياء اللغة والتراث الثقافي العربيين إلى حركة سياسية تناضل من أجل إصلاح نظام الحكم العثماني وتطبيق المساواة بين العرب والترك . وعشية إندلاع الحرب العالمية الأولى ، انتقلت الحركة القومية العربية الجامعة من المطالبة بتطبيق نظام اللامركزية في إدارة شؤون الولايات العربية الخاضعة لسيطرة الامبراطورية العثمانية إلى الدعوة الصريحة لضمان الاستقلال السياسي الكامل للبلدان العربية (١٦).

ويبدو بأن الدور الذي لعبه العرب الفلسطينيون في إطار حركة اليقظة القومية العربية بقي محدوداً خلال المرحلة الأولى من مراحل تطور هذه الحركة ، وذلك بسبب تخلف ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية عن ظروف أشقائهم العرب في الولايات السورية الأخرى وبخاصة في بيروت ومن هنا لم تظهر الحركة القومية العربية بشكل جلي في سنجق القدس إلا في العهد الدستوري (١٩٠٨ - ١٩١٤).

اعتقد الاصلاحيون العرب ، بعد إعلان الدستور العثماني في تموز ١٩٠٨ ، بأن عهداً تحريرياً جديداً قد بزغ ، فنشطوا في تشكيل جمعياتهم وأحزابهم السياسية (١٧). ففي أيلول ١٩٠٨ ، قام عدد من العرب المقيمين في الاستانة بتشكيل أول جمعية عربية في العهد الدستوري دعيت باسم « جمعية الاخاء العربي - العثماني »، وهدفت إلى تحسين أوضاع الولايات العربية ومساواتها في المعاملة مع الولايات العثمانية الأخرى ونشر التعليم باللغة العربية . وكان « شكري الحسيني » و « جميل الحسيني » من القدس من المساهمين بتأسيس هذه الجمعية (١٨). غير أن جمعية الاخاء لم تعمر طويلاً ، حيث قامت الحكومة العثمانية بإغلاق مقراتها بعد أشهر من تأسيسها تخوفاً من توجهاتها القومية العربية . وفي صيف عام ١٩٠٩ ، ساهم عدد من العرب الفلسطينيين ، من أبرزهم « جميل الحسيني »، في تأسيس « المنتدى العربي » الذي واصل نشاطه حتى عام ١٩١٥ عندما قررت الحكومة إغلاقه .

إضطرت الحركة القومية العربية ، أثر الاجراءات القمعية التي إتخذها العثمانيون بحق جمعية الاخاء ، إلى اللجوء لأساليب العمل والتنظيم السريين . وقد اشترك عدد من العرب الفلسطينيين في تأسيس الجمعيات السرية العربية مثل « جمعية القحطانية » التي تشكلت في نهاية العام ١٩٠٩ وطرحت فكرة تحويل الامبراطورية العثمانية إلى مملكة دستورية تقوم على أساس تاجين : أحدهما تركي والآخر عربي . وقد ضمت هذه الجمعية

Digitized by Birzeit University Library

عدداً من الضباط العرب في الجيش العثماني ، كان من بينهم « علي الشاشبي » من القدس ، الذي ساهم أيضاً في أوائل العام ١٩١٤ في تأسيس « جمعية العهد » السرية .

وفي عام ١٩١١ ، اشترك « رشدي الامام الحسيني » من القدس و « رشدي الشوا » من غزة في تأسيس « جمعية العربية الفتاة »، التي ظهرت في باريس ، قبل أن تنتقل في عام ١٩١٤ إلى بيروت ومن ثم إلى دمشق ، وناضلت من أجل ضمان استقلال الولايات العربية وتحرير العرب من نير الاستعباد التركي . كما اشترك « حافظ السعيد » من متصرفية القدس في نشاطات « حزب اللامركزية الادارية العثماني » الذي تأسس في أواخر العام ١٩١٢ بمدينة القاهرة (١٩).

وبسبب نشاطهم القومي هذا ، في إطار الجمعيات والأحزاب السياسية العربية ، نال عرب فلسطين نصيبهم من الاضطهاد التركي قبيل إندلاع الحرب العالمية الأولى وخلالها . ففي آيار ١٩١٦ قضى ثلاثة من متصرفية القدس ، هم « أحمد عارف الحسيني » وولده « مصطفى الحسيني » و « علي الشاشبي »، حتفهم على أعواد المشانق إلى جانب رفاقهم الآخرين من زعماء الحركة القومية العربية .

غير أن حجم مساهمة عرب فلسطين في نشاط مختلف الأحزاب والحركات الاصلاحية والجمعيات السرية العربية لم يكن بحجم مساهمة أشقائهم العرب في مناطق « بلاد الشام » الأخرى . وربما يعود ذلك إلى أن القضايا المرتبطة بالوقوف في وجه الخطر الصهيوني قد استحوذت على اهتمامهم أكثر من القضايا المرتبطة بالاصلاح . وفي هذا السياق ، وجهت جريدة « المفيد » الصادرة في بيروت إنتقاداً حاداً إلى وجهاء القدس واتهمتهم بأنهم لا يتبعون مثال وجهاء بيروت عندما لا يركزون كل جهودهم على النضال من أجل الاصلاحات . وقد تصدى « نجيب نصار »، أحد رواد حركة مناهضة الصهيونية في فلسطين ورئيس تحرير جريدة « الكرمل » لانتقادات جريدة « المفيد »، فنشر مقالاً في جريدته تحت عنوان : « الجامعة العربية الفلسطينية » قال فيه :

« فلسطين كانت منذ القديم ولا تزال من سوريا والبلاد العربية بمنزلة القلب من الجسم ، فاذا ضعف القلب الذي يغذي الجسم ضعف الجسم كله (. . .). ينبغي أن يلاقي كل طامع في فلسطين حصوناً اقتصادية قوية ومعاقل جامعة قومية منيعة ترد الطوارىء عن البلاد (. . .). فلسطين بما فيها من الشرفاء والأمراء والكبراء والناشئة المتعلمة الناهضة ينبغي أن تؤلف جامعة قومية قوية في نفسها ولا تكون عالة على بيروت أو الشام أو حلب أو العراق أو الحكومة العثمانية (. . .). نحن لا نستحسن حركة بيروت الاصلاحية من كل الوجوه . . البيروتيون يقتصرون على مطالبة الحكومة بالاصلاح ولكنهم لا يسعون في تنظيم جامعة الأمة وحملها على إصلاح شؤونها بنفسها (. . .). مالنا وللبيروتيين . نحن الفلسطينيين على شفا جرف . فالخطر السياسي والاجتماعي والاقتصادي يهددنا من كل صوب ، والأمة التي تنازعنا البقاء في وطننا برهنت على كونها أمة حية قوية (. . .). عقلاء الشعوب أدركوا أن دعائم الحياة هي صيانة المصلحة العمومية والتضامن على إحكام ربط الجامعة القومية ، فلماذا لا يقوم أبناء الأمراء والشرفاء والكبراء والمتعلمون والغيورون في فلسطين لعقد مؤتمر يفكر بتنظيم جامعة عربية فلسطينية تهتم بإحياء

Digitized by Birzeit University Library

التجارة وإنهاض الزراعة والتعليم ؟ . . .»(٢٠).

جاءت ثورة عام ١٩٠٨ في تركيا لتزيد من إتساع حركة مناهضة الصهيونية في فلسطين ، وذلك لعدة أسباب من أبرزها : التعاطف الذي أبدته الحكومة الجديدة مع الحركة الصهيونية ، وظهور الصحافة العربية التي نشطت في كشف نوايا الحركة الصهيونية والدعوة لمجابهتها ، وعودة النظام البرلماني الذي فسح في المجال أمام المبعوثين الفلسطينيين للاتصال بعدد كبير من الشخصيات الرسمية في الحكومة والبرلمان التركيين وتنبيه قطاعات واسعة من الرأي العام العثماني لمخاطر المشروع الصهيوني .

لعبت الصحافة العربية دوراً هاماً في حملة مناهضة الصهيونية ، وبرزت من بين الصحف الفلسطينية جريدة « الكرمل »، لصاحبها ورئيس تحريرها « نجيب نصار »، التي صدرت في أواخر العام ١٩٠٨ وحملت لواء المعارضة للصهيونية دون توقف خلال الفترة الممتدة من عام ١٩٠٩ إلى عام ١٩١٤ (٢١). وقد اتخذت السلطات العثمانية عدة قرارات بمنع صدور هذه الجريدة ، كما قامت في عام ١٩١٠ بتقديم صاحبها إلى المحاكمة بتهمة إثارة الفتنة والاضطرابات في البلاد .

غير أن إجراءات السلطة القمعية لم تمنع « نجيب نصار » من مواصلة حملته المناهضة للصهيونية . ففي عام ١٩١١ ، أصدر كتاباً تحت عنوان : « الصهيونية ، تاريخها ، غرضها وأهميتها »، جمع فيه كل المقالات التي نشرها في جريدته حول الصهيونية[٢٢]. ودان « نجيب نصار » قد دحض في مقالاته المشار إليها المبادىء العنصرية التي تقوم عليها الحركة الصهيونية وهاجم أولئك الذين كانوا يأملون في استخدام الامكانيات الهائلة التي تمتلكها الحركة الصهيونية بهدف تحسين أحوال عرب فلسطين . كما إنتقد ، من جهة أخرى ، مواقف الحكومة العثمانية من طاهرة الهجرة اليهودية وعدم فاعلية الاجراءات التي إتخذتها للحد من إتساع هذه الظاهرة (٢٣) .

وأمام إحساسه باشتداد الخطر الصهيوني ، لا سيما بعد إحجام المؤتمر العربي في باريس (حزيران ١٩١٣) عن التعرض مباشرة لموضوع الهجرة اليهودية وما تبعه من إتصالات ومحاولات تفاهم بين عدد من الاصلاحيين العرب وزعماء الحركة الصهيونية ، دعا « نجيب نصار » إلى عقد مؤتمر فلسطيني مناهض للصهيونية في نابلس وذلك رداً على المؤتمر الصهيوني الحادي عشر والذي كان من المزمع عقده في فيينا في أيلول ١٩١٣ (٢٤).

كما دعا صراحة ، في خريف العام ١٩١٣ ، إلى بلورة شخصية « وطنية » فلسطينية متميزة من خلال إقامة « جامعة عربية فلسطينية تشكل جزءاً من الجامعة العثمانية الواحدة »، ويكون هدفها العمل على إنقاذ فلسطين من الخطر الصهيوني الذي يتهددها وذلك عبر تطوير التجارة والزراعة والتعليم في البلاد (٢٥)، وقد لقيت هذه الدعوات تجاوباً واسعاً في صفوف الشبيبة الفلسطينية التي سارعت إلى الاعلان عن تشكيل جمعيات فلسطينية في أنحاء متفرقة من الامبراطورية العثمانية . وكانت « جمعية فلسطين » في بيروت التي أسسها الطلاب الفلسطينيون في جامعة بيروت الامريكية « لضم الكلمة وجمع الشتات »، والتي زاد عدد أعضائها في عام ١٩١٣ عن أربعين عضواً ، من أوائل هذه الجمعيات .

كانت حملة مناهضة الصهيونية قد بدأت تتخذ طابعاً منظماً في فلسطين حتى قبل ذلك التاريخ . ففي أواسط العام ١٩١١ ، تشكل في مدينة يافا حزب دعي باسم « الحزب الوطني »، وهدف إلى الوقوف في وجه تقدم المشروع الصهيوني باتباع أسلوبين نضاليين رئيسيين : مقاطعة

Digitized by Birzeit University Library

المؤسسات والمستوطنات الصهيونية وحظر عمليات بيع الأراضي إلى المهاجرين اليهود . وفي رسالته الموجهة إلى جريدة « المفيد » البيروتية بتاريخ ١٩ آب ١٩١١ ، أكد « سليمان تاجي الفاروقي » أحد زعماء هذا الحزب ، على أن سكوت الأمة عن مخاطر الصهيونية قد دفع بالشبيبة الفلسطينية إلى تنظيم حزب مناهض للصهيونية ، وأهاب بالأمة أن تطالب الحكومة العثمانية باتخاذ الاجراءات التالية للوقوف في وجه هذه المخاطر : سد باب الهجرة اليهودية بشكل نهائي ، حظر بيع الأراضي إلى اليهود ، إحصاء نفوس السكان اليهود في فلسطين ، تطبيق نظام المعارف على المدارس اليهودية ، إجبار اليهود الراغبين بعقد اجتماعات سياسية بإعلام السلطات الحكومية مسبقاً ، إحصاء أملاك وأراضي اليهود واستيفاء الأموال الأميرية منهم . وقد أشار « الفاروقي » في ختام رسالته إلى أن حزبه هو حزب لا ينشيع لدين ، وأنه ينوي تنظيم أمسية خطابية في كل أسبوع لتنبيه المواطنين إلى مخاطر المشروع الصهيوني (٢٦).

وكانت المسألة الصهيونية قد احتلت موقعاً هاماً في مداولات مجلس المبعوثان العثماني ، بعد وصول عدد من المبعوثين الفلسطينيين ، خلال الانتخابات البرلمانية التي جرت في تشرين الأول ١٩٠٨ ، إلى هذا المجلس . ففي عام ١٩٠٩ ، أجبر المبعوثون العرب رئيس الحكومة على التعهد « بعدم السماح لليهود باستيطان فلسطين » ، كما اضطروا وزير الداخلية إلى إعلان موقف واضح بمعارضة المشروع الصهيوني . وكان كلاهما متهماً بمشايعة الصهيونية . وأثار النواب العرب موضوع الهجرة اليهودية في عدة جلسات في تلك السنة ، وحذروا الحكومة في عام ١٩١٠ بأنهم سيحجبون ثقتهم عنها إذا لم تبادر إلى عرقلة مشروع تهويد أراضي النقب وسيناء . وقد فشل هذا المشروع بالفعل بسبب مقاومة العرب (٢٧).

في ايار ١٩١١ ، وأثناء مناقشة الميزانية الخارجية للدولة ، أثار المندوبون العرب المسألة الصهيونية من جديد . وقد استهل « روحي الخالدي » ، مندوب القدس ، النقاش بشن حملة عنيفة على الصهيونية باعتبارها حركة « تضر بمصالح العثمانيين في فلسطين » . وبيّن مندوب القدس الثاني « حافظ السعيد » أن حركة الاستيطان اليهودي في فلسطين مستمرة منذ ثلاثين عاماً « عندما كان عدد اليهود في ذلك الحين ١٠,٠٠٠ يهودي وبلغ اليوم ١٠٠,٠٠٠ يملكون ١٠٠,٠٠٠ دونم من الأراضي التي اشتروها بمساعدة أغنياء اليهود رغم الخطر المفروض » . كما تحدث نائب دمشق « شكري العسلي » من واقع تجربته ، حين كان يشغل منصب قائمقام الناصرة ، عن مخاطر الصهيونية (٢٨).

عشية إندلاع الحرب العالمية الأولى ، كانت حركة مناهضة الصهيونية في فلسطين قد إتخذت أبعاداً لم تعرفها من قبل . فإلى جانب الدور البارز الذي اضطلعت به الصحافة العربية ، وبشكل خاص « الكرمل » في حيفا و « فلسطين » في يافا ، في كشف نوايا الصهيونية وتنبيه السكان العرب إلى مخاطرها ، تشكلت جمعيات جديدة للشبيبة الفلسطينية « كالشبيبة النابلسية » في بيروت و « الشبيبة اليافية » في يافا و « جمعية الاخاء والعفاف » و « شركة الاقتصاد الفلسطيني العربي » و « شركة التجارة الوطنية الاقتصادية » في القدس . كما تشكلت في الاسكانة جمعية فلسطينية كبيرة ضمت أبناء القدس ويافا وغزة ونابلس وعكا والناصرة ، وكان هدفها السعي لجمع كلمة الفلسطينيين (٢٩).

Digitized by Birzeit University Library

لقد وحد الاحساس بالخطر الصهيوني بين عرب فلسطين من المسلمين والمسيحيين ، وأعطى بذلك الحركة العربية في فلسطين لوناً خاصاً بها . وكما يشير عبد العزيز عوض ، كان بروز المسيحيين في إطار النضال المشترك الذي خاضه عرب فلسطين ضد الصهيونية يعود إلى عدة عوامل من أبرزها أن العرب المسيحيين كانوا يقيمون غالباً في المدن وبالتالي كانوا أكثر تأثراً من العرب المسلمين بالمنافسة اليهودية في مجال التجارة والصناعة . هذا بالاضافة إلى إرتفاع مستوى وعيهم الثقافي بسبب الظروف التعليمية المناسبة التي توفرت لهم .

ج - من الحركة القومية العربية الجامعة إلى الحركة القومية العربية الفلسطينية

يشاع اليوم في أوساط الايديولوجيين الصهيونيين بأن الحركة الصهيونية باعتبارها « حركة البعث القومي اليهودي » قد استنفرت عملية نشوء وتبلور حركة قومية عربية فلسطينية . غير أن الوقائع التاريخية تدحض مثل هذه الاستنتاجات ، وتبين بأن بدايات اليقظة القومية العربية قد سبقت ظهور حركة صهيونية منظمة . فعند ظهور الصهيونية السياسية في نهاية القرن التاسع عشر ، لم تكن فلسطين تشكل ، وكما ذكرنا سابقاً ، وحدة إدارية وجغرافية مستقلة عن بقية أجزاء « بلاد الشام » ، وبالتالي لم يكن من الممكن موضوعياً وتاريخياً أن تظهر فيها حركة قومية عربية مستقلة عن الحركة القومية العربية الجامعة التي تبلورت في هذه المنطقة وتجاوزت باتساعها حدود التجزئة التي فرضتها القوى الامبريالية في أعقاب الحرب العالمية الأولى (٣٠).

صحيح أن النضال ضد الخطر الصهيوني قد أعطى لوناً خاصاً للحركة العربية في فلسطين ساهم ، ومنذ وقت مبكر ، في إبراز بعدها « الخاص » الوطني . غير أن هذه الحركة بقيت تشكل جزءاً لا يتجزأ من الحركة القومية الأم التي كانت تجسد بنضالها طموح العرب كأمة إلى التحرر والاستقلال في إطار الوحدة العربية .

وعلى هذا الأساس ، لم تتشكل في فلسطين ، عند بداية الاحتلال البريطاني ، تنظيمات سياسية مستقلة ، ولم تبرز قيادات قومية محلية ، لأن النشاط الفلسطيني كان جزءاً من النشاط العربي العام . كما لم تحدث آنذاك مقاومة تذكر للاحتلال البريطاني لأن بريطانيا كانت متحالفة مع الشريف حسين زعيم الحركة العربية .

بدأت نوايا الامبرياليين البريطانيين والفرنسيين تتضح بعد قيام البلاشفة بنشر معاهدة التقسيم الامبريالي المعروفة باسم معاهدة سايكس - بيكو وبعد إطلاع العرب على وعد بلفور . ويعتقد بأن وصول البعثة الصهيونية برئاسة الدكتور وايزمان إلى فلسطين في نيسان ١٩١٨ كانت بمثابة نقطة البداية في حفز عرب فلسطين على التجمع وبناء تنظيم سياسي خاص بهم عرف باسم « الجمعيات الاسلامية - المسيحية » التي جسدت الحركة الوطنية في فلسطين ، إبان فترة الاحتلال العسكري ، دون إنفصال عن الحركة العربية الجامعة التي كانت متمركزة في دمشق (٣١).

كانت الجمعيات الاسلامية المسيحية إذن المظهر الأول من مظاهر الوعي السياسي المنظم في فلسطين إثر الاحتلال العسكري . وقد تشكلت هذه الجمعيات وفقاً لقانون الجمعيات العثماني الذي كان ساري المفعول ، واعترفت بها السلطات البريطانية رسمياً كجمعيات ممثلة لسكان البلاد . وتتفق معظم المصادر على أن أولى هذه الجمعيات التي كانت غايتها مناهضة الحركة

Digitized by Birzeit University Library

الصهيونية ومقاومتها قد ظهرت في مطلع شهر آيار ١٩١٨ في مدينة يافا برئاسة الحاج راغب أبو السعود الدجاني . وفي تشرين الأول من العام نفسه ، وضعت الأسس لتأليف جمعية جديدة في القدس اسمها « الجمعية الاسلامية المسيحية الفلسطينية » ، صادقت السلطة العسكرية البريطانية على نظامها الأساسي في كانون الثاني ١٩١٩ ، وكانت غايتها : « المحافظة على حقوق أبناء الوطن المادية والأدبية وترقية شؤون الوطن الزراعية والاقتصادية والتجارية وإحياء العلم وتهذيب الناشئة الوطنية »(٣٢).

إنتشرت الجمعيات الاسلامية ـ المسيحية سريعاً في سائر المدن الفلسطينية ، ووصل عددها إلى خمس عشرة جمعية ، كانت عضويتها ممنوحة للجميع . فكل مواطن مسلم أو مسيحي له الحق في أن يكون عضواً فيها ، غير أنه ، في الواقع ، كان الوجهاء والتجار والمحامون هم الموجهون الحقيقيون للجمعيات هذه ، كما كان هناك عدد من القرويين أعضاء فيها يمثلون القرى التابعة لكل مدينة (٣٣).

كانت السلطات البريطانية تحذ على الأغلب أن يتخذ شكل التنظيم السياسي في فلسطين طابعاً طائفياً . من هنا لم تعارض قيام الجمعيات الاسلامية ـ المسيحية ، بل ربما شجعتها وحاولت دفعها في إتجاه التحول إلى مؤسسات اجتماعية ـ اقتصادية وليس إلى أجهزة سياسية . ففي نهاية العام ١٩١٨ ، أوكلت سلطات الحكم العسكري إلى الجمعيات الاسلامية ـ المسيحية مهمة توزيع القمح والاسمنت على مواطني البلاد . ومن جهتهم ، سعى القائمون على هذه الجمعيات من الوجهاء والتجار والملاك العقاريين إلى تسخير نشاطها في خدمة مصالحهم الطبقية . فعلى سبيل المثال ، اهتمت الجمعيات الاسلامية ـ المسيحية في وقت من الأوقات إهتماماً ملحوظاً بالعمل على تنشيط صادرات الحمضيات وذلك خدمة لمصالح كبار التجار العرب المشرفين على إنتاج وتسويق هذا المنتوج الزراعي (٣٤).

عقدت الجمعيات الاسلامية ـ المسيحية مؤتمرها العام في مدينة القدس في كانون الثاني ـ شباط ١٩١٩ باشتراك ممثلين عن أبرز المدن والقرى والعشائر الفلسطينية . وكان هذا المؤتمر أول تعبير عن الاتجاه لتوحيد جهود العرب الفلسطينيين في النضال ضد الصهيونية ، واصطلح فيما بعد على تسميته بالمؤتمر الفلسطيني الأول .

وقد ورد في محضر الجلسة الأولى عن سبب إنعقاد المؤتمر مايلي :

« إن سوريا الجنوبية التي يطلق عليها اسم فلسطين تتألف من متصرفيات ثلاث : نابلس وعكا والقدس الشريف . . . فلما بلغ سكان هذه المقاطعات . . . أن اليهود أخذوا وعداً بجعل بلادنا هذه وطناً قومياً لليهود ، استقر رأيهم على عقد مؤتمر عام ، فأوفدونا نحن المندوبين إلى مدينة القدس وعقدنا حسب القانون المتقدم للحكومة في حينه أول جلسة من مؤتمرنا بتاريخ ٢٧ كانون الثاني ١٩١٩ »(٣٥).

توزع مندوبو المؤتمر الفلسطيني الأول على اتجاهين رئيسيين : اتجاه كان يركز على البعد « الخاص » الوطني للنضال الفلسطيني ويدعو لأن تكون فلسطين للفلسطينيين واتجاه آخر وحدوي كان يركز على البعد « العام » القومي للمعركة التي كان يخوضها عرب فلسطين ويؤكد على ارتباط

Digitized by Birzeit University Library

فلسطين بسوريا الطبيعية . ويظهر من تحليلنا لمقررات المؤتمر بأن الغلبة كانت فيه للاتجاه الثاني فالمذكرة السياسية الرئيسية التي أقرها المؤتمر لترفع إلى مؤتمر السلم في باريس ركزت على المطالب القومية في الاستقلال والوحدة العربية ، وأشارت إلى رغبة المؤتمرين في « أن تكون مقاطعتنا هذه جنوبي سوريا أي فلسطين غير منفصلة عن الحكومة السورية العربية المستقلة المرتبطة بالوحدة العربية خارجة عن كل نفوذ أو حماية أجنبية » . وفي إشارة مبطنة إلى وعد بلفور اعتبر المؤتمرون « كل وعد أو معاهدة حرت بحق بلادنا ومستقبلها ملغى لا نقبل به » ، وطالبوا بتشكيل حكومة ملكية نيابية على أساس لا مركزي ينصب الأمير فيصل ملكاً عليها (٣٦) .

كان قيام فرنسا وبريطانيا بإقتسام الولايات العربية الواقعة في إطار الامبراطورية العثمانية قد أوقف موضوعياً الاتجاه نحو وحدة الأقاليم العربية الذي عبرت عن الطموح إليه الحركة القومية العربية الجامعة قبل نهاية الحرب العالمية الأولى . غير أن هذا الواقع الموضوعي الناشيء لم يؤثر مباشرة على الحركة القومية العربية في سوريا الطبيعية ، والتي بقيت لفترة من الزمن تحافظ على وحدتها .

وعلى هذا الأساس ، ساهم ممثلون عن سكان فلسطين في المؤتمر السوري العام الذي عقد في دمشق في حزيران ١٩١٩ ، واتخذ سلسلة من المقررات كان من أبرزها التأكيد على « الاعتراف باستقلال سوريا ومن ضمنها فلسطين دون حماية أو وصاية » وعلى ضرورة « إلغاء اتفاقية سايكس - بيكو ووعد بلفور وأي مشروع لتقسيم سوريا أو إنشاء دولة يهودية في فلسطين » . وبعد إعلان الدولة العربية وتنصيب فيصل ملكاً عليها في آذار ١٩٢٠ ، شارك عشرات الفلسطينيين في نشاطات أجهزتها ومؤسساتها المركزية ، ومنهم عزة دروزة سكرتير المؤتمر السوري العام ، وعوني عبد الهادي سكرتير الملك فيصل ، وسعيد الحسيني وزير الخارجية في حكومة علي رضا الركابي وأمين التميمي مستشار رئيس الوزراء ، وأحمد حلمي عبد الباقي مدير الخزانة ، ومعين الماضي رئيس دائرة الاستخبارات . . . الخ (٣٧) .

كان المؤتمر العربي الفلسطيني ، الذي إنعقد في دمشق في شباط ١٩٢٠ على هامش المؤتمر السوري العام ، بمثابة محطة إنتقالية بين الحركة القومية العربية الجامعة في سوريا الطبيعية وبين الحركة القومية العربية الفلسطينية . فمع تأكيده على قرار المؤتمر السوري باعتبار سوريا الجنوبية « فلسطين » قطعة من سوريا ، أعلن المؤتمر ، دفعاً للالتباس ولأن الأوساط الأوروبية تستخدم كلمة فلسطين منفصلة عن سوريا ، أن اللجنة العليا للدفاع الوطني في دمشق ستدعى من الآن فصاعداً باسم « لجنة الدفاع الوطني العربي عن سوريا وفلسطين » ، وستناضل من أجل إخراج المحتلين الفرنسيين من الساحل (لبنان) وإخراج المحتلين البريطانيين من فلسطين (٣٨) .

بين نيسان وتموز ١٩٢٠ ، طرأ حادثان مترابطان عضويا كرسا الوحهة الاقليمية للحركة القومية العربية في سوريا الطبيعية ومنها الحركة القومية الفلسطينية . ففي نيسان ١٩٢٠ ، اتفق الامير باليون الفرنسيون والبريطانيون في مؤتمر سان ريمو على إضفاء الشرعية الدولية على إحتلال الأقاليم العربية ، ففرضت فرنسا إنتدابها على سوريا ولبنان وفرضت بريطانيا إنتدابها على فلسطين والعراق . وقد أقرت عصبة الأمم في تموز ١٩٢٢ ميثاق الانتداب البريطاني على

Digitized by Birzeit University Library

فلسطين ، الذي أشار في مادته الثانية إلى ضرورة قيام بريطانيا بتوفير الظروف السياسية والادارية والاقتصادية الكفيلة بتسهيل إقامة الوطن القومي اليهودي . وفي شهر تموز ١٩٢٠ ، تحركت القوات الفرنسية من مواقعها في لبنان لتحتل سوريا وتصفي عهد الملك فيصل ، مكرسة بذلك التقسيم الامبريالي وإقامة الأطر الاقليمية الانتدابية (٣٩). وفي ظروف التجزئة التي فرضتها القوى الامبريالية كان لا بد من أن تتفرع الحركة القومية العربية الجامعة إلى جداول إقليمية وأن تتكرس بالتالي البعد « الخاص ، الوطني ، إلى جانب البعد « العام » القومي ، في النضال التحرري المناهض للامبريالية الذي بدأت تخوضه الشعوب العربية .

كان المؤتمر العربي الفلسطيني الثالث ، الذي عقد في مدينة حيفا في كانون الأول ١٩٢٠ - أي بعد أشهر قليلة من معركة ميسلون - نقطة الانطلاق الحقيقية للتنظيم القومي العربي الفلسطيني المستقل . ففي هذا المؤتمر ، طرح ، ولأول مرة ، مطلب إقامة « حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس نيابي ينتخب أعضاءه الشعب المتكلم باللغة العربية القاطن في فلسطين حتى أول الحرب » ، كما انتخبت لجنة تنفيذية ، من الوجهاء الفلسطينيين المعتدلين ، مهمتها الاشراف على تنفيذ مقرراته إلى حين إنعقاد دورته القادمة (٤٠).

وبانعقاد المؤتمر الفلسطيني الثالث ، كان البعد « الخاص » للقضية الفلسطينية قد تكرس بشكل نهائي إلى جانب بعدها « العام ».

عن مجلة النهج

الهوامش

١ - إنظر : أبولغد ، جانيت : « التحول الديمغرافي لفلسطين ». في تمهيد فلسطين ، إعداد وتحرير إبراهيم أبولغد ، بيروت ، مركز الأبحاث ، ١٩٧٢ ، ص ١٥٥ - ١٨١

٢ - عوض عبد العزيز : متصرفية القدس في العهد العثماني ١٨٧٤ - ١٩١٤ ، رسالة دكتوراه ، جامعة عين شمس ، كلية الآداب - قسم التاريخ ، أيلول ١٩٧٠ ، ص ٢٢٦

٣ - Mandel, Neville : - Turks, Arabs And Jewish Immigration Into Palestine 1882-1914 - ST. Antony's Papers, Oxford Press, No 17, 1965, PP 77-108

٤ - المصدر السابق ، ص ٨١ - ٨٢

٥ - انظر : مصطفى ، أحمد عبد الرحيم « موقف الدولة العثمانية من الهجرة الصهيونية إلى فلسطين ». في المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام ، عمان ، الجامعة الأردنية ، نيسان ١٩٨٠ ، ٢٩ صفحة (مطبوعة على الآلة الكاتبة)

٦ - عوض ، متصرفية القدس في العهد العثماني ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٤٠ - ٢٤١

٧ - حلاق ، حسن « موقف الدولة العثمانية من النشاط الصهيوني الدولي ١٨٩٧ - ١٩٠٤ »، شؤون فلسطينية ، بيروت ، العددان ٧٤ - ٧٥ ، كانون الثاني - شباط ١٩٧٨ ، ص ١٦٢ - ١٧٥

٨ - المصدر السابق ، ص ١٦٨ - ١٧٠

٩ - انظر : قاسمية ، خيرية : « مواقف عربية من التفاهم مع الصهيونية ، ١٩١٣ - ١٩١٤ »، شؤون فلسطينية ، بيروت ، العدد ٣١ ، آذار ١٩٧٤ ، ص ١٢٧ - ١٤٩ .

١٠ - مصطفى ، موقف الدولة العثمانية من الهجرة الصهيونية إلى فلسطين ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥ - ٦

١١ - عوض ، متصرفية القدس . . . ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

Digitized by Birzeit University Library

١٢ـ انظر : عوض ، عبد العزيز : « الشخصية الفلسطينية والاستيطان اليهودي ١٨٧٠ ـ ١٩١٤ »، شؤون فلسطينية ، بيروت ، العدد ٣٦ ، آب ١٩٧٤ ، ص ٧٣ ـ ٨٧

١٣ـ عوض ، متصرفية القدس . . . ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٩٩

١٤ـ Mandel, Turks, Arabs And Jewish Immigration Into Palestine. P. 104

١٥ـ عوض ، متصرفية القدس ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠٢

١٦ـ Dawn, C. Ernest : From Ottomanism To Arabism. Essays On The Origins OF Arab Nationalism, London, University OF Illinois Press. 1973

١٧ـ نيكورا ، ل. س : « الجمعيات السياسية العربية في الفترة مايس ١٩٠٨ و ١٩١٦ » (بالاستناد إلى وثائق المحكمة العسكرية في الجيش الرابع التركي)، الشرق الجديد ، موسكو ، العدد (٧)، ١٩٢٥ ، ص ١٧٧ ـ ١٨٧ (باللغة الروسية)

١٨ـ عوض ، متصرفية القدس . . . ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨٦ .

١٩ـ المصدر السابق ، ص ٢٨٨ ـ ٢٩٠ .

٢٠ـ الكرمل ، حيفا ، ١٩ أيلول ١٩١٣ ، ص ١

٢١ـ قاسمية ، خيرية : « نجيب نصار في حريدته الكرمل ١٩٠٩ ـ ١٩١٤ »، شؤون فلسطينية ، بيروت ، العدد ٢٣ ، تموز ١٩٧٣ ، ص ١٠١ ـ ١٢٣

٢٢ـ الكرمل ، حيفا ، العدد ١٥٨ ، ١١ تموز ١٩١١ ، ص ١

٢٣ـ الكرمل ، من العدد ١٣٣ في ٣١ آذار ١٩١١ إلى العدد ١٤٩ في ٢ حزيران ١٩١١

٢٤ـ الكرمل ، العدد ٣٥٨ ، ١٥ آب ١٩١٣ ، ص ١

٢٥ـ الكرمل ، العدد ٣٦٣ ، ٩ أيلول ١٩١٣ ، ص ٣

٢٦ـ عوض ، متصرفية القدس . . . ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧ .

٢٧ـ صايغ ، أنيس : الهاشميون وقضية فلسطين ، صيدا ـ بيروت ، منشورات جريدة المحرر والمكتبة العصرية ، ١٩٦٦ ، ص ٤٧ .

٢٨ـ قاسمية ، خيرية : النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨ ـ ١٩١٨ ، بيروت ، مركز الأبحاث ، ١٩٧٣ ، ص ١٠١ ـ ١٠٣ .

٢٩ـ انظر : عوض ، عبد العزيز : « الحركة العربية في متصرفية القدس »، مجلة الشرق الأوسط ، القاهرة ، العدد الأول ، كانون الثاني ١٩٧٤ ، ص ١٢٩ ـ ١٨٤ .

٣٠ـ توما ، أميل : جذور القضية الفلسطينية ، القدس ، ١٩٧٦ ، ص ٩١ ـ ٩٣

٣١ـ نظر عبيم ، عادل حسن : « موقف عرب فلسطين من اليهود والصهيونية من الحرب العالمية الأولى حتى صدور تصريح بلفور »، مجلة الشرق الأوسط ، القاهرة ، العدد الأول ، كانون الثاني ١٩٧٤ ، ص ٢١٣ ـ ٢٣٢

٣٢ـ الخوت ، بيان نويهض : القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧ ـ ١٩٤٨ ، بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٨١ ، ص ٨٠ ـ ٨١

٣٣ـ المصدر السابق ، ص ٨١ ـ ٨٢

٣٤ـ ياسين ، عبد القادر : كفاح الشعب الفلسطيني قبل عام ١٩٤٨ ، بيروت ، مركز الأبحاث ، ١٩٧٥ ، ص ٣٨

٣٥ـ الخوت ، القيادات ومؤسسات السياسية في فلسطين ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٥

٣٦ـ المصدر السابق ، ص ٩٦ ـ ٩٧ .

٣٧ـ المصدر نفسه ، ص ١١٤ ـ ١١٧

٣٨ـ توما ، أميل ، جذور القضية الفلسطينية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦

٣٩ـ توما ، أميل ، سنون عاماً على الحركة القومية العربية الفلسطينية ، بيروت ، دار إبن رشد ـ دائرة الاعلام والثقافة في منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٧٨ ، ص ٢٤ ـ ٢٦

٤٠ـ الكيالي ، عبد الوهاب : تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٠ ، ص ١٦٣ ـ ١٦٤

Digitized by Birzeit University Library

دراسة لبعض الاوضاع الصحية في الضفة الغربية

اتحاد لجان الاغاثة الطبية

تنفرد مجلة الكاتب بنشر هذه الدراسة التي أجراها اتحاد لجان الاغاثة الطبية الفلسطينية حول الاوضاع الصحية في الضفة الغربية المحتلة. وتشمل الدراسة مجموعة قيمة من المعلومات الاحصائية والتحليلات على اساس المعطيات المتوفرة من فحص ٢٤٩٧ مريضا في المناطق المختلفة من الضفة الغربية.

اذا اردتم عبور نفق الزمن ، والعودة قليلا الى الوراء . او اذا اردتم الهبوط على كوكب آخر ، مستغلين اكتشافات هذا العصر العجيبة، فلا داعي لارهاق هذه التقنية العالية والمتطورة ، فيكفي أن تكونوا في المناطق المحتلة ، وكانكم قد عدتم سنين الى الوراء .

فهذه المناطق التي منحها الله السماء الصافية ، والارض الخصبة ، والمنزلة القدسية اذا باهلها وارضها مرتع للافات والعلل والاوبئة ، تصيب منهم من تشاء ، كما تشاء ، ومتى تشاء ، وحيثما تشاء .

واذا بهذا البلد الذي خلق للصحة الانسانية ، تفتك الامراض بصحة اهله وتهدد مدنه وقراه ، واذا بالشقاء يصب على هذه المدن والقرى صبا ، والبلاء يأخذها من جميع نواحيها ، والالام والنوائب تسعى اليها من كل وحه ، فيغمر البؤس والبأس اهلها ، ملابسا اياهم ملابسة متصلة ، لا تقلع عنهم في ليل او نهار

Digitized by Birzeit University Library

ويزيدهم شقاء . انهم يظمأون والماء من حولهم في خزانات ضخمة " محمية " وراء الاسلاك الشائكة ، لا يجدون اليها سبيلا .

ويعيشون في العتمة وأعمدة الكهرباء الضخمة تخترق أراضيهم المصادرة ومن أمامهم ومن خلفهم ، ولا يجدون الى ذلك بديلا .

وترى الافات والامراض جاثمة على أجسامهم وأنفاسهم وهم لا يجدون من يمد لهم يد العون والمساعدة .. اذ يسمعون بالمراكز الطبية المتطورة والعصرية والتي لا تبعد عنهم سوى بضعة كيلومترات ، كما يسمعون بهبوط الانسان على القمر ، لا فرق .

ان أقراص الاسبرين ، التي توزعها عن يمين وعن شمال وكيفما تشاء ، العيادات والمراكز الصحية ، لا يمكنها ان تخفي الحقيقة ، بل المأساة الماثلة ، فمئات القرى محرومة من العناية الطبية الاساسية ، ذلك أن تطور الخدمات الصحية في الاراضي المحتلة ، ليس فقط انه لا يواكب النمو المضطرد في احتياجات سكان هذه المناطق ـ وطبعا هو لا يواكب بأي شكل من الاشكال التطور العالمي في هذا المضمار ـ بل ان هذا " التطور " يتدهور من سيء الى أسوأ . ومن يتتبع السنوات المتلاحقة منذ العام ١٩٦٧ حتى هذه اللحظات ، يلاحظ بوضوح تام أساليب القهر والتمييز والالحاق ، التي تعاني منها المؤسسات الصحية العربية .

فقد أغلق مستشفى الحكومة في الشيخ جراح بالقدس ، وحول الى مركز للشرطة . كما تم اغلاق مستشفى الميدان في كل من مدينتي رام الله ونابلس . وتحاول الجهات المسؤولة في هذه الايام اغلاق مستشفى اليوسبيس في البلدة القديمة من القدس ، بقرارها اغلاق قسم الجراحة فيه . وقد سبق هذا القرار قرارات مماثلة في السنوات السابقة ، اذ تم اغلاق أقسام أخرى ، وتقليص في الخدمات العامة ، وابعاد عدد من أخصائيي المستشفى .

كما أغلق العديد من المراكز الصحية في الضفة الغربية ، بدءا بعيادات الاسنان ومرورا بتقليص خدمات بنك الدم في القدس وتخفيض عدد موظفيه وساعات العمل فيه ، وانتهاء باغلاق مركز السل في المدينة المقدسة . كما أن المستشفيات العربية الباقية (الحكومية) لا تزال تعاني من عدم توفر الاجهزة الحديثة والعصرية ، كما انها تفتقر الى معظم التخصصات الضرورية لتطوير الخدمات الصحية في المنطقة ككل ، ناهيك عن ارتفاع أجور العلاج في هذه المستشفيات واستحداث نظام التأمين ، بعد أن كان العلاج فيها مجانيا .

ان فئة واسعة من السكان ـ وتحديدا سكان المخيمات والقرى ، الذين يشكلون غالبية السكان ـ محرومون من العناية الطبية الاساسية ، والرعاية اللائقة وقد شاهدنا بأنفسنا قصصا درامية لاطفال صغار ، باتوا في عجز جسدي دائم لعدم وجود اشراف طبي وعيادات صحية في قراهم ومناطق وجودهم ، بالاضافة

Digitized by Birzeit University Library

الى أن عددا كبيرا من اطفال القرى والمخيمات ، يعانون من سوء في التغذية ، وفقر في الدم ... الخ (انظر الجداول الملحقة) ومن انتشار الامراض المعدية والاوبئة في مناطق سكناهم .

وقد قامت كوادر اتحاد لجان الاغاثة الطبية الفلسطينية بمعاينة وتقديم خدمات طبية الى اكثر من عشرة آلاف مريض في العام ١٩٨٣ ، وقام القسم العلمي في اتحاد اللجان بدراسة علمية ميدانية على ٢٤٩٧ مريضا ، في المناطق المختلفة من الضفة الغربية ، وقد سجلنا الملاحظات والاحصائيات التالية :-

منطقة الخليل :

تنتشر الامراض المعدية في المناطق المحتلة بشكل ملحوظ . ولعل منطقة الخليل تتميز بوجود نسبة عالية من هذه الامراض ، اذ أن سوء التغذية وتلوث مصادر المياه والظروف الاقتصادية والاجتماعية السيئة ، والتأخر في اساليب الزراعة ، بالاضافة الى غياب المؤسسات الصحية والطبية الوقائية . . كل هذا جعل من انتشار الامراض المعدية امرا حتميا .

وقد سجلنا الامراض التالية :-

التهاب اللوزتين والاذن الوسطى	١٦٨ طفلا	٣٧٫٧٥ ٪
الامراض الجلدية المعدية	٥١ طفلا	١١٫٤٦ ٪
الاسهالات المختلفة ، الديدان والطفيليات	٤٦ طفلا	١٠٫٣٣ ٪
التهاب الغدة النكفية ، جدري الماء والحصبة	٣٣ طفلا	٧٫٤١ ٪
اليرقان والحمى المالطية	٢٦ طفلا	٥٫٨ ٪
امراض : مثل الروماتزم	٣٣ طفلا	٧٫٤١ ٪
امراض فقر الدم وسوء التغذية	١٧٤ طفلا	٣٩٫١ ٪
امراض اخرى	١٧ طفلا	٣٫٨٢ ٪
امراض بدون تشخيص	٢٢ طفلا	٤٫٩٤ ٪

ان التأخر الذي يهيمن على الاساليب الزراعية والانتاجية الزراعية ، وعدم وجود عناية طبية وقائية ، قد جعل من انتشار الحمى المالطية امرا حتميا فقد وجدنا أن مناطق الخليل تتعرض لنسبة عالية من انتشار هذا المرض .

كما لوحظ ازدياد في سوء التغذية وتدهور على الوضع الصحي العام بالنسبة للكبار والصغار على حد سواء . ويمكن القول أن الكثير من اطفال مناطق

ملاحظة . قد يظهر مرضان مختلفان على نفس الطفل ، وقد دخلا في الاحصائية بشكل منفرد ، وقد شملت هذه الدراسة ٤٤٥ طفلا .

Digitized by Birzeit University Library

الخليل ينمون بصورة غير صحية وغير سليمة ، وان مقاييس نمو الاطفال في هذه المناطق تعتبر متدنية بالنسبة للمقاييس الطبيعية ، كما تكثر امراض آلام المفاصل وآلام الظهر والروماتزم عند الكبار ، وذلك يعود للظروف المعيشية السيئة في البيوت المتراصة والرطبة ، وعدم توفر العناية الصحية والفقر .. الخ

وقد سجلنا امراضا مثل : التهاب المعدة وقرحة المعدة ، والاثني عشر ، التهاب القصبات الهوائية ، الضغط ، السكرى وأمراض القلب المختلفة . كما وجدنا نسبة عالية من امراض العيون على اختلافهـــا .

منطقـة اريحـــا :-

لقد عاينت كوادر الاتحاد حوالي مائتي مريض في منطقة اريحا ، فتبين لها انتشار الامراض الجلدية المعدية ، والديدان ، والطفيليات في هذه المنطقة بشكل ملحوظ . وقد يعود هذا لطبيعة الاحوال الاقتصادية والصحية والمناخية المتميزة في هذه المنطقـــة .

كما لوحظ ازدياد في نسبة سوء التغذية بين الاطفال ، وسوء الوضع الصحي والاجتماعي العـــــام .

وبالاضافة الى ذلك تأتي امراض : التهاب اللوزتين والاذن الداخلية في الترتيب الثاني ، وتظهر امراض آلام المفاصل ، والام الظهر عند الكبار ، والامراض الجلدية والمعوية والديدان . ففي منطقة عين الديوك ، مثلا ، وجد أن ٨٠٪ من الاطفال يشكون من الديـــــدان .

منطقة القـــدس :-

قد يبدو للوهلة الاولى أن منطقة القدس تتمتع بواقع افضل مما هو عليه الحال في منطقتي الخليل واريحا . فعلى الرغم من ظهور نفس الاعراض والامراض المعدية التي اشرنا اليها في المناطق السابقة ، الا ان تقدما في سير المرض واعراضه لا يظهر في المنطقة بشكل واضح . وتنخفض في هذه المنطقـــة نسبة انتشار الامراض الجلدية المعدية ، والطفيليات بالمقارنة مع المناطق الاخرى .

غير أنه ، نتيجة لغياب الطب الوقائي ، ظهرت في منطقة القدس عـــدة امراض معدية ، وكانت تنتشر على شكل وباء . ومن يراقب الوضع الصحي في المنطقة يلاحظ انتشار الاوبئة بشكل واضـــح .

فقبل عامين انتشر مرض شلل الاطفال على شكل وباء في حي الثورى ، كما لا يزال يظهر مرض اليرقان في قرى مثل : العيزرية ، أبوديس ، والجيب ، مخماس ، جبع

Digitized by Birzeit University Library

على شكل وبا، خلال السنوات المتتالية ، ولم يحرك اى حيلز صحي ساكنا امام هذا الوباء المتكـــرر .

كما أن مرض داء الكلب ، قد ظهر في شمال القدس وبالتحديد في منطقة قلندية . وذلك في العام الماضـــي .

وفي هذا العام سجلنا ٩٠ حالة جدرى ماء في قرية بدو وحدها خلال حملة اغاثة طبية واحدة ، أى في يوم واحد ، وقد كان هناك ما لا يقل عن ٢٠ حالة مصحوبة بالمضاعفات ابرزها التهابات بكتيرية نتيجة سوء العنايـــة .

منطقة رام الله والبيـــرة :ـ

يتفاوت الوضع الاجتماعي والاقتصادى بين قرية وأخرى في هذه المنطقة مما ينعكس بالتالي على الظروف المعيشية وعلى تغذية الاطفال . وعلى الوضع الصحي العام لكل قرية ، بحيث تشكل هذه الامور تفاوتا ملحوظا . غير أن الاحصائيات العامة في جميع القرى ، تثبت أن جميع هذه القرى وان اختلفت عن بعضها في ظروفها الاقتصادية والمعيشية فانها بحاجة ماسة الى رعايـــة طبية جيـــــدة .

ويعاني حوالي ١١٫٨٥ ٠/٠ من مجموع الاطفال الذين تمت معاينتهم من سوء في التغذية ، وقد ظهرت الامراض التالية عند الصغار مرتبة حسب اولوية انتشـــــــارها :ـ

- التهاب اللوزتين ، الاذن الداخلية والانفلونـــزا .
- التهاب الغدة النكافية (ابو دغيـــم) .
- جـــدرى المـــــاء .
- الاسهالات المختلفة ، الديزنتاريا ، الاميبا والديـــدان .
- الحصبـــــة .
- التهاب القصبات الهوائية والرئـــة .
- الروماتـــزم .
- التيفوئيد والحمى المالطيـــة .
- أمـــراض أخـــــرى .

وتتميز امراض الكبار بظهور آلام المفاصل والظهر ، فأمراض القلب والضغط والسكـــــرى .

Digitized by Birzeit University Library

ملاحظـــــات

لقد لاحظنا في جميع المناطق التي قمنا فيها بحملات اغاثة طبية ما يلي :-

الاطفال الذين يعانون من التهاب اللوزتين يعانون في نفس اللحظة من التهاب الغدد اللمفاوية المحيطة ، بحيث يتخذ المرض شكلا مزمنا ، وهذا ناتج عن عدم توفر العناية الصحية المباشرة . فالطفل في هذه المناطق لا يحصل على العلاج اذا كان يعاني من التهاب اللوزتين ، الا اذا ظهرت أعراض متقدمة تدفع الاهل الى عرضه على الطبيب ، وغالبا ما يتعذر شراء الدواء وقد يساء استعماله ، مما يؤدي الى نتيجة سيئة بالنسبة للطفل ، تكون عاقبتها تطور المرض ، الى ظهور الروماتزم ، مسببا خللا محتملا في صمامات القلب ، مما يترك الطفل فيما بعد عرضة لعجز عضوي دائم .

- ان كثيرا من الاهل لا يعرضون أطفالهم على الاطباء بل لا يقومون بشراء الادوية ، وذلك لاسباب اقتصادية . واذا كان في نفس الاسرة أكثر من طفل مريض فعادة يعرض الطفل الاكثر مرضا على الطبيب ، ويهمل بقية الاطفال ، واذا حصل وان اشترت الاسرة الدواء ، فانه في العادة يكون ناقصا ، أو حتى يتقاسمه بقية الاخوة .

وللاسف يلاحظ ازدياد ظاهرة سوء استعمال الادوية وخصوصا المضادات الحيوية ودون اشراف طبي .

- لقد وجدنا ارتفاعا ملحوظا في ظهور الامراض النفسية عند الشباب ، وحالات الكآبة ، والارهاق النفسي ، ولعل ذلك يعود الى الاوضاع السياسية والاقتصادية القائمة في بلادنا .

- يحتاج الكثير من الامراض الى اشراف طبي متخصص وعال ، وكثير منها يحتاج الى عناية في مستشفى . ولكن نظرا لارتفاع تكاليف العلاج في مستشفيات المناطق المحتلة ، يفضل أو بالاحرى يضطر معظم الاهل الى العلاج في البيت .

ولعل من المفارقات التي لا بد من ذكرها ، ان المناطق المحتلة تتميز بأنها تجمع في آن واحد بين أمراض البلدان المتخلفة النامية ، وخاصة الامراض المعدية وسوء التغذية ، جنبا الى جنب مع ما يسمى بالامراض العصرية ، أي أمراض القلب والدورة الدموية والسكري والضغط .... الخ .

ان اسباب ذلك تكمن من جانب في سوء الاوضاع المعيشية وتدهور الخدمات الصحية وانعدام الطب الوقائي ، ومن جانب آخر في انتشار المظاهر الحضارية المترافقة مع ضغط نفسي متواصل ولسنين طويلة في ظل الاوضاع السياسية القائمة في المنطقة .

Digitized by Birzeit University Library

– تنتشر أمراض آلام المفاصل وآلام الظهر بشكل ملحوظ في جميع المناطق على حد سواء ، بحيث يشكل ذلك نسبة عالية جدا بين الاعراض التي يأتي بها المرض ، ويعود ذلك الى الاسباب التالية :–

١ – البيوت المتراصة والرطبة .
٢ – عدم توفر التدفئة والحماية من البرد في الشتاء .
٣ – اهمال الامراض في الماضي .
٤ – تأخر اساليب العمل والزراعة .
٥ – عدم وجود عيادات واشراف صحي ورعاية .
٦ – سوء التغذية .
٧ – عدم وجود الملابس الصحية والاحذية الملائمة .

ففي قرية دير بلوط ، مثلا ، لم نجد (سيدة أو طفلا) ينتعل حذاء صحيا بصورة جيدة .

وبالنسبة للسيدات ، يشكل الحمل المتكرر ، بدون فترات راحة ، مع انعدام فترات النقاهة والراحة اللازمة بعد كل ولادة ، سببا مباشرا لانتشار آلام الظهر ومفاصل الحوض .

تنتشر أمراض اللثة والاسنان في هذه المنطقة بشكل واضح ، فلا يوجد عناية بالاسنان . كما أن تسوس الاسنان عند الاطفال مرتفع ، والعلاج الوحيد المتعارف عليه في القرى ، هو خلع الاسنان .
كما تفتقر هذه المناطق الى أطباء الاسنان ، ١٠٠ / ٠٠ .

– الكثير من المرضى لا يزال يؤمن بالطب الشعبي ، ولا سيما "الكي" . فمن يزور هذه القرى يشاهد أن الكثير من المرضى يعالجون الاوجاع ، ولا سيما اوجاع المفاصل والظهر والمعدة ، بالكي ، الذي يسبب مستقبلا التهابات ومشاكل مرضية جديدة .

– الامراض النسائية ، تعتبر من الامراض التي لا يمكن تشخيصها في هذه المناطق ، حيث أن النساء يفضلن المرض على عرض أنفسهن على طبيب .
وقد صادفنا اكثر من مرة سيدات يعانين من أمراض نسائية طوال خمسة عشر عاما أو اكثر . دون أن يعرض أنفسهن على طبيب ولو لمرة واحدة .

Digitized by Birzeit University Library

" مجموع المرضى الذين تمت الدراسة عليهم
وأماكن توزعهم الجغرافي : "

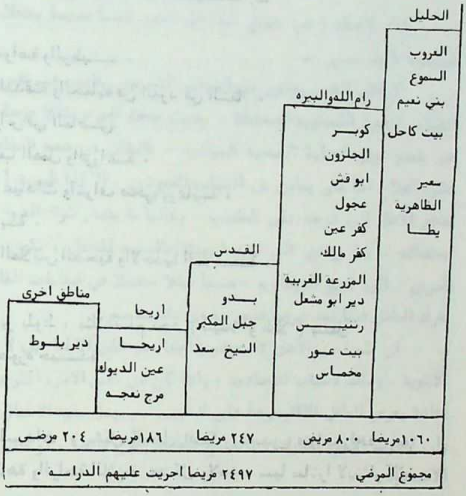

أعمار المرضى الذين تمت معاينتهم ، والنسب المئوية لكل فئة بالنسبة لعدد المرضى :

المنطقة	اطفال – ١شهر–١٨سنة		سنة ١٨	سنة ٥٠	٥٠ سنة فما فوق	
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
منطقة الخليل	٤٤٥	٣ر٤١ ٪	١٢٣	٦ر١١ ٪	٤٩٢	٤١ر٤٦ ٪
منطقة رام الله والبيرة	٣١٢	٣٩ ٪	٢٠٧	٨ر٢٥ ٪	٢٨١	١٢ر٣٥ ٪
منطقة القدس	١١١	٤ر٤٤ ٪	٤١	٩ر١٦ ٪	٩٥	٤٦ر٣٨ ٪
منطقة اريحا	٩٧	٩ر٥٣ ٪	١٧	٩ر١٣ ٪	٧٢	٧ر٣٨ ٪
مناطق اخرى (ديربلوط)	١٢٠	٦ر٥٨ ٪	٣٠	٨ر٩ ٪	٦٤	٣٧ ر ٣١ ٪
المجموع	١٠٥	٤٥ر٤٣	٤٠٨	٣٣ر١٦	١٠٠٤	٢ر٤٠ ٪

Digitized by Birzeit University Library

تغذيـــــة الاطفـــــال

المنطقـــــة	جيـــدة		مقبولـــة		سيئـــة		مجموع الاطفال
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبـــة	
منطقة الخليـــل	٦٤	٠/٠١٤ر٣٨	١٦٢	٠/٠٣٦ر٤	٢١٩	٠/٠٤٩ر٢١	٤٤٥
منطقة رام الله والبيرة	١١٨	٠/٠٣٧ر٨٢	١٥٧	٠/٠٥٠ر٣٢	٣٧	٠/٠١١ر٥	٣١٢
منطقة القـــــدس	٤٥	٠/٠٤٠ر٤	٥٧	٠/٠٥١ر٣٥	٩	٠/٠٨ر١	١١١
منطقة اريحـــــا	١٧	٠/٠١٧ر٥٢	٥٠	٠/٠٥١ر٥٤	٣٠	٠/٠٣٠ر٩٢	٩٧
مناطق اخرى/ديرالبلوط	١٧	٠/٠١٤ر١٦	٦٣	٠/٠٥٢ر٥	٤٠	٠/٠٣٣ر٣٣	١٢٠
المجموع العـــام	٢٦١	٠/٠٢٤ر٠٥	٤٨٩	٠/٠٤٥ر٠٦	٣٣٥	٠/٠٣٠ر٨٧	١٠٨٥

الوضع الصحي العام للمرضى في قرى الخليل ، رام الله والبيرة
القـــدس ، اريحـــا ، ديـر بلـوط

المنطقـــة	جيـــد		مقبـــول		ســـيئ	
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
منطقة الخليل	٧٦	٠/٠٧ر١٦	٢٤٩	٠/٠٢٣ر٧٩	٧٣٥	٪٦٩ر٣٣
منطقة رام الله والبيرة	٢٢٧	٠/٠٢٨ر٣٧	٣٩٥	٠/٠٤٩ر٣٧	١٧٨	٪٢٢ر٢٥
منطقة القدس	١١٣	٠/٠٤٥ر٧٤	٩٨	٠/٠٣٩ر٦٧	٣٦	٪١٤ر٥٧
منطقة اريحا	٢٨	٠/٠١٥ر٠٥	١٠٠	٠/٠٥٣ر٧٦	٥٨	٪٣١ر١٨
مناطق اخرى (دير بلوط)	١٩	٠/٠٩ر٣١	٨٣	٠/٠٤٠ر٦٨	١٠٢	٠/٠٥٠
المجموع العام	٤٦٣	٠/٠١٨ر٥٤	٩٢٥	٠/٠٣٧ر٤	١٠٩٠	٤٤ر٤١

Digitized by Birzeit University Library

عدد المرضى الذين حولوا الى مستشفيات ، او الى اطباء اخصائيين او يحتاجون الى اشراف طبي دائم :

المنطقة	العدد	النسبة المئوية بالنسبة لعدد المرضى العام
الخليل	٣٢٤	٠/٠ ٣٠ر٥٦
رام الله والبيره	١١٢	٠/٠ ١٥ر٢٥
القدس	١٩	٠/٠ ٧ر٦٩
اريحا	٢٥	٠/٠ ١٣ر٤٤
مناطق اخرى (دير بلوط)	٣٧	٠/٠ ١٨ر١٣
المجموع العام	٥٢٧	٠/٠ ٢١ر١

عدد المؤمنين صحيا ، ونسبتهم المئوية بالنسبة لمجموع المرضى في المناطق التي تمت فيها الدراسة .

المنطقة	عدد المرضى	النسبة المئوية
الخليل	١٣٤	٠/٠ ١٢ر٦٤
رام الله والبيره	١٥٦	٠/٠ ١٩ر٥
القدس	٧٤	٠/٠ ٢٩ر٩٥
اريحا	٢٦	٠/٠ ١٣ر٩٧
مناطق اخرى / دير بلوط	٢١	٠/٠ ١٠ر٢٩
المجموع	٤١١	٠/٠ ١٦ر٤٥

Digitized by Birzeit University Library

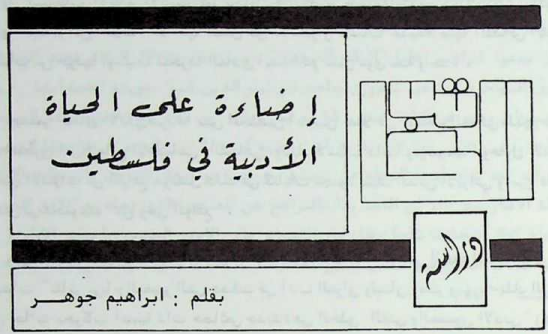

(أ) النكبة واتجاها الرومانسية والواقعيـــة

١٩٤٨ — ١٩٦٧

==========

تميزت هذه المرحلة بالتعامل مع واقع جديد افرز بعد النكبة ،وما نجم عنها ،من خلخلة اجتماعية وسياسية واقتصادية أحدثت هزة عنيفة في العلاقات الحياتية في العالم العربي بشكل عام ،وانعكس هذا الواقع الجديد على الادب كشكل راق من أشكال العلاقات الحياتية المقصودة .

وعلى الصعيد الفلسطيني الخاص ،فقد جزء كبير من الاراضي الفلسطينية وبرزت لاول مرة ظاهرة "المخيم" بكل ما تعنيه وما ستحدثه من آثار اجتماعية واقتصادية كتركيبة اجتماعية جديدة على الشكل الذى كان سائدا من قبل . حيث اضطر عدد كبير من الفلسطينيين الى العيش "... على هامش العلاقات الاقتصادية في المجتمع الجديد "،كما يقول محمد البطراوى.

وعن الجانب الادبي في هذه المرحلة ،يقول البطراوى : "..وتتحول كلمات الاديب الى رفرات ولواعج ودموع وهروب الى رومانسية حالمة وضياع ،وتتعذر أسباب النشر ، فالصحافة لا تعنى كثيرا بالادب ..." (١)

وتمزقت الحركة الادبية بعد ذلك بقليل حين تعددت الانتماءات الادبية ،واختلقت سبل حل القضية ومعالجة الواقع الذى أحدثته صدمة النكبة. في هذا الواقع برزت محـــاولات التشبث بالهوية الفلسطينية ،فأصدر يعقوب الشوملي مجموعته القصصية التي أسماهـــا "فلسطينيات" والتي حازت على شهرتها كونها أول مجموعة تأتي بعد مؤتمر أريحا في العام ١٩٤٩ .

Digitized by Birzeit University Library

وفي العام ١٩٥٢ يصدر عيسى الناعوري الادب الاردني مجلة "القلم الجديد" التي تحاول استقطاب الاقلام الادبية، كما تحاول أن تطرح مفهومها الادبي والاجتماعي للواقع الذي انبثقت من خلاله. الا انها تفشل في الاستمرار لاسباب عديدة منها انفضاض الادباء والكتاب من حولها، ونتيجة لعجزها المادي أيضا ،لم تعش سوى سنة واحدة .

ويستمر الحال الادبي مترددا بين اتجاهين أدبيين تمثلا في الاتجاه المثالي الذي عزف عن النطرق الى الواقع الاجتماعي والسياسي، وذلك لاسباب دائية وموضوعية ،وحاول الاتجاه الثاني الاقتراب من الواقع . وتمثل ذلك في كتابات محمود سيف الدين الايراني وأمين فارس ملحس في مجموعته "من وحي الواقع" .

وفي أواخر الخمسينات يطرأ تغيير ملحوظ على الحياة الادبية في الضفة الغربية والاردن اذ بدأت "تتأثر برياح التغيير التي عصفت في أدب العراق ولبنان ومصر وسوريا .تلك الرياح التي جاءت بحركات أدبية ذات خصائص جديدة في الخلق الفني والمضمون الادبي" (٢).

الا ان السمةالعامة التي تطبع انتاج هذه المرحلة تتمثل بالنشتت وعدم التحديد والتوجع . وطغت الاحلام والذكريات الرومانسية على انتاج الادباء الابداعي في محاولة لاعادة جو التواصل النفسي بين الماضي المزدهر والحاضر المعتم الذى تتمثل فيه النكبة وضياع الوطن .

ويصف الدارسون هذه المرحلة بكونها تمثل "طابع الحزن والحنين الى الارض المستلبة والبيارة وبئر الماء وشجرة الزيتون..الخ وكان (الادب) يتسم بالسرد والمباشرة ، وهو في النهاية يمثل ارهاصا لحركة أدبية فلسطينية متطورة وملتزمة." (٣) ولم يكن الادب قادرا على تمثل الاوجاع الانسانية العامة والوطنية ـ الانسانية الخاصة في هذه المرحلة. "ان الحركة الادبية في الاردن آنذاك لم تكن تعبر في عمق عن الهم الانساني والقومي للشعب، ما عدا انتاجا محدودا تمثل في كتابات محمود شقير وعقلة حداد.." (٤).

ولكن الحدث الادبي الهام في هذه المرحلة بكاملها ،يتمثل في صدور مجلة "الافق الجديد" في العام ١٩٦١ ،اذ استطاع الكتاب معها ان ينشروا انتاجهم دون أى اعتراض من جانب المجلة بمقارنتها بمجلة "القلم الجديد" في اوائل الخمسينات .

وتبرز من على صفحات "الافق الجديد" أقلام تحفر وجودها وتثبت انتاجها في مواجهة الرياح، فتنتصر، وينتصر معها الادب الجيد الذى يستحق الحياة. وتكتسب المجلة مبرر وجودها من الفراغ الصحفي الذى يعنى بالادب ويحفل به. وبالرغم من اختلاف الاراء حول الدور الفعّال الذى أدته المجلة في عمرها القصير (١٩٦١ ـ ١٩٦٦) ، الا انها أبرزت اسماء محمود شقير وخليل السواحرى ونمر سرحان وماجد ابو شرار وصبحي شحرورى ويحيى يخلف وحكم بلعاوى ومحمد أبو شلباية وعصام سخنيني وعلي سعود عطية وتوفيق خضر وعبد الجبار الفقيه وعمر حضرمي وابراهيم السعافين وأحمد الخطيب وسامي الخطيب وعلي محمد صالح كما يعدد محمد البطراوى، الذى يصف المضامين الادبية التي بدأت تتبلور بأنها غير

Digitized by Birzeit University Library

بعيدة "عن المناخ الفكري والسياسي الذي كان يسود العالم العربي حينئذ والذي كان يعبر عن توق الانسان العربي الى تغيير واقعه الراهن."

وقد ساعد على بلورة هذه المضامين الواقعية مواكبة النقد الادبي للانتاج القصصي ، الذي يدعوه ابراهيم خليل "النقد الصحفي" ،ويبرز من هؤلاء النقاد محمد البطراوي وخليل السواحري وصبحي شحروري وماجد ابو شرار الذين كتبوا بدورهم القصة أيضا ، ولم يتخصص أي منهم في كتابة النقد ، كما لم يمارس أي من نقاد هذه الفترة النقد المنهجي النظري وبقيت هذه محاولات نقدية ،أدت خدمة كبيرة للادب بالرغم من تواضعها النسبي. حتى انه بعد توقف هذه المجلة عن الصدور ،ورغم وجود بعض الصحف والمجلات الاخرى كمجلة الافكار مثلا ،الا ان النقد بدأ بالتراجع عن المستوى الذي وصله مع "الافق الجديد" "فمجلة أفكار" اتخذت نهجا يقلل من الاعتماد على الادب الجديد ،وأعطت الاولوية في النشر للكتاب المحافظين الذين يأبون الاعتراف بالادب الجديد. وانعكس ذلك طبعا على النقـــد ." (٥).

ولكن ،ما هي أجزاء الحياة الداخلية لمضمون الافق الجديد ، من حيث المضامين القصصية والمستوى الفني للكتاب ؟ والاتجاهات الفكرية لديها وأخيرا ،ما هي العيوب والسقطات الفنية لانتاجهم؟ هذا مـا سآتيـــه بشيء من التفصيل في الجزء التالي. ودلك من خلال أبرز ثلاثة كتاب لهذا الجيل هم : محمود شقير وصبحي شحروري وماجد أبو شرار في مجموعاتهم القصصية المستقلة التي صدرت هنا في الاراضي المحتلة مع أن انتاج الكاتب خليل السواحري الذي تنوع بين القصة والنقد الصحفي لا يقل أهمية عن انتاج هؤلاء الكتاب الثلاثة . الا انهم يمثلون محور الانتاج الادبي في تلك الفترة الهامة التي سبقت عام الهزيمـــــة (١٩٦٧).

(ب) المضمون الواقعي والنضوج الفنـــــي لجيل " الافـــق الجديـــد "

==========

سأتناول في هذا الباب ثلاث مجموعات قصصية لابرز ثلاثة كتاب من جيل "الافـــق الجديد" ولا شك أن هذه المجموعات الثلاث تفي بالغرض المطلوب منها كل الوفاء ،وهو التدليل على مدى النضج الفني الذي ارتقى اليه كتاب هذه الفترة بالاضافة الى المضامين الواقعية التي ضمنوها قصصهم ونتاجهم الادبي بشكل عام .

وبديهي ان استثناء أي من رواد هذه المرحلة ،سيكون استثناء غير مقصود ،ولا ينتقص تحت أي ظرف من الظروف من المساهمة الفعلية لكل كاتب مستثنى . فهناك خليل السواحري وفخري قعوار ويحيى يخلف وحكم بلعاوي ونمر سرحان ،الذين لم أجد في كتاباتهم الادبية أي اختلاف شاذ ، سلبا أو ايجابا ،عن الكتاب الثلاث الذين سأتناولهم هنا ،وهم :

Digitized by Birzeit University Library

ماجد أبو شرار، ومحمود شقير، وصبحي شحروري (٦).

فما هي عناصر التكنيك القصصي في قصص هؤلاء الكتاب؟ وما هي العيوب الفنية التي شابت أساليبهم، والمآخذ التي تؤخذ عليهم؟ وأخيرا ما هي المضامين التي ضمنوها قصصهم؟ وتحت أي مدرسة أدبية يمكن ان تدرج؟.

بعد دراسة هذه القصص، أستطيع اثبات التالي :-

أولا : البداية والنهاية :

تقتفي هذه القصص آثار البداية القصصية التقليدية الناجحة نسبيا فمنذ أول سطر في القصة، يدفع القاص بالقارئ الى العيش داخل قصته، في أحداثها ومع شخوصها. وهذه بداية ناجحة وموفقة، الا ان تباينا نسبيا في مدى تحقيق هذا النجاح يظهر في أساليب الكتّاب الثلاثة من جهة. وبين قصص المجموعة الواحدة للكاتب ذاته، من جهة ثانية.

ففي قصة "صورة"، يبدأ ماجد بالقول : " محمد اسماعيل .. انسان وديع طيب، وعزيز على نفسي، لكن معرفتي به ترتبط بذكرى طريفة ومؤلمة.." ثم يبدأ بسرد قصة تلك المعرفة التي ترتبط بذكرى طريفة ومؤلمة. فيبدأ بشدخيط التشويق منذ البداية، وهكذا يفعل في معظم القصص. أما في قصة "سلة الملوخية" فيبدأ هذا الخيط الضرورى بالتراخي حتى يظن القارئ، ومعه حق في ذلك، أنه بدأ يفلت هذا الخيط. اذ يقول: " انه يوم عطلتي الاسبوعية، ورغم كونه يوم راحة لي فأنا أبغضه أشد البغض وأتمنى لو ان الحياة كلها عمل مستمر، ففي العمل راحة كبرى.." .ومثال آخر على البداية الضعيفة، بداية قصة "الخبز المرّ" التي تبدأ بوصف البلدة الصغيرة التي تقبع عند أقدام جبال جرداء أكثر أيام السنة. ويبدأ الوصف لموقع هذه البلدة، ولطريقة العمل والبدء به بشكل رتيب، ناعس خال من الحركة والحرارة، كما في غيرها من القصص.

على ان ماجد يبدأ قصصه بأسلوب مغاير لبداية كل قصة، ويتجلى ذلك في الشكل والمضمون للبداية ذاتها. فتارة يبدأ بالاسم : " محمد اسماعيل.." وأخرى يبدأ بها بداية تقرر حقيقة : "قلة .. أولئك الذين كانوا يعلمون ان العاصفة وشيكة." ومرة بالفعل المضارع : "يبدو لي كلما أراه .. كدمية كبيرة رائعة ملقاة باهمال في مطبخ .." ومرة أخرى بالجملة الاسمية : " عقارب الساعة في يدى لا زالت منذ اكثر من ساعتين تلتهم الارقام بشراهة واصرار .." ومرة أخرى يخاطب فيها القارئ مباشرة : " ان كنت من سكان الحي المتواضع الذى يقع عند آخر منحدر تصل اليه المدينة.." .

انه يتعمد البدء المختلف لكل قصة جديدة من قصصه، ولا يسير على طريقة واحدة في البداية.. في حين نلاحظ ان محمود شقير يبدأ جميع قصصه بالفعل الماضي الناقص "كان" أو "كانت"، دون استثناء، وذلك مما يضع القصة في الزمن الماضي منذ بدايتها، وان كان يتخلص في ذلك باستعمال الانساق الزمنية المختلفة في البنية النهائية للقصة. فمن الماضي

Digitized by Birzeit University Library

وهو يمثل النسق الزمني الهابط الى الحاضر الذى يمثل النسق الزمني الواقعي الى المستقبل الذى يمثل بدوره النسق الزمني الصاعد. وهو يستخدم هذه الانساق الزمنية بنجاح فائق تقربه من النفس،اللغة المتوسطة التي يسوق الحوار بوساطتها والجو الشعبي الذى يغلف ميدان الشخوص وحركتهم ،كذلك تلك الروح الساذجة التي تتناسب مع هذا الجو القروى للعمال والفلاحين التي تطبع شخوصه .

ومحمود شقير أيضا ،يكتب البداية الناجحة حين يضع القارئ في جو الحركة أو الجو الذى هو على وشك البدء بالحركة :" كانت تنطلق صوب سوق العطارين ،وليس ثمة غير أشخاص قلائل يتحركون بعجلة ،وأجسادهم تنكمش تحت وطأة برد الصباح". أو :" كان يقف على رأس كومة من الاسمنت الممزوج بالماء. وفي يديه جاروف كبير .. وكانت جلبة العمال تسرى بعنف ".

وبالمقابل فانه ينجح في رسم النقيض بنوع من التشويق الذى يثير الفضول :"كان يتوارى قرب المنعطف بعيدا عن موقف الباص،يسترق النظر الى الناس المحتشدين عند الموقف، ويتمنى بصوت مسموع الا يأتي أبوه ليقف على الرصيف." وأحيانا يلامس عاطفة انسانية نبيلة بنوع من الحنين الداخلي، وكلها علامات على البداية المشوّقة الناجحة ، يكدرها الاصرار على الفعل الماضي" كان " ـ كما سلاحظ عند صبحي شحرورى أيضا ـ : " كان الديك يصبح بحيوية.. وقد تناهت صيحاته الى أذني أمينة، فهبت من نومها متعطية منتائبة. اليوم الخميس. تذكرت هذا بعذوبة.." ص ٨٧ .

اما صبحي شحرورى ،فانه ينجح في دفع القارئ للعيش في جو قصته منذ البداية: "لو ان أحدا نقل اليّ الخبر لما صدقت." ص ١١ كما أنه يضع في نفسه التساؤل "لماذا" ويجيب عليه ـ وهو ما يفرق القصة عن الحكاية، كما يذكر أ.م. فورستر (٧) :" اجتزت الشارع الى الرصيف المقابل كي أتخذ موقف الفاحص المدقق الذى يستطيع ان يستوعب بنظره كل ما في الكراج من سيارات ." ص ٣٥ .

وأحيانا يبدأ شحرورى قصته بالفعل الذى يشد القارئ منذ قراءته له: "قيام .. قالها العريف بنبرة حادة قوية تؤكد سلطانه ،" ص ٤٧. في حين هناك بداية ضعيفة تحاول وصف الجو الخارجي الرتيب: " كان يعمل والغرفة من حوله هدوء شامل ،وعلى الطاولة أمامه أشياء كثيرة.." ص ٥٧ .

من الصعب اصدار حكم قطعي على أى فن من الفنون ،خصوصا وان الفن في جملته تركيب ابداعي معقد ،كأن تقول هذا ناجح وهذا فاشل أو مخفق . ولكن "البداية التي لا تثير القارئ ولا تشده من العبارة الاولى قد تجعل القصة أقرب ما تكون الى موضوع انشائي أو خواطر عابرة لا تربطها هذه الخيوط غير المنظورة التي تحرك الشخصيات ببراعة وحيوية" (٨).

وفيما يتعلق بهذه البدايات ،فانها لم تخرج عن تقاليد فن القصة العربية ،وحتى العالمية ،في تلك الفترة. فقد كان التقليد السائد آنذاك أن تبدأ القصة بالوصف اجمالا او

Digitized by Birzeit University Library

الفعل" كان" تحديدا ،وغير ذلك من النماذج التي ذكرتها سالفا. ولكن القاص الكاتب نفسه له ان يختار أى بداية تلائم الجو العام لقصته وموضوعها النهائي وفق ثقافته الخاصة وأسلوبه المتميـــــــز .

ان هؤلاء الكتاب الثلاثة يلتقون في أشياء ويفترقون في أشياء أخرى. فكما كان ماجد أكثرهم تنويعا للبداية القصصية وتلوينا لها وفق موضوع قصته ينفرد شفير في النهاية المتفائلة دائما ،وهو يسخّر أكثر من عامل واحد وأكثر من بعد محدد في سبيل ذلك. ففي قصة "أهل البلد" يكون الاطفال والطبيعة ــ رياح الصيف ــ رمزا للتغير وعدم الثبات على حال واحد. فيحلم الاطفال بعد رؤيتهم لابيهم وهو ينتحب ؛ بأب يعود محملا بالحلوى كل يوم ويعطيهم النقود" وليس في البلد من هو أقوى منه" ص٢٢ . وفي قصة "خبر الاخرين" ينمو شعور داخلي لدى بطلةالقصة ــ خديجة ــ بعد رؤيتها لابنها وعناية جارتها بـــه ، بالتفاؤل والحيوية: "... وأحست خديجة ان نبع الحياة يتفجر في أعماقها من جديد." ص ٣٣. اما في قصة" بقرة البتامى" فان الاطفال أيضا هذه المرة هم المعوّل عليهم التغيير؛ لانهم جيل المستقبل .فالقاص لا يؤخذ بقتامة الواقع وما فيه من ظلم وجور واستغلال وظلام يملأ الاركان بل : " وامتعض الاطفال.. وناموا يحلمون ببقرة ذات قرون صلبة كالرماح.. تعدو في جموح تائر عبر الحقول.. بينما تندحر من حولها الذئاب." ص ٤٦ .

والكاتب يحافظ على هذه الكوة المشرقة في نهايات قصصه جميعها على اختلاف العوامل المركون اليها تحقيق ذلك. وتشذ عن هذه الرؤيا نهاية قصة " اليوم الاخير " التي جاءت " نهاية مفتوحة" لتحذر من الخطر اللاحق ببيوت القرية وعمالها ،وتنذر بمصير مماثل لما حل بوالد الطفل ظاهر وهو الموت :" كان الليل يركض في أزقة القرية بعنجهية، وزأرت السيارة واندلعت من عينيها البليدتين أضواء طويلة راحت ترقص بجنون عبر الارض الشاسعة، وكانت حدأة مخيفة تطوف فوق بيوت القرية ." ص ٩٥.

على حين لا يضيف صبحي شحرورى في نهاية قصة "المعطف القديم" على أن يقول انه افتقد انسانا في النهاية قامته ضئيلة وعديم الملامح . بينما يتدارك هذه النهاية الساذجة ــ حسبما تظهرها القصة ــ الى نهاية ناجحة تلخص التحول والتطور الذى حصل لشخوصه في قصة " الحملة". وفي قصة " الزامور" ،يضع القاص الهدف الكلي للقصة في آخر سطر منها ، جاعلا منه نهاية للقصة . ولكنه لا يوفق في دفع احد الشخوص لتبني هذا الموقف ،الذى يشكل حكمة عميقة تتلفع برمز شفاف ، فتأتي على لسان الراوى الذى يعقب على الاحداث . وفي قصة " معلم وتحية" لا يحسم في النهاية هدف القصة فيتركها للتخيل الذى يوازى الزعم عند العرب ،الدى هو مطية الكذب: "..وخيل اليه وما يزال ان المهنة التي يمارسها لذيذة ومثمرة ." ص ٥٣ . وتأتي نهاية قصة"سلة التين " أنجح نهاية في قصص المجموعة ككل ،اذ يطوى البطل فيها صفحة ويفتح أخرى ، وهي اشارة لاغلاق أحد الابواب والانحياز لباب آخر يوصل الى حياة أخرى ،وهي حياةالمدينة كما ترمز القصة الى حياة القرية بسلة التين التي أدار لها البطل ظهـــــره ...

Digitized by Birzeit University Library

ثانيا : الحـــوار :

==========

أكثر من يسخّر الحوار لخدمة غرض القصة والافصاح عن أهداف شخوصها ونفسياتهم وثقافتهم المتباينة ،هو محمود شقير ،اذ يستخدم الحوار بشكل واضح ،وبشكل جزءاً هاما من هيكل القصة عنده .

أما ماجد أبو شرار . فلا يطيل أجزاء الحوار في قصصه. وهو يستخدمه بذكاء وسرعة على حين يقترب شقير من طريقة الحوار في الرواية أو المسرحية . اما شحرورى فينعدم الحوار عنده كليا ، وهو يحشو أجزاءه وسط الفقرات السردية ، وكأنه غير واثق بدأ وخجل منه.

ثالثا : اللغة :

==========

يعتني شحرورى باللغة عناية فائقة تشعر القارئ لقصصه بأنه يتخيرّ الكلمات وينتقيها انتقاء من بين عدد من المترادفات . أما أبو شرار فأنه لا يبتعد كثيرا عن أسلوب شحرورى في التعامل مع اللغة . أما لغة شقير فهي شفافه تقترب من اللغة الشعرية في كثير من الاحيان ، ربما كان مرد ذلك الى وصفه لاجواء القرية والطبيعة فيها. وهي بسيطة لانها تعبر عن شخصيات هي كذلك .

ويشترك ثلاثتهم في التشابيه والكنايات اللغوية التي تضفي على لغة القصة لونا محببا يدنيه من الفهم العام ويكسبه قدرة على التأثير ومن ضمن التكنيك الفني العام لديهم جميعا.

رابعا :

====

الدكربات ولغة الحوار والتردد الداخلي (المونولوج) .

خامسا :

=====

الوصف الخارجي للشخوص والاماكن ،وأحيانا يتسرب وميض نفسي الى داخلها بنجح في تبيان تناقضاتها وما يدور في أذهانها .

سادسا :

====

القدرة على رسم الحركة وتقريبها الى ذهن القارئ . وفي هذا المجال يقترب أبو شرار من ميزات القصة الحديثة في الحركة المتوثبة ، السريعة ،مع اللغة الرشيقة ، الموحية .

سابعا :

===

المزاوجة بين الانساق الزمنية المختلفة ، لكسر الرتابة التي يدخلها السرد الى جو القصة العام .

Digitized by Birzeit University Library

ثامنا :

====

التفصيل في الصورة الموصوفة . فنلاحظ محاولة لنقل الصورة بكافة تفاصيلها ، سواء للمكان ، أو للشخصية التي تحدد الملامح الخارجية مع الاستعانة بعلم النفس ـ بشكل نسبي بينهم ـ لجلاء الجانب الداخلي من الشخصية وأثره على تحركها وتصرفها وانفعالها . وفي هذا الجانب كان أكثر من ركز عليه بينهم ماجد أبو شرار ، الذي يظهر في بعض قصصه أنه متأثر بعمق بالفكر الوجودي الذي ساد تلك الفترة من حياة الادب الفلسطيني . ففي قصة " وانهار الحدار" التي كتبت عام ١٩٦١ ، يظهر ذلك التأثر ، فالقصة تعالج المرض ، الموت التفاهة ، الحب ، الضياع ، اليأس ، العبث والنهاية المحتومة ـ الموت ـ ومعروف أن المفاهيم الرئيسة التي تحللها الوجودية وتعالجها هي : الوجود ، الحرية ، القلق ، الخوف ، الموت ، اليأس الغثيان ، التشوش ، وهذا التأثير ايضا يظهر في قصة الزنجية ايضا وغيرها .

تاسعا :

====

النجاح في خلق عاطفة مشتركة تحنو على الشخصية التي ينحاز اليها الكاتب ، والحقد على الشخصية التي يريد الكاتب من قارئه ان يحقد عليها .

ويؤخذ على الاساليب التي ساق لنا هؤلاء الكتاب بواسطتها قصصهم ما يلي ، مع أن هذه المآخذ تنطبق على أسلوب القاص صبحي شحروري أكثر من غيره :

١ ـ الاصرار على العيش في الزمن الماضي ، عن طريق الشغف بالفعل " كان " بشكل غير موفق مما يباعد بين القارئ وحرارة الانفعال الناجم عن عيشه في وسط الموضوع الذي تتناوله القصة . وهذا ناجم عن التقيد بالسرد لوحده . ويظهر هذا الامر بشكل قليل جدا ، ولكنه متوال في الفقرة الواحدة بعينها ، لدى شقير وأبو شرار .

٢ ـ محاولة مساعدة القارئ على الاستنتاج ، وتدخل الكاتب في سير أحداث القصة ، فانظر الى هذه الفقرة : " انه يبكي هذا الرائح الغادي أبدا دون ان يعرف الكلل ، هذا المحايد العظيم الذي ما انطبعت أعنف الاحداث في يوم من الايام على قسمات وجهه . " (ص ٢٠ من المعطف القديم) ، اذ لم يترك للقارئ ان يستنتج هذا التحول في تصرف الشخصية لوحده . ان القاص يجب ان يضع القارئ وذكاءه في مخيلته ، فلا "يتطفل" على فطنته وذكائه .

٣ ـ لا يظهر استخدام أسلوب المونولوج بنجاح ، اذ ما زال استخدام هذه الطريقة في اسلوب القصة بكرا بعد . لذلك يمزج الكاتب بين هذا الاسلوب وأسلوب السرد ، أو يأتي بالمونولوج دون ان ينبع من داخل الشخصية .

٤ ـ بعض القصص ، خصوصا لدى شحروري ، تحمل مرض الاستطراد والاطناب ، دون ان يخدم ذلك حركة القصة . وهذا واضح جدا في قصة "الزامور" . على حين يخلص أبو شرار

Digitized by Birzeit University Library

قصصه من هذاالمرض كليا ،وينحاز الى العبارة الموحية والرمز الرشيق ، اما شقير فانه يجعل الحدث ينساب وتفرعاته تنمو ولكنها تخدم الغرض النهائي لقصته .

مضامين القصص .

تنحاز مضامين كتّاب جيل الافق الجديد بشكل عام الى الانسان كانسان . وتناقش كافة القضايا المتعلقة بحياته ،واقعه ومستقبله وماضيه كذلك . ولكن ،لان أى كاتب ناجح وصاحب رسالة، لا يجب ان يكون نسخة كربونية عن أى كاتب آخر ،فان هؤلاء الكتاب الثلاثة ،قد عالجوا الهموم الانسانية لمجتمعهم وطبقتهم بأساليب مختلفة وروّى مختلفة نسبيا .

فبالرغم من أنهم يجمعون على أن المستقبل للانسان الكادح ، الا ان أسلوب ايصال هذه الفكرة يختلف ،كما يختلف أيضا الموضوع نفسه الذى يلتقط الكاتب أحد أحداثه أو أجزائه ليصوغه بطريقته الفنية ويثبته بالتالي في الواقع الادبي المتكون .

ان محمود شقير ،بفضل تركيزه على نموذج البطل العامل ـ ابن الطبقة العاملة التـــي تعيش وسط مجتمع يعاملها معاملة قاسية لا تليق بالخدمات التي تقدمها ،وتتبع أحوال هذا النموذج في أكثر من لوحة عامرة بالحياة ،يقترب من المدرسة الواقعية الجديدة في الفن التي فيها أصبح العامل ،لاول مرة، بطلا للاعمال الفنية والادبيـــــة .

أما ماجد أبو شرار ،فانه يوظف نموذج العامل كبطل لقصصه ،مثل "الخبز المر" و "النجار الصغير" والانسان المضطهد ،الفقير ،المعدم ، الكادح ،يظهر في قصصه بوضوح وهو منحاز الى جانب عدالة قضيته ،كما انه حاقد على الجانب الاخر الذى يسومه الاستغلال ويقع ظلمه عليه ، كما في " سلة الملوخية" و"برازق" و"الشمس تذوب" .

ونماذج هذين الكاتبين حية ،فاعلة ،متحركة ،تشعر بالظلم وتشكو منه ، لها عواطفها وأحاسيسها الانسانية ،كما لها حقدها على مستغليها . ولولا تأثر ماجد بالفكر الوجودى في بعض القصص ،وهي ثلاثة ،لاشترك بشكل كامل مع شقير في اطار المدرسة الواقعية الجديدة ، التي لاحظنان الكاتبين نجاتي صدقي وخليل بيدس رائداها في الادب الفلسطيني الحديث ،في حين كانت الساحة الادبية العربية في فترة الخمسينات ومنتصف الستينات تناقش مظاهر احياء الحركة الرومانسية والتبشير بعهد انحسار الواقعية والواقعية الجديدة التي تزعم لواءها الكاتب المصرى د.لويس عوضوجرى بعد ذلك مناقشات مطولة معه ومع غيره من قبل النقاد الذين دعوا وأيدوا مبادئ هذه المدرسة في الادب العربي ومنهم د. حسين مروة ومحمود أمين العالم ومحمد دكروب وغيرهم .

لذلك يرفد هذان الكاتبان ،شقير وأبو شرار ،تيار الواقعية الجديدة في الادب العربي

Digitized by Birzeit University Library

من خلال قصصها التي كتبتها في هذه الفترة(١٩٦٠ – ١٩٦٦) . وكما يظهر في مضامينها وضوح فكري وانحياز كامل الى جانب الطبقة العاملة تظهر النزعة الانسانية في قصص صبحي شحروري ويظهر البطل الايجابي القادر على الفعل واتخاذ الموقف ،ولكن الكاتب لا يسيّره في الاتجاه الذى سار عليه البطل عند شقير وأبو شرار ،ولكنه يكتفي بانسانيته وعواطفه النبيلة الرقيقة. وهو محدود الحركة .لذلك ،لا يهمه استقراء المستقبل ،ولا يضني نفسه باستشفاف آفاقه الرحبة وتكاد تنعدم عنده النظرة المتفائلة التي تنير ظلام الواقع الذى يصوره في مجريات القصة نفسها. لذلك تدخله هذه القصص ، بمضامينها الى أجواء المدرسة الواقعية ،التي تعنى بهموم الواقع ومشاكله – الواقعية النقدية – ولكنها لا تصوره تصويرا مرآويا ، أى أنها واقعية وليست وقائعية ساكنـــــة .

ان الانتاج الادبي لجيل " الافق الجديد" القصصي الفلسطيني قد قدّم ارهاصات ناضجة "لثقافة وطنية وثورية تتكون" كما يقول يحيى يخلف (٩) وقد شكلت لبنات أساسية في معمار ثقافة فلسطينية فاعلة ومتحدية وناضجة فنيا. كما أنها لم تكتف فقط بواقع كونها " ارهاصات" ومؤشرات ،بل تعدت هذه الميزة الايجابية بحد ذاتها الى الاسهام في الحركة الادبية العربية ،وحسمت الصراع الدائر في تلك الفترة، لصالح الانسان الواقعي ،الانسان الكـــادح .

وهي تسير،وفي جعبتها هذه الهوية ،واثقة باتجاه ملء مقعدها المخصص لها ، باحترام في الصفوف الامامية من ساحة الادب العربي ، والعالمـــي .

المراجـــع :–

١) ٢٧ قصة قصيرة، منشورات آفاق ١٩٧٧.

٢) البيادر ، ع ٦ السنة ٢ ، آب ٧٧ ، مدخل في دراسة النقد الادبي في الاردن ، دراسة يعلم ابراهيم خليل .

٣) الكاتب ، ع ٣٨ – حزيران ١٩٨٣ ،مقابلة مع جمال بسوره ، ص ٨٤.

٤) الكاتب ،العدد ٣٩ ، تموز ١٩٨٣ ،مقابلة مع ابراهيم العلم ، ص ٨٢.

٥) البيادر، ع ٦ السنة الثانية .

٦) ماجد ابو شرار ، الجمر الغر، منشورات الاسوار – عكا .
محمود شقير ،جبر الاخرين ، منشورات صلاح الدين – القدس ، ١٩٧٥ .
صبحي شحروري ، المعطف القديم ، منشورات البيادر، ١٩٨٣ ،ط ١ .

٧) راجع : أ. م. فورستر ،أركان القصة ، دار الكرمك ، ترجمة كمال عياد حسين ، ص ٣٦ وما بعدها .

٨) حسن البحيري ، في كتابه القصة ،منشورات مكتبة المحتسب – عمان ، ط ٢ ، ١٩٧٤ ص ٤٥ – ٤٦ .

٩) ماجد ابو شرار الجمر الغر ،مقدمة المجموعة ،يعلم يحي يخلف ص ٧ .

Digitized by Birzeit University Library

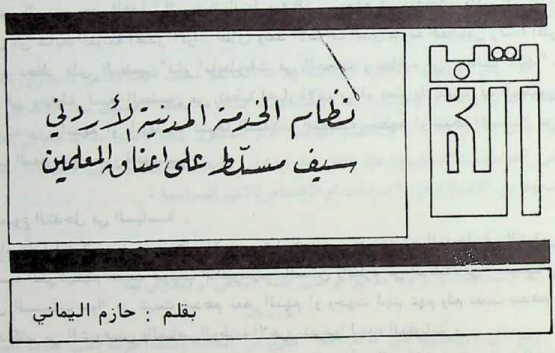

ان المراجع لمواد نظام الخدمة المدنية الاردني رقم (٢٣ لسنة ١٩٦٦) يمكنه ان يقسم هذه المواد الى قسمين ـ حسب تأثيرها على اوضاع المعلمين ـ حيث نرى بعض الجوانب الايجابية (وخاصة فيما ورد بالمواد المتعلقة بحقوق الموظف وبعض المواد المتعلقة بالاجراءات والعقوبات) ، وهناك الجوانب السلبية (و خاصة فيما ورد بالمواد المتعلقة ببعض المحظورات)

وكعادتها ـ حسب السياسةالتعليمية المرسومة ـ وبحجة "حرصها "على تطبيق "الانظمة والقوانين الاردنية" ،فقد كانت السلطات تركز وبشدة على المواد المتعلقة "بالمحظورات" وتعممها على المعلمين بين الاونة والاخرى ،وخاصة اذا ما لمست أيّ تحرك مهني من قبلهم .

Digitized by Birzeit University Library

وفي هذا المجال يمكن عرض بعض الممارسات التي اتبعتها السلطات ضد المعلمين بحجة أن هذه الممارسات ليست من "بدعتها" بل هي "مستفاة" من مواد نظام الخدمة المدنية الاردنـــي .

عمم ضابط التربية والتعليم ولاكثر من مرة ،وفي مناسبات عديدة ،المواد التالية بهدف عرقلة اى تحرك للمعلمين للمطالبة بحقوقهم المادية والمهنية :

١) ورد في المادة ٨٢ قسم (ب) يحظر على الموظف :ـ

"أن ينقل اية معلومات رسمية لنشرها في الصحف دون موافقة رئيسه أو أن يفشي وينشر أية معلومات رسمية اكتسبها في اثناء الخدمة وبعد تركه اياها الا باذن خاص من الوزير."

عممت هذه المادة اكثر من مرة على الهيئات التدريسية وخاصة بعد أن اضطر بعض المعلمين الى نشر بعض القضايا التربوية والتعليمية التي تهمهم في الصحف ،واذكر في هذا المجال أن ضابط التربية أصدر "امرا" خلال وبعد الاضراب الذى مارسه المعلمون وعممه اكثر من مرة يحظر على المعلمين "نشر اية معلومات في الصحف وسيعاقب من يخالف ذلك" ، وذلك في محاولة لمنع المعلمين من تغطية اخبار الاضراب او فضح ما يتعرض له المعلمون نتيجة تدني رواتبهم او ما يعانونه نتيجة التنقلات التعسفية بحقهم او نتيجة الاستغناء عن خدمات البعض دون مبرر قانونـــي .

٢) ممنوع التدخل في السياســة .

وامتدادا لما كان يمارسه النظام الاردني ضد المعلمين ومنعهم من التدخل في الشؤون السياسية التي تهمهم ،حيث عوقب الكثيرمنهم بالسجن والطرد من الوظيفة في الخمسينات واوائل الستينات سواء من ثبتت ضدهم بعض التهم او وجهت لهم تهم ولم تثبت ضدهم ، وهناك كثير من الشيوعيين والعناصر الوطنية الاخرى تعرضوا لهذه العقوبات .

وبعد احتلال الضفة الغربية سنة ١٩٦٧ ،سارت السلطات الاسرائيلية على نفس النهج ـ ولو باساليب اخرى ـ في ملاحقة المعلمين ومعاقبة كل معلم يتدخل في الشؤون السياسية معتمدةفي ذلك على ما ورد في (قسم جـ من المادة ١٨٢) حيث عممتها على الهيئات التدريسية والتي تنص .ـ

" يحظر على الموظف أن ينتمي الى اى حزب من الاحزاب السياسية أو ان يتشيع له ، أو أن يشترك في مظاهرات او اضرابات ،او اية اجتماعات حزبية او سياسية أو دعايات انتخابية او أن يعقد اجتماعات لانتقاد اعمال الحكومة او أن يشترك باية صورة من الصور في أى نشاط يهدف الى تحقيق تلك الغايات ."

وهناك كثيرون سجنوا او فصلوا من وظيفتهم او ابعدوا خارج الوطن بسبب تهمة سياسية او مشاركة في اضرابات من قبل السلطات الاسرائيلية .

xxxxxxx

ولعل فيما نشرته الصحف المحلية مؤخرا من تحذير وجهته السلطات الى بعض المحلات

Digitized by Birzeit University Library

العامة في رام الله تمنعها بموجبه من استقبال المعلمين في هذه المحلات والاختلاط بالناس كتجمعات لان في هذا تحريض ضد السلطة ويساعد على اثارة "الاضطرابات" ،لعل في هذا دليل على النهج الذى تمارسه السلطة ضد المعلمين وتحاول عزلهم حتى من مجرد التواجد في المحلات العامـــة .

وتمشيا مع هذا النهج اصدر الحاكم العسكرى العام للضفة الغربية ،اثناء ممارسة المعلمين لاضرابهم ،اوامر موجهة الى لجان المعلمين تطالبها "بحل نفسها ،لانها لجان غير شرعية ، وتتدخل في الامور السياسية" ، بجانب تحريضات وتحذيرات من مسؤولين آخرين في الحكم العسكرى مرورا بضباط الادارة المدنية الذى هدد المعلمين في نهاية كانون الاول سنة ١٩٨٠ في حالة عدم فك اضرابهم "فانه سيتخذ اجراءات صارمة ضدهم" وبالفعل نفذ تهديده بعد يومين واعتقلت السلطات اعضاء اللجان في جميع انحاء الضفة الغربية ووجهت سلطات الحكم العسكرى تحذيرا من انها "ستحمل المعلمين مسؤولية اية تظاهرات من قبل الطلاب في المستقبل ."

هذا ومن الجدير بالذكر، ان الممارسات السابقة شملت ايضا معلمي المدارس الخاصة والمعاهد والجامعات ،وخصوصا بعد الصلاحيات المعطاه للحكم العسكرى بعد التعديل الذى طرأ على قوانين التربية والتعليم بموجب الامر العسكرى ٨٥٤ والذى بدأت تحاول تطبيقه على المؤسسات التعليمية منذ تموز سنة ١٩٨١ ، حيث يتعرض المعلمون لاجراءات تعسفية تمنعهم من الاشتراك في الاضرابات او الاهتمام بالامور السياسية .

٣) جاء في قسم "ج" من مادة ١٨٢ " يحظر على الموظف أن يمارس بنفسه أية اعمال تجارية او صناعية او زراعية مما يؤثر على عمله الرسمي او يتعارض معه "

xxxxx

ومع أن الايجابية هي طابع هذا الفرع من المادة وذلك حرصا على سلامة العملية التربوية والتعليمية نتيجة تفرغ المعلم لها ، الا ان الوضع المعيشي المأساوى الذى تعيشه الغالبية من المعلمين اضطرتهم الى التفتيش عن عمل آخر بالفترة المسائية . وهذا بحد ذاته أمر مؤسف وضار ــ الا أن سلطات الحكم العسكرى ،بدلا من ان تلجأ الى حل المشكلة وتعمل على تحسين اوضاع المعلمين المعيشية حتى لا يضطر بعضهم الى العمل الاضافي ،زادت الطين بله وذلك بتعميمها هذه المادة مهددة المعلمين باتخاذ العقوبات ضد من يخالف ذلك .

٤) ورد في المادة ــ ٤ــ قسم ج " يضع مجلس الوزراء مشروعا للتأمين الاجتماعي والتأمين الصحي للموظفين وغيرذلك من الخدمات الكفيلة باشاعة الشعور بالاطمئنان والاستقرار النفسي والمادى لدى الموظفين ".

xxxx xxxx xxx

وهناك الروايات الكثيرة على لسان كثير من المعلمين تروى معاناتهم نتيجة مراجعاتهم

Digitized by Birzeit University Library

للمستشفيات الحكومية، سواء في الحالات البسيطة أو في الحالات التي يضطر فيها المريض الى النوم في المستشفى، وبالرغم من التأمين الصحي المجاني للمعلمين، وبمقابلة يقتطعون من راتبه (٨٥٠) شيكلا شهريا، الا أنهم يضطرون في جميع الحالات الى شراء الادوية من الخارج بسبب عدم توفرها في العيادات الحكومية .

هذا بالاضافة الى المضايقات التي يتعرض لها المعلمون في الحصول على التقارير الطبية .

٥) ورد في المادة ٥ قسم ز " على كل دائرة مختصة ، وبالتعاون مع ديوان الموظفين أن ترسم اسلوبا واضحا للشكاوى والظلامات على أن تدرس جميعها دراسة موضوعية وأن يجاب الموظف المشتكي على كل شكوى او ظلامة ."

xxxx

كم هي كثيرة الظلامات التي يتعرض لها المعلمون سواء فيما يتعلق بترفيعهم الى درجات أعلى أو بالتنقلات التعسفية التي تحدث دون مبرر قانوني كما حصل مع بداية العام الدراسي ٨٢/٨١ او ممن خفضت مراكزهم من مديري مدارس الى معلمين او ممن خفضت درجاتهـــم .

وهؤلاء بدورهم رفعوا شكاواهم الى الجهات المختصة ولم يتلقوا طيلة العام الدراسي ردودا عليهـــا .

تبنّت اللجنة العامة للمعلمين قضايا هؤلاء ،اذ رفعت اللجنة بدورها كتبا الى ضابط جهاز التربية والتعليم ،ولكنه لم يجب عليها ،حتى أنه في بعض المرات أعاد الرسائل الى مصدرها ،وفي بعضها تشطيبات "باللون الابيض" للدلالة على رفضها .

كل هذا يحدث في ظل عدم السماح بتأسيس نقابة للمعلمين تدافع عن حقوقهم في وجه المشاكل التي يتعرضون لها أثناء ممارستهم للعملية التربوية والتعليمية .

xxx xxx xxx

٦) جاء في المادة ٨ قسم ط " يقوم ديوان الموظفين بوضع التواصي حول تنشيط الموظفين وزيادة تقديرهم وتوسيع الخدمات المقدمة اليهم كالاسكان والاقتراض والجمعيات التعاونية والنوادي ،ولكن بدلا من ذلك قامت السلطات برفض اعطاء الرخص لتجمعات المعلمين بهدف تشكيل جمعيات للاسكان لتحسين ظروف سكنهم كما حدث في الفترة الاخيرة في رام الله والبيرة . ثم رفضت السلطات تأسيس ناد للموظفين كان بعض المعلمين قد تقدموا بطلب لتأسيسه قبل ثلاث سنوات .

xxx xxx xxx

٧) ورد في المادة ١٠ : ١١ يقوم ديوان الموظفين بتهيئة فرص التدريب الاداري والفني للموظفين على جميع المستويات واتخاذ الخطوات التي من شأنها رفع مستواهم الثقافي والمسلكي ومعاونة الدوائر المختصة في تنمية برامجها التدريبية مع وجوب :

"١. الاهتمام بفترة التوجيه للموظفين الذين يلتحقون بالخدمة مجددا ووضع برنامج خاص بتوجيه الموظف الجديد وتدريبه ".

Digitized by Birzeit University Library

ولكن بدلا من اهتمام ديوان الموظفين بهذه الخطوات وهي حق للمعلم ،لجأت السلطات الى توجيه كتب الى عشرات المعلمين في الضفة الغربية تتضمن الاستغناء عن خدمات البعضوعدم الموافقة على تعيين البعض الاخر بعد مرور ستة أشهر وحتى سنتين من الخدمة ،مع العلم وبعد التدقيق في قضايا هؤلاء من قبل اللجنة العامة ،تبين أن التقارير التربوية لهؤلاء كانت بشكل متفوق ،وهم من ذوى التخصصات النادرة التي تحتاجها مدارسنا

وفي بيان حول اجراءات سلطات الحكم العسكرى بحق معلمي مدارس الحكومة ،فندت اللجنة العامة للمعلمين هذه القضايا واوضحت مدى التقصير لدى المسؤولين فيجهاز التربية وعدم اهتمامهم بتوجيه المعلمين في بداية تعيينهم وعدم مساعدتهم في رفع مستواهم الثقافي والمسلكي وطرحت السؤال التالي على المسؤولين :

هل التزمتم بالاجراءات التي نصّ عليها القانون ونفذتموها حسب نصوصه ؟ ."

ثم قالت اللجنة في بيانها :

"هل هناك سلسلة من الاجراءات تبدأ بلفت النظر ومن ثمّ التنبيه وبعد ذلك الانذار ، وآخر مراحل الاجراءات هو الفصل ،هل اتبّع المسؤولون عند فصل المعلمين هذهالاجراءات والتزموا بهـــا ؟ ! "

كل هذه الممارسات تثبت بما لا يدع مجالا للشك أن سلطات الحكم العسكرى ماضية في تطبيق الامر العسكرى ٨٥٤ على مؤسساتنا التعليمية ، والذى يعطي السلطات صلاحيات واسعة في "تقرير من يحق له أن يكون تلميذا او معلما او مديرا في المناطق المحتلة بجانب منحها رخصا مؤقتة للجامعات في الضفة الغربية " وذلك في محاولة لتكريس مهنة التعليم لخدمة اغراض السلسة الاحتلالية حسب الصلاحيات التي يمنحها الامر العسكرى المذكور بشكل صريح " حق ممارسة تلك السيطرة لاغراض تتعلق "بالنظام العام" وذلك بتضييق الخناق عند منح او حجب الرخص المهنية التعليمية على الافراد الذين يعتبرهم اشخاصا غير مرضي عنهم سياسيا ،فيمكن للسلطات بموجب الاوامر الجديدة أن تستعمل نظام التعليم وصلاحية منع الاجازات التدريسية كوسيلة للتهديد والاغراء لاهداف سياسية "مقبولة" لديها على الاقل لضمان خنوع المعلمين للاحتلال وممارساتـــه .

Digitized by Birzeit University Library

الوحدة الديمقراطية كيف ؟

النظام الأردني كما لم يعرفونه ، هو نظام إرهاب وقمع واغتيال للشخصية الفلسطينية وللحريات

حفرت محاولة بعث الحياة في جسد البرلمان الاردني الهامد منذ عام ١٩٧٤ ،والتسوق بالحديث عن "الوحدة الديمقراطية التي تمت عام ١٩٥٠ بين الاردن والجزء الذي الحقه من فلسطين ،والذي أخذ يعرف باسم الضفة الغربية،حفز العديدين من الشيوخ الماضليين على استذكار احداث ذلك العام السوداء ،وبعث بعضهم بها الى "الكاتب" مساهمة منهم في تعريف أجيال الشباب ممن لم يعايشوا النظام الاردني على طبيعة هذا النظام المعادي لابسط مظاهر الديمقراطية والمشاعر الوطنيـــة

حددت السلطات الاردنية يوم الثاني عشر من نيسان عام ١٩٥٠ موعدا لاجراء الانتخابات للبرلمان الجديد.وكانت تلك هي المرة الاولى التي يدعى فيها الناس للادلاء بأصواتهم بعد نكبة عام ١٩٤٨ وهزيمة الانظمة العربية أمام جيوش العصابات الصهيونية.

قبل الموعد بأيام وزعت عصبة التحرر الوطني الفلسطيني منشورا حددت فيها مطالب الشعب الفلسطيني على النحو التالي :

١ ــ الاستمرار في النضال لاقامة الدولة الفلسطينية المستقلة بموجب قرار التقسيم الصادر عام ٤٧ .

٢ ــ عودة جميع اللاجئين الى ديارهم في مدنهم وقراهم

٣ ــ رفض محاولات النظام الاردني ضم ما تبقى من فلسطين الى شرقي الاردن.

وكان الملك عبدالله يرأس ذلك النظام وكان ابان حرب عام ٤٨ قائدا للقوات العربية

Digitized by Birzeit University Library

التي دخلت للقتال الى جانب الشعب الفلسطيني ،ولكنها بدلّ ذلك قامت بمحاصرته وتسليم ما استطاع المناضلون الفلسطينيون الحفاظ عليه من مدن وقرى الى جيش الهاغاناه كاللد والرملة وقرى المثلث ومثلث بيت جبرين ... وعوجا حفير والمجدل... الخ .

٤ – رفض قررات مؤتمر أريحـــا

وعلى ذلك دعا المنشور الجماهير الفلسطينية الى الاعلان عن رفض الانتخابات وطالبا بمقاطعتهـا

وفي اليوم التالي لصدور هذا البيان شنت قوات التحـرى "وهذا هو الاسم الذى كانت تعرف به المخابرات حملة اعتقالات وتفتيشات شملت العديد من البيوت في مختلف مدن وقرى الضفة بحثا عن المطبعة التي صدر عنها البيان واستعانت قوات التحرى بالوثائق التي استولت عليها وبها معلومات واسماء لشيوعيين فلسطينيين كانوا منتشرين ما بين عصبة التحرر الوطني ورابطة المثقفين العرب.لكن حملة التفتيش فشلت فشلا ذريعا .

وفي مدينة نابلس اندلعت مظاهرة ضخمة هتفت فيها الجماهير بسقوط المؤامرة والمتآمرين على الشعب الفلسطيني ،وبسقوط مؤتمر اريحا ونادت بقيام وحدة وطنية تضم جميع القوى الوطنية الفلسطينية التي بقيت في الضفة الغربية ،وباقامة الدولة الفلسطنية المستقلة في القسم المخصص لها حسب قرار التقسيم والدخول في مفاوضات لاجراء صلح بين العرب واليهود على اساس محاربة العنصرية والتعايش السلمي بين جميع الطوائف في فلسطيـــن

قامت قوات الجيش الاردني ،الذى كان وقتها تحت قيادة الجنرال البريطاني غلوب باشا وكان يعرف باسم الفيلق العربي ،وقوات البوليس الموروثة في عهد الانتداب بتفريق المظاهرة وملاحقة المشاركين فيها في أزقة وحوارى المدينة وحتى الجبال .وجرت مداهمة المنازل ولاول مرة بعد ثورة ١٩٣٦ جرى ضرب النساء في بيوتهن .كما جرى انتزاع الابناء من امهاتهم واقتيد الشباب الى العمارة الشرقية في المدينة "مقر الحكم العسكرى والسجن الان" ،وتحت اشراف بعض المتنفذين في مدينة نابلس وقتها .

من عمان وصلت اوامر من الملك عبدالله شخصيا . نص الاوامر كان على النحو التالي: "اينوني بهم حفاه ،مكشوفي الروؤس ،موثوقين بالحبال امام سياط الفرسان وخيولهم" .

كان حصاد هذه الحملة ٣٨ شابا أغلبهم لم يشتركوا في المظاهرة فأغلب المشتركين تمكنوا من الهرب واختطف بعضهم من الشوارع ومنهم الدكتور عزت صلاح وكان وقتها طالبا لا يتجاوز الخمسة عشر ربيعا ،نبيه لبادة ،والمرحوم رضوان الحلو ،محمد علي قويدر (يافا) ، كنعان كتانة ،ومأمون سعد الدين وروحي زيد الكيلاني وآخرين .

وخيم على نابلس في صبيحة الثامن من نيسان جو من الارهاب ووضعت الايدى على القلوب .وتنفيذا لاوامر الملك قام الجنود بربط الشبان بحبال من تلك التي تستعمل لربط الحيوانات .ربطوا الايدى من الخلف وربطوا الجميع بحبل واحد طرفه من الامام في يد فارس يمتطي حصانه ويحمل كرباجا بطول مترين وفي وسطه سيف في غمده ،وطرف الحبل

Digitized by Birzeit University Library

الثاني في يد فارس اخر خلف الطابور وهو قائد الطابور كما أحاطت خيل الفرسان بالطابور من الجانبيـــن

في الصباح الباكر بدأت رحلة العذاب ،وكان الشبان قد قضوا ليلة لم يذوقوا فيها طعم النوم ولا طعم الطعام في العراء .صاح الجنود بالشبان .امشوا وتردد الشبان لبعض الوقت لكن السياط انهالت عليهم واختلطت اصوات فرقعتها على اجسامهم بالشتائم ،اولاد زنى . وغيرها مما يعف القلم عن ذكره . وقال فارس لاخر ويبدوأنه اتقن لعبة سيده غلوب باشا ،لعبة فرق تسد ،انظر كلهم من اللاجئين .

وعلى اثر انتشار خبر بدء رحلة العذاب هذه في المدينة ،حملت الامهات والاباء الزاد والماء ولحقوا بأبنائهم . .لكن الفرسان ارغموهم على الرجوع عند نزلة الباذان .

كان روحي زيد الكيلاني يعاني من ازمة صدرية حادة ،اشتدت عليه من طول المسيرة وصعوبتها . واخذ يصيح يطلب الماء والهواء .. اريد ان اتنفس .. لكن صوت قرقعة السياط وضجيج حوافر الخيل كانت اعلى من استغاثات روحي ..وأخذت اجساد الشبان تتداعى تحت وطأة التعب والعذاب وقامت خيول الفرسان باعطائهم صدمات لاعانتهم على النهوض إ".. وامام هذا المشهد تحركت مشاعر بعض الفرسان وبدأوا في التذمر لكن الاوامر كانت واضحة وصارمة توصيلهم الى عمان حفاة مكشوفي الرأس مربوطين بالحبال ،ومن يتردد في تنفيذ الامر يربط مثلهم ...

في نابلس ساد وجوم كئيب وتوقفت حركة البيع والشراء ثم اغلقت المحال لكن القافلة ظلت تواصل طريقها .. وكان ضيق الطريق ووعورتها والغبار الخانق يقدم مساهمته في تعذيب الشبان. ولما اقتربت القافلة من مياة الباذان وقعت الكارثة فقد حاول الشبان المربوطون بالحبال الاقتراب من الماء لبل الريق ،وكان روحي قد أخذ يطلق زفرات النزاع وهو يجر جرا على الارض،وزفراته تعلو على اصوات تهديد الفرسان وشتائمهم والتي اقلها يا ابناء الفاعلة كذا .... والمشهد وقع على مرأى من الاباء والامهات الذين عادوا ولحقوا بالقافلة تعقبا لمصير ابنائهم .

وأمام هذا المشهد الاليم صاح أحد الفرسان مشيرا الى روحي : هذا يموت .. لكن الجواب جاء ليموتوا جميعهـم ..

وسقط روحي شهيدا ،أول شهيد ضد الالحاق بالاردن ومن أجل اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ،وفي سبيل السلام وضد العنصرية والعمالة ،ضد الاحتلال وضد الاستعمار وضد كل ما هو معادى للانسانية ...

وأمام الموت ،وباستشهاد المناضل الشيوعي روحي زيد الكيلاني اضطرت السلطة الاردنية للتراجع ،التراجع عن ايصالهم حفاة مكشوفي الرؤوس مربوطين بالحبال أمام الخيل وسياط الفرسان تلهب اجسامهم الى عمان . جاءوا بسيارات وحملوا من بقي حيا الى عمـــان .. ويتحدثون بلا حياء عن وحدة ديمقراطية سنة ١٩٥٠ .

Digitized by Birzeit University Library

بالقلم العريض

من هم أصحاب إعلانات التهنئة؟

بقلم . حسن صبحي

تمهيدا للقاء الفلسطيني الاردني الرسمي ،نشط زلم النظام الاردني حسب الشيفرة المرسلة لهم في عدة اتجاهات ليشكلوا ورقة ضغط لصالح النظام اهمها دفع بعض من عفى عليهم الزمن لنشر اعلانات التهنئة في الصحف ،حيث زخرت بها صحيفتا القدس والانباء الحكومية الرسميـــة

وفي هذا الاتجاه قام رجالات النظام لمحاولة جمع تواقيع على عرائض مؤيدة للاردن وبالتنسيق الفلسطيني الاردني بمفاهيم النظام .

كما قاموا بنشر شائعات بين اوساط المثقفين ادعوا فيها ان النظام سيمنح حرية القول والحركة للمثقفين ،اذ لم يعد نظام الثمانينات في الاردن نفس نظام الخمسينات ..

وكان احد الانجاهات الخطرة كذلك ،والذي يتطلب وعيا طبقيا لتفويت الفرصة على النظام المتآمر في عمان ،يتمثل في محاولة تكريس الانشقاق في الحركة النقابية في المناطق المحتلة بهدف منع نجاح اية محاولةقد تعيد اللحمة للاتحاد العام للنقابات .

وندل نظرة سريعة على نوعية ،الاعلانات التي صدرت في صحيفتي القدس والانباء على طبيعة الاوساط التي تقدمت بهذه التهاني ،لقدكانت اصناف المهنئين على النحوالتالي :

مخاتير	محاسبي قرورة	ما هو معروف من روابط القرى	رؤساء لجان بلدية معينين السلطات	جمعيات "خيرية"	مدراء مصانع	نقابات لاصحاب عمل	دكتور	مهندس	محامي	"محقق"	مدرس جامعي	رؤساء بلديات	اشخاص
٣٤	٣٣	٥	٣	٨	١٠	٢	٤	٢	٢	١	١	٤	١٠٢

المجموع : ٢١١

Digitized by Birzeit University Library

وهنا اود الاشارة الى عدة ملاحظات اولها ان عددا من المهنئين كرروا نشر اعلانات التهنئة بهدف ايهام الجماهير بزيادة حجم المؤيدين للاردن واجراءاته ،اذ بعد ذلك وبموجب احصائية دقيقة يصبح مجموع المهنئين اقل من ٢١١ بنسبة لا تقل عن ١٠/ ،وعلى سبيل المثال نشر مجلس قروى الطيبة اعلانين متتاليين مرة باسم الياس مخائيل واعضاء المجلس واخرى باسم جورج اسكندر واعضاء المجلس وكلاهما انتحل صفة الرئيس،ونشر اعلانين باسم دكتور من رام الله.

والملاحظة الثانية هي وجود اعلانات تهنئة باسم بعض المجالس القروية المجمدة منذ العام ١٩٦٧ وليس لها اثر او وجود وبعضها كمجلس كفر مالك في رام الله مثلا ،اصبحت غالبية اعضائه في ذمة الله.

الثالثة اعلانات تهنئة باسم عشيرة ،حامولة،اهالي كذا ،لم تكن هذه الاعلانات بموجب موافقة الحامولة او العشيرة او اهالي كذا مما تسبب لبعض الناشرين بسين وجيم من قبل الاهالي ومشاكل اخرى ادت الى اعتقال بعض المغفلين المعترضين في بعض المواقع.

والملاحظة الرابعة أن بعض اعضاء المجالس القروية لا يعلمون بما نشر وكان تبرير احد المخاتير عندما سئل من ذلك انه يقصد الحصول على مساعدات مالية ليس الا.

فاذا تناولنا هذا الصنف من المهنئين (المخاتير والمجالس القروية) فاننا نلاحظ ان غالبيتهم قد فقدوا الكثير من الصفات التي كانوا يتمتعون فيها في ظل النظام الاردني بحكم التغيرات الاجتماعية الكبيرة التي طرأت على المناطق المحتلة.

وبرز على الصعيد الشعبي الدور الكبير للمؤسسات الجماهيرية،كالنقابات ولجان العمل التطوعي والمرأة .... الخ.

واما الصنف الثاني من المهنئين فهم من رؤساء اللجان البلدية المعنية من قبل الاحتلال الذين جاءوا بعد اقالة المجالس البلدية المنتخبة واعضاء روابط وكلا الطرفين مرفوضين من قبل جماهير شعبنا ،اذ ان هؤلاء جزءا من الحكم العسكري ودمية في يديه. جاءوا لتنفيذ الحكم الذاتي والادارة المدنية التي قدم شعبنا في سبيل افشالها مهرا غاليا من دم شبابنا وشاباتنا.

اما نقابات اصحاب العمل ومدراء المصانع وغيرهم فتربطهم بالاردن مصالح اقتصادية مشتركة بالاضافة الى انهم انتفعوا من "أموال الصمود" وعلى هذا الاساس شكلت نقاباتهم كنقابة المتعهدين في رام الله.

وما تقدم يحدد لنا الانتماء الطبقي لهؤلاء الاشخاص من كبار الملاكين والعقاريين الذين يحاولون باسلوبهم هذا ممارسة ضغط على قيادة م.ت.ف. لاجبارها على التنسيق مع النظام الاردني باملاءاته نظرا للمنافع التي حصلت عليها من خلال علاقتها الوثيقة بالنظام

Digitized by Birzeit University Library

الاردني ودور وزارة شؤون الوطن المحتل في فتح سيل عارم من الدعم حتى اتخمت ،فجاء الوقت الذى تعبر فيه عن مصلحتها الطبقية المغايرة لمصلحة جماهير شعبنا الفلسطيني الطامحة الى التحرر والانعتاق من نير الاحتلال والوصاية الاردنية،والنتيجة الهامة التي نخلص اليها ان هؤلاء لا يمثلون قطاعات شعبية،وليس لديهم اية صفات تمثيلية لها قاعدة جماهيرية .ولا يمكن أن يشكلوا ورقة ضغط رابحة بيد النظام الاردني عند التفاوض مع الجانب الفلسطيني بل بالعكس ان الاشخاص الذين لهم صفات تمثيلية اعتبارية قالوا كلمتهم الرافضه للاجراءات الاردنية واعربوا عن تمسكهم بوحدانية تمثيل م.ت.ف .للشعب الفلسطيني وبثوابت الموقف الفلسطيني من حل القضية في بيان الخليل الجماهيرى وبيان عـــزة وفي مهرجان بيرزين الشعبي وفي الندوات التي تعقد ضد هذه الاجراءات .والحبل على الجرار.

تعقيب

بقلم : يعقوب الصايج

في العدد السادس والاربعين من الكاتب مقال للاستاذ حسين البرغوثي جاء فيه على الصفحة التاسعة والسبعين "فتوزيع المؤن لم يكن موجودا الا بعد الكارثة الفلسطينية حيث وزعت وكالة الغوث الدولية مؤنا على اللاجئين ولست أعرف عن مؤن وزعها الانكليز قبل ذلـك ".

ان الحكومة الانكليزية ابان الحرب العالمية الثانية خصصت للسكان مخصصات من المواد الغذائية،كالطحين والارز والسكر وغيرها جاعلة لكل فرد كمية من الطحين والسكر الاحمر وغيرها ووضعت هذه الكميات عند المخاتير او عند بعض اصحاب الدكاكين يدفع ثمنها بالسعر الرسمي الذى تعينه الحكومة وهذا هو شكل المؤن التي كانت توزع آنذاك .ولكن بعض التجار والمخاتير كانوا يتلاعبون بالمخصصات فبدلا من ان يعطى الفرد عشرة كيلو طحين كانوا يعطونه ثمانية وما يوفره يبيعه بالسوق السوداء اى بثلاثة اضعاف ثمنه.ومرات كان يختفي السكر والارز ومن اراد زواج ابنه وفي حاجة ماسة لهاتين المادتين كان مجبرا على شرائها بالثمن الذى يحدده التاجر او المختـار .

Digitized by Birzeit University Library

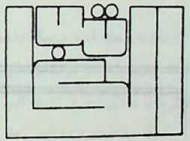

حول الجبهة الثقافية

دعوة سعدي يوسف أو الفرز الحقيقي

بقلم : زكي العيلة

النداء الذى وجهه الشاعر "سعدى يوسف" الى جميع المثقفين الوطنيين والديمقراطيين والتقدميين العرب بضرورة اقامة الجبهة الثقافية الديمقراطية يقودنا الى الحديث عن المثقف العربي نفسه الذى يتراوح بين الانتماء لذاته، أو الانتماء لجماهيره، او الانتماء لانظمة الزيف العربيـــة .

وهذا التباين في الانتماء سببه الاساسي اختلاف الوعي الفكرى والسياسي والاجتماعي للمثقف ذاته، بحيث لا يمكن اغفال هذه الحقيقة في مثل هذا المجال .

من هنا يجب الحذر في تعاملنا مع موضوعة الجبهة الثقافية حتى لا نقع في النهاية أسرى التسرع واختلاط الاوراق .. فنحمل هذه النبتة ما لا طاقة لها به، لان نجاح واستمرارية هذه الدعوة بحاجة الى عمل دؤوب وبوصلة واضحة .. فالخلل السائد المتمثل في محاولة الانظمة الرجعية العربية المرتبطة بالاهداف الامبريالية تصفية مجمل العناصر .

Digitized by Birzeit University Library

المتوهجة في الثقافة العربية نتاج طبيعي لغياب الديمقراطية التي يجب ان تكون العنصر الفاعل في انضاج وتكوين الجبهة المنتظرة لان الديمقراطية وكما يقول الشاعر "سعدى يوسف" عنصر اساسي ذو قدرة كافية مستمرة على ابداع منافذ متجددة لانشطة الجبهة وهو الذى سيظل يضمن حيويتها والتصاقها بالناس وتناول المشكلات الاكثر الحاحا ...

في مثل هذا الضوء يمكن تتبع بعض تصورات الحد الادنى العامة التي يمكن من خلالها بناء هذه الجبهة وتفعيلها مع التأكيد أن واقع بناء هذه الجبهة في المناطق المحتلة بحاجة الى وقفة أخرى :

١) بداية يجب التأكيد على ان العلاقة التي يجب ان تحكم افراد الجبهة هي "علاقة ضميرية" نابعة من احساس المثقف بقضايا شعبه وآماله بأفضلية التعبير، أقول ضميرية لان كل القوانين لا يمكن ان تصحح مسار مثقف ارتضى ان يكون دواره ريح تدور حسب مشيئة أجهزة العسف والقمـــع

٢) تصدى هذه الجبهة فكرا وممارسة لمجمل افرازات الامبريالية العالمية بشكل عام والامبركية منها بشكل خاص والصهيونية العالمية المتحالفة معها والرجعية العربية .

٣) ان واقع المثقف الفلسطيني تحت الاحتلال ـ كمثال خاص ـ يدلل على حقيقة جوهرية مفادها ان التمسك بالهوية الثقافية الوطنية هو الجدار الصلب الذى تتكسر عليه كل محاولات الاستلاب الثقافي والخنق الفكرى سواء من قبل الاحتلال المناقض للهوية الوطنية او من قبل بعض الصفحات الثقافية التي تعتاش من موائد الانظمة الرجعية بحيث لا تخرج اطروحاتها عن اطروحات عرب الاستسلام .

٤) تبصير هذه الجبهة لجماهيرها المطحونة بدور وماهية الثقافة الجادة الملتزمة مع دحض وكشف كل الاتجاهات الانهزامية العبثية السطحية التي تسود منابر الثقافة الرسمية العربية .

٥) الحوار الدائم بين مختلف التيارات الفكرية على أسس ديمقراطية وصولا الى ثقافة عربية طليعية لها ثقلها ودورها المشع وهذا لن يتحقق الا باشاعة وتعزيز مفهوم الديمقراطية..

٦) الدفاع عن حرية الفكر والتعبير، ومتابعة قضايا المثقف العربي المطارد او المحاصر داخل زنازين الانظمة او خارجهـــا ..

... ان واقع تكميم الافواه الذى تعيشه جماهيرنا العربية في ظل انظمة اختارت التذيل للامبريالية حفاظا على مصالحها الذاتية الضيقة المعادية لاهداف شعوبها، يؤكد على ان دعوة "سعدى يوسف" قد جاءت في زمنها مما يتطلب التعامل معها على أسس علمية واعية بعيدا عن اية تأثيرات سلطوية ...

الكرة الان في يد المثقفين الوطنيين والتقدميين العرب وعلى عاتقهم تقع مهمة تجهيزهـا وقولذتهـــا ...

... هي خطوة، لن تصنع المستحيل بالتأكيد، لكنها خطوة هامة على طريق الفرز والبنـاء والتقـــدم ...

Digitized by Birzeit University Library

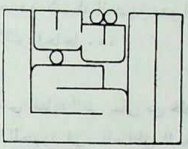

ماذا تعني العودة الى "شوقي" ؟

بقلم / علي الجريري

"(١) بطن الناس ان اعمالنا وتصرفاتنا ثمرة اختيار حر ، واننا نأخذ من احتياطي الافكار الجديدة ، تلك التي نود الدفاع عنها بالقول والفعل ، والتي من أجلها نريد ان نناضل ونتألم ، مثلما يفعل الباحث الادبي الذي ينتقي لنفسه كاتبا كلاسيكيا يقضي حياته كلها في دراسته وشرحه ، كلا ، نحن لا نمسك بالفكرة ، بل هي التي تمسك بنا وتستعبدنا وتسوقنا بالسياط الى الحلبة لنناضل كالمصارعين العبيد في سبيلها . هذا كل ما يحدث مع كل خطيب وواع حقيقي ".

ـ هاريتي ـ

ماذا تعني العودة الى "شوقي" ؟

بعد أكثر من نحو خمسين عاما على وفاته ،يعود نوع من الاكاديميين في حقل اللغة والادب الى الكتابة عنه . بعضهم يرد سهام النقد الموجعة ضده ،والبعض الاخر يعيد سيرة اولئك الذين قلدوه "نيشان الباشوية " وآخرون يجددون عهد من نصبوه اميرا "للشعراء" فنراهم مشدودين الى تلك الجمل اللامعة والشعارات الفاقعة التي يطرب لها عجوز تقليدي نسيته الايام خلفها راقصا على انغام موسيقاه،الساحرة .

ضمن مجلة الفضول الى العربي والثقافة المصرية ،وغيرها من المجلات التي تعزف لحن الحكم وتنهج سياسته الثقافية المشوهة . تحفل بالدراسات والكتابات التي تخلع على شوقي حللا من الاصباغ التجميلية كما يقول أحدهم : (٢) " احتفظ شوقي بعد رجوعة من المنفى بخاصيته المميزة له وهي ان يكون شاعر غيرة ،كان شاعر عباسي ،فأصبح شاعر

Digitized by Birzeit University Library

الشعب المصري وشاعر الشعوب العربية كلها ينبض قلبه باخلاقها وآمالها وما تكون فيه من جهاد وثورات ،واتخذ له امراء جددا مختلفين ،هم شعوب العالم ،وامراؤه في هذه المرة لا يملأون حجرة ولا جيبه ذهبا فهم لا يملكون الذهب ، وانما يقدمون حبا وعطفا وقلوبا أغلى من الذهب وأثمن. ولعل هذا ما جعل شعره ينبض بالعاطفة فهو يبادل الشعوب شعورها نحوه ،ويعمد الى قيثارته فتغنى مجدها القديم ويصور آمالها في حياة حرة كريمة ،لقد استطاع شوقي تحت تأثير الجمهور ان يحور المديح ... " ويستشهد الكاتب بابيات من مديحه العباسي وتهنئة له بالعيد في قصيدة "وداع فروق" الاستانة . ومنهاهاذان البيتان :

عروس الشرق مصر ولا أمالـي ... لقد شبت وما بلغ الرضاعـا
وعد بالعلم سؤددها فاسي ... وجدت العصر علما واختراعا

لن أعود بتقييم شعر شوقي أو محاكمته ،فالدراسات اتخمت شعره مدحا وثناءا ومقالة في التمجيد لهذا الامير ،ولكني اود الوقوف قليلا على مثل هذه الدراسات الحديثة والحديثة جدا بعد هذا الزمن الطويل من رحيل شوقي ، ومنهامقالة هذا الاستاذوالاكاديمي اللغوي.

فشوقي شاعر غيره ولا أخالفه في هذا الحكم اذا ما نظرنا الى بعض قصائده ومن زاوية واحدة ، ولكن الامانة النقدية تتطلب رؤية الكل وفي مختلف الاتجاهات فشوقي لم يكن شاعر غيره الا لانه كان شاعر ذاته ومصلحته " اذا الريح مالت مال حيث تميل" والكاتب يعترف من حيث لا يدرى بذلك ،لقد كان فعلا شاعر عباسي وغيرة وقفشعره على بلاط الامراء منكسبا ومنافقا فيظل احتدام النضال ضد الطغاة الاقطاعيين وكان هؤلاء الامراء يملأون جيوبه ذهبا ورشوة ،حرصا منهم على توظيفه كاحد ابواق دعايتهم ،وقد ظل كذلك حتى مالت الكف لصالح الشعب وقواه المناضلة ليركب الموجة ،فتحوله الى الشعب لم يكن الانتيجة هذه الظروف والمتغيرات الجديدة التي قادته وغيره الى مواقع الشعب ،حيث انتهى دور الباشوات على لهيب ثورة التغيير ورياح الثورة ،بل كثيرا ما تخاذل عندما كانت تحبط هذه الجماهير أو تتعرض لبعض النكسات .

أنسى هجاءه لاحمد عرابي بعد خروج هذا الاخير من سجنه حيث يقول شامتا .

صغار في الذهاب وفي الايـاب ... أهذا كل شأنك يا عرابـي

وأى موقف يقفه شاعر"الوطنيات"في مناضل خرج من سجنه وأى موقف يقفه السفاح عبد الحميد الثاني .ألم يثني عليهبعد ارتكابه للمجازر الجماعيةضد الارمن المسالمين في قصيدة تثير الاشمئزاز لما فيها من رثحة نتنة تنم عن النفاق السياسي واثارة النعرات الدينية ومنها قولـه : (٣)

بعا دون دينا لا يعا دون دولـة ... لقد كذبت دعوى لهم وشكـاة
ولا خير في الدنيا ولا في حقوقها ... اذا قيل طلاب الحقوق بغـاة

وإلى جانب هذا الظلم الفاظع للارمن واثارت التعصب والنزعات الدينية ارضاء لعبد الحميد يجعل البيت يسير شكرا لعبد الحميد ،وجبل عرفات يهتف بحياته والمساجد تطلب الصفح وتخشع له بقوله :

Digitized by Birzeit University Library

يكاد يسير البيت شكرا لربه — اليك ويسعى هاتفا عرفات
وتستوهب الصفح المساجد خشعا — وتبسط مراح التوبة الجمعات

وهكذا وأكثر منه ،فلا يمكن ان ننتقي افضل الابيات ونحكم عليها كما لا يمكن ان نختار مواطن ضعفه وتخاذله ونأخذها للحكم عليه فلا نصلح هذه الابيات الى مع تلك لنعطي حكما موضوعيا .. وكما لا ننسى تخاذله ونفاقه وسلبيته ،لا ننكر انه ملأ القلوب الرقيقة المرهفة بابياته العذبة وشعره الحماسي ،فالقارئ العربي في زمن شوقي وما زال يعضهم ينساق وراء عواطفه ،ولا أظن هذا الحب الملتهب لشوقي بمختلف عن حب الأب العذارى لصوت عاطفي لانه ملأ هم عاطفة وخاطب تلك العواطف تماما كما فعل شوقي .

ولا يختلف الدكتور عبد العزيز عبده هنا عن غيره عندما يعود من جديد للكتابة عنه فما قاله سبقه اليه غيره ،وليس شوقي وشعره تلك الخمرة المعتقة التي تزداد متعة كلما تقادم عليها الزمن .

"لسنا نظلم شوقي حقه "

تناول الدارسون والنقاد شوقي واتخموه بالدراسات التاريخية،وتناولوا بيئته ومراحل حياته الخاصة والادبية واسهبوا في دراسة قصائده ودواوينه شرحا وتحليلا ونقدا ، من موضوعاته في الغزل الى وطنياته وشعره الديني ،وتعرضوا لطبيعة شعره وخواصه الفنية، وتراوحت الدراسات بين ناقد محتد ،ودارس مؤله نصبه اماما للشعر حيث مات الشعر بعده .

ولم ينكر أحد من الدارسين ممن نصبوه أميرا للشعر او ممن وجهو له سهام النقد ،حق شوقي ، بل أجمعوا على حقيقة مفادها : أن شوقي أشبع متذوقيه لفترة طويلة نشوة وحماسا لم يشهده التاريخ الادبي لحركة الشعر لغيره بعد المتنبي وأبي تمام الحمداني وقد بلغ شوقي ذروته في معارضاته والتي تعتمد على المحاكاة في الوزن والقافية مستفيدا من التراث الشعرى المتقدم لفحول الشعراء ،رغم ان موقفه من شعراء التراث ومحاكاته لهم قد أصطبغ في كل مرحلة من مراحل شعره بصبغة خاصة ،فتارة يتعالى على المتنبي كقولـــه :

ولي درر الاخلاق في المدح والهوى — وللمتنبي درة وحصـــاة

كما نراه يزعم أنه أشعر من زهير في قوله :

يزرى قريض زهيرا حسن أمدحه — ولا يقاسي الى جودى لدى هـرم

وقد أشار في حديثه الى محاولاته المضنية لتقليد البحترى وقد جاء على لسانه (٢٥) "كنت كلما وقفت بحجر أو طفت بأثر . تمثلت أبيات السينية .. ثم جعلت أروض القول على هذا الروى وأعالجه على هذا الوزن حتى نظمت هذه القافية المهلهلة :

وعط البحترى ايوان كسرى — وشفتني القصور من عبد شمس

فهو هنا ليس أكثر من راقص على ايقاعات البحترى ،بالرغم من ان بعض النقاد صورة كمبدع "السيبفونية" ذات حركات وبنية خاصة.ولست هنا للرد على من يصرون على سجن

Digitized by Birzeit University Library

انفسهم مع اقلامهم للكتابة عن شوقي أو عن غيره في ثوب موشى بالعبارات المجاملة والمعاليـــة .

غير أني اسجل هذا الموقف على شوقي وأن اسجل له حقه فمطالع قصائد شوقي عناوين واحمة لذاتيته ،وهو ليس الشاعر الوحيد في عصره بهذه الذاتية كما أنه لم يكن شاعر المرحلة ،بل نشأ ونطور وانتهى شاعرا كلاسيكيا فيمحاكاته "براجماسيا" في اغراضه عرج خلف المرحلة ولم يلحق بهـا .

وتتضح ذاتية شوقي في تغيير صيغة المخاطب الى المتكلم لانه لا يستطيع ان يفلت من اسار ذاتيته بشكل من الاشكال كقولـــه :

اختلاف النهار والليل ينسي	اذكرا لي الصبا وايام انسي
انا من بدل بالكتب الصحابا	لم أجد لي وافيا الا الكتابـا
يا فؤادي لكل أمـــر قـرار	فيه يبدو ويتجلى بعد لبس

وأما ما تناوله شوقي من مواضيع جديدة ،فلم نكن هذه المواضيع حكرا على شوقي أو حتى على مكتشفي تلك المواضيع قبل شوقي ، فما ان يظهر الموضوع لاول مرة حتى تجد الايدى تتلقفه وتستنسخه مرارا فيتكرر في قصائد مختلفة الشعراء بدون تنويع جوهرى حيث المضمون والمعنى ،فالقطار والطائـــرة، يتكرر ذكرهما عنـــد شوقـــي كمـــا عنـــد الرصافي وعبد الله القاسي ومحمد بالعيد الجزائرى وغيرهم .وقد أخذ النقاد العرب (٦)

"ترون ان الشاعر المبدع يجب ان يتجاوز اطار الاستساخ الاعمى والا فانى يكون اصيلا .ان تجربة الشاعر الشخصية لا تنعكس في نتاجه المكتوب حسب مواضيع محددة وان كانت عصرية جدا ،وذلك لان هذه التجربة غير ضرورية هنا ، وذلك عندما يكون الشاعر في مثل هذا الوضع متوثبا غير قادر على تمثل التجربة والتقدم بها".

وخاتمـة القـول :

فان الذين يصرون على دفن رؤوسهم بين الاسطر الصفراء لدواوين الشعر القديم أو يعقدون قرانا كاثوليكيا مع شوقي واقرانه ، لا يحبون التراث الشعرى العربي القديم اكثر من غيرهم ،ولكنهم يناقضون مع هذا القديم بشكل موازى لنفاقهم لنظام السلطة ونهجه الثقافي وهو ما يبدو واضحا في مقالة هذا الكاتب وذاك وبشكل سافر عندما يبدأ مقالته بالاشادة في الدولة الرشيدة .وهم انما يتساقون مع المواقف السياسية لذوى الجاه والسلطان في الوقت الذى يطارد فيه هذا الحاكم وسلطاته المثقفين والشعراء والكتاب التقدميين ويزجهم في اقبية السجن ولا يتركون وسيلة الا واتبعوها في مواجهة الجبهة الثقافية التقدمية ورموزها .امثال محمود امين العالم والشاعر نجيب سرور ،وأمل دنقل .وغيرهم ممن لوحقوا لانهم وقفوا دفاعا عن التقدم والاشتراكيـــة .

Digitized by Birzeit University Library

وبعد : الا يستحق هؤلاء أن نتناولهم بالدراسة والتحليل من أعطى مصر أكثر من شعرائها الثوريين ، ومن حمى مصر من تيار الافكار الانتهازية ، من دافع عن فلاحيها وعمالها وغيطانها ؟ من صان كرامتها الوطنية غير هؤلاء ولماذا تعوضون ايها الاكاديميون عن جهلكم بالتقدم وتيار الحركة الادبية الثورية بذلك البديل المحترق .

لهذا نقول للكتاب أحترموا اقداركم ، ولا تعرجوا وراء القديم لارضاء الجاه والسلطان ، كونوا في الجبهة ومع الجبهة الثقافية التقدمية ولا تتخلوا عن الركب ، تعالوا نحو الشمس نفتش سويا عن اشعتها لنخرج العفن من الاقلام الصدئة .

الهوامـــش :-

١) الانعكاس والفعل ديالكتيك الواقعية في الابداع الفني هورست مريديكر تعريب د .فؤاد مرعي . دار الجماهير دمشق ص ١٠٣

٢) مجلة الثقافة المصرية العدد ١٠٩ ص ٨٩ من مقالة للدكتور عبد العزيز عبده ابو عبدالله

٣) ديوان الشوقيات . قصيدة نجاة في مديح عبدالحميد .

٤) ديوان الشوقيات . قصيدة نجاة في مديح عبد الحميد .

٥) مجلة الفصول مجلة النقد والادب قضايا الشعر العربي العدد ٤ ١٩٨١ ص ٢١١

٦) بحوث سوفييتية في الادب العربي ، دار التقدم موسكو مقال كوديلين ص ١٧٢

Digitized by Birzeit University Library

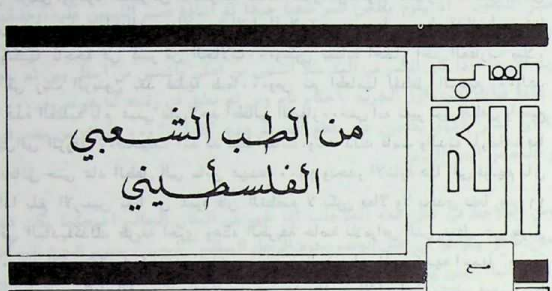

لقد عرفت منطقتنا الطب الشعبي منذ الاف السنين وكان لها منه نصيب مكتسب بالتجارب او منقول من المناطق المجاورة، وتوارثه أهلنا من مشايخهم وعجائزهم ،وكانوا يعالجون مرضاهم بخلاصة النباتات او العسل او بالكي وكثير منهم كان يعالج المريض بالرقى والعزائم ...واستطاع المعالج الشعبي ان يعرف موضع الداء وان يصف له الدواء ،وأن يعرف أجزاء الجسم وان يعالج المريض بمهارة فائقة ،وهناك اناس تخصصوا لهذا العمل وكانوا بمثابة أطباء يتوافد أليهم المرضى طلبا للعلاج كما هوالحال في عياداتنا الطبية الحديثة الان ..

والطب الشعبي الفلسطيني مثله مثل باقي الوان تراثنا الشعبي ..يجمع بين تعاليمه ووصفاته المعقول واللامعقول والحقيقة والخرافة... وبالرغم من هذا نجد ان الطب الشعبي له مكانة خاصة بين أغلب طبقات شعبنا ،وخاصة الطبقة الفقيرة الكادحة منه ،أن كان ذلك في الريف ،أو البادية .. ويعود ذلك لما تفرضه عليهم ظروف الاحتلال . في وقتنا الحالي ..

والباحث في هذا الفرع من تراثنا الشعبي يجد ان الطب الشعبي الفلسطيني لم يترك كبيرة أو صغيرة الا ووجد لها علاجا او ترك له اثرا واضحا في شفاها ...وسيلاحظ كذلك ان الطب الشعبي اعتنى بالطفل وبالتطعيم بمضادات وقائية تماما مثل اعتنائه بالانسان البالغ .

اولا : التطعيم :-

==========

ويوجد هذا الطب بكثرة في البادية ، حتى انه لا يخلو من بيت واحد ،كما انه يوجد بصورة قليلة في الريف الفلسطيني .. ويرجع ذلك لطبيعة الحياةالتي يعيشها البدوى،

Digitized by Birzeit University Library

والانسان الريفي ،ووجود الكثير من الحشرات السامة الضارة،والحوام السيارة...فلكي يأتمن شرها كان يقوم بتطعيم اطفاله منذ الاسبوع الاول للولادة من سمومها .. وطريقة التطعيم هنا بدائية ولكنها ناجحة في كثير من الحالات...وتكون بمثابة احضار احد العقارب مثلا، وقليها في زيت الزيتون بعد قتلها طبعا...ومن ثم اطعامها للطفل الرضيع...ولقد شاهدت هذه العملية بأم عيني على أحد أطفالي الصغار..حتى انه تغير لون الطفل وأصبح يميل الى الزرقة...فتخيلت أنه قد لفظ انفاسه،وبعد ذلك قامت والدته بأرضاعه فما هي الا دقائق حتى عاد الطفل الى سابق عهده..!! وتجدر الاشارة هنا الى قولهم بأن الطفل اذا بلغ الاربعين يوما من عمره فان التطعيم لا يكون فعالا ولا يجدى نفعا..!! ويوجد في البادية كذلك طريقة اخرى وهذه الطريقة خاصة للامراض التي تنقل عن طريق الرائحة...ويطلقون عليها "كرفة" فهم يأتون بنوع من البخور له رائحه كريهة أسمها "جدّة" أو بقطعة عظم من بقايا طائر من فصيلة البوم وهي تشبه البوم الا ان لها ريشتان فوق رأسها تشبه قرنا الثور ويطلقون عليها اسم "ام قرص" ويجعلون الطفل يشم رائحتها بعد وضعها في النار ، ثلاث ليالي متتالية..!!

وهناك طريقة ثالثة وهي "المحاواة" وهي يأتي رجل يطلقون عليه "حاوى" وتجد هذا الرجل واشباهه يتنقلون بين القرى ومضارب بيوت البدو يبحثون عن الاطفال والرجال الذين يرغبون في "المحاواة" ويكون الواحد منهم يحمل معه هام كبير في كيس أو على ذراعه الى آخر هذه الامور ... فعند تطعيم الطفل يمضغ الحاوى حفنة من السكر ثم يضعها في فم الطفل !!..... وتجدر الاشارة هنا الى ان بعض المعالجين في هذا الخصوص يقوم بضرب المقروص على مكان القرصة فيشفى ... وعن المحاواه لا يشترطون كم يكون عمر المطعم !!.....

ومن البديهي كذلك أن تكون هناك العطور لكي يشم رائحتها الطفل ... ويكون في مأمن من عواقبها .. فهي في اعتقادهم تسبب الرمد للعيون ، والزكام "الرشح" عند الطفل الذى لا يشمها وأمراض اخرى كثيرة !!...

ثانيا : الكسور ،

==========

عند حدوث كسر في أى جزء من الجسم لمواطن كان يأخذه اهله الى الرجل المعالج والذى يطلقون عليه اسم "المجبر" لكي يقوم بمعالجته...وفي هذه الاثناء يجب أن يكون المعالج رجلا ذا خبرة ومهارة لان العلاج في مثل هذه الامور يتطلب السرعة في العمل .... يقوم "المجبر" بتحريك أصابع اليد ،أو القدم المصاب ويشدها ثم اعادة الجزء المصاب الى موضعه الاصلي ويكون هذا خوفا من الاعوجاج في الجزء المعالج في المستقبل .. ويستخدمون في علاج مثل هذه الحالات عدة قطع من الجريد وقطعة قماش،ومزيج من مادة "المر"

Digitized by Birzeit University Library

"وعصير الليمون " اذ يقوم بطحن المر طحنا جيدا ثم اضافة عصير الليمون عليه ،وخلطهما جيدا ومن ثم يقوم بدهن العادة على المكان المصاب ،ولف قطعة القماش عليه فورا ، ثم وضع قطع الجريد الاربعة . اذا كان الكسر في اليد مثلا اثنتين من اعلى واثنتين من أسفل ومن ثم يقوم بلف قطعة قماش اخرى فوق الجريد بأحكام تام ومن ثم تعلق في رقبته كما هو معروف ... ولا يفوتنا أن نذكر بأنهم يطلقون على قطع الجريد هذه "طامات" ... وهناك من يضع فوق الكسر خليط من "المر والبيض "

ومن الملاحظ في مثل هذه العلاجات اذا طهر في المكان المعالج أعوجاجا وكان هذا الاعوجاج ظاهرا ومؤثرا في نفس الوقت ،يقوم الرجل المعالج "المجبّر" بتمرير الجزء المصاب على بخار الماء حتى يسخن "ويظهر العرق" ومن ثم يكسره مرة ثانية ،ويعيد نفس العملية السابقة الذكر ..!!

اما علاج "الفكة أو الغرسة" فهم يستخدمون في علاجهم الشعبي خيط مغزول من صوف الاغنام وشعر الماعز يطلقون عليه في البادية اسم "لسفة" فيقومون بربط هذا الخيط بشد محكم على المكان المصاب ..!!

ثالثا : ـ العلاج بواسطة الكي :ـ

==========

البدو هم الذين يستعملون هذه الطريقة في علاجهم بكثرة حتى أيامنا هذه ... ويصفون هذا الدواء لكثير من الامراض الداخلية غير الظاهرة وبعض الامراض الظاهرة..وفي مثل هذه الحالات التي تحتاج الى عملية الكي يتطلب من الرجل المعالج ان يكون حذرا وان يكون في نفس الوقت صاحب خبرة في مثل هذه الامور وأن يعرف البعد الحقيقي لموضع المكان الذى سيقوم بكيه .اذ لا يجب أن يقوم بعملية الكي في أى مكان الا في الاماكن المحددة لمعالجة المرض المطلوب علاجه... والطب الشعبي حدد مواضع العلاج لكل داء .. وأى خطأ يرتكب في عملية الكي قد تجلب وراءها سوءا لم يكن في الحسبان .. ،وفي عملية العلاج يستعملون "منجل" ذو مقبض خشبي يوضع داخل النار الى أن يسخن بعض الشيء ثم يقوم بكي المريض... وعند سؤالنا بعض من عولجوا بالكي هل شعروا بالنار عند عملية العلاج؟! أجاب الكثير منهم أنه لم يشعر بشيء الا في اليوم الثاني..!! ومن الامراض التي يعالجونها بالكي نذكر على سبيل المثال عرق النسا والرمد الربيعي ،ونوع من الدمامل يطلقون عليه اسم "نظرة" و"القطع" وهذا ينتج عن حمل أشياء ثقيلة ،ويتعرفون عليه بواسطة الجس باليد ، اذ تكون الفقرة أن المواجهتان للقلب في العمود الفقرى مفتوحتين اكثر من باقي الفقرات .. وفي علاج هذا المرض يقوم المعالج بالكي بين هاتين الفقرتين فقط.. وأن يحذر جيدا خوفا من كي العظم...!! أما الامراض سابقة الذكر فنلاحظ أن علاجها يكون على ملتقى "عروق الدم" الموصلة الى مكان المرض... في الجهة المصابة...

أما بالنسبة "للسعال الديكي" الذى يصيب الاطفال فهنا يقوم المعالج بكي الطفل على

Digitized by Birzeit University Library

القصبة الهوائية عند مدخل القفص الصدري ... وهناك من يقوم بوضع "مسمار الحديد" بعد تسخينه في الحليب المعد لارضاع الطفل ... ومن ثم ارضاع الطفل ... فأن هذه الطريقة أفضل من سابقتها فهي على الاقل تجنب الطفل الأم الكـــي ...

رابعا : العلاج بواسطة الاعشاب :-

==========

تكثر الوصفات الطبية الشعبية التي تأخذ من الاعشاب علاجات لامراضها ... ومن هذه الاعشاب ما يكون في متناول اليد ومنها ما تبحث عنه طويلا حتى تجده ... وعملية صنع الدواء من الاعشاب في الطب الشعبي بسيطة ولا تحتاج الى خبرة وعناء ... فالمريض يأتي بهذه الاعشاب أو أوراقها ، ويقوم بغليها في الماء ومن ثم يأخذ من الماء المغلي دواءا له وهناك من يمضغ الاوراق مضغا .. فمثلا أوراق شجرة جوز الهند تغلي في الماء ويوضع الماء بعد الغلي في ابريق من الفخار ثم يوضع في الهواء الطلق ليلا ... ومن ثم يأخذ المريض جرعة أو جرعتين على الريق صباحا لمدة ثلاث ايام متتالية .. وهذه الوصفة توصف للبالغ من العمر والذي يتبول بدون أراده ... وأوراق "الشيح" ماؤها المغلي توصف لمن يصاب بآلام البرد ... وأوراق الكينا ، لارتفاع الحرارة ... وهناك كذلك قشر ثمار الرمان توصف "للقرحة" وثمار الحنظل توضع في اناء فخاري محكم غطاؤه مع كمية من الماء ووضعها على النار حتى تغلي ومن ثم يجلس المريض القرفصاء والاناء الفخاري بين رجليه وتغطية المريض والاناء معا ... وهنا يقوم المريض بفتح الاناء فيخرج البخار على المريض ... وفي هذه الحالة يجب أحتجاب المريض عن الخروج من الغرفة أسبوعا كاملا ، وهذا العلاج يوصف للمريض المصاب "بالروماتيزم" وهناك طريقة ثانية وهي تسخين ثمرة الحنظل ووضع قدم الانسان المصاب عليها حتى تبرد ، ١١٠٠٠ وهناك زيت الخروع الوصفة المعروفة ... وأوراق الخروع تسخن وتوضع على بعض الدمامل ، وأوراق البصل كذلك ... وأوراق "الميرمية" توصف علاجا "للمغص" ... الى آخر هذه الوصفات الطبية التي لم تستثن نوعا من أنواع الاعشاب او ثمار الاشجار الا وكان منها علاجا ...

خامسا : علاج الامراض النفسية :-

==========

يعتمد الطب الشعبي في علاج هذه الامراض أغلب الاحيان أعادة نفس المشاهد التي مرت على المريض وتمثيلها فهناك بعض المرضى من يصابون بأمراضهم بعد سماع خبر محزن أو العكس .. فهنا يقوم المعالج بالطلب من اهل المريض أن يزفوا خبرا مشابها بدون علم المريض .. وكثيرا ما ينجح مثل هذا العلاج ... وهناك من يصاب بمرض "الخوف او الطرقة" كما يسمونها ففي مثل هذه الحالات يأتون بجمجمة انسان ويضعون بها قليلا من الماء ثم يضعونها مقابل النجوم وبعد صلاة الصبح تقريبا يقدمونها له بدون علم مسبق على سبيل أن يشرب منها كعلاج ... فهنا يرتج المريض من منظرها ... وقد يكتب له الشفاء ١١٠٠٠!

Digitized by Birzeit University Library

ومن جهة ثانية تدخل في علاجات هذه الامراض النفسية أمور كثيرة...كالاحجبة التي يعملها المشايخ والوصفات التي يصفها الفتاحون واحراق البخور وأحضار الجان وطرده وعمليات الهف أي الضرب بقطعة قماش مثلا أمور قد تدخل العقل، وقد لا تدخله البتة...

سادسا : وصفات شعبية متفرقة :-

==========

هناك بعض الامراض التي يعالجها الطب الشعبي "بالحملة" أي الامتناع عن أكل بعض الانواع مثل الموالح والمواد التي تقلى بالزيت وذلك للمرأة الحامل التي تصاب "بالرلال" وعن كل ما هو مالح مثلا للمصاب بالشلل النصفي بالاضافة الى معالجته بالتدليك وذلك لمدة أربعين يوما من الاصابـــة ...

وهناك من يستعمل قطع فضية أو ذهبية أو بعض حبات الخرز ولكل قطعة تسمية وعلاج.. فمثلا قطعة من الفضة وخرزة رمادية اللون يطلق عليها اسم "لقطة" توضع فوق العين وهذا علاج لجرح فيها من جراء ضربة عود أو ما شابه ذلك ١١٠٠٠ وهناك قطعة فضية يطلقون عليها اسم "ماسكة" وهذه القطعة تحملها المرأة البدوية الحامل خوفا من سقوط الجنين قبل الاوان .. وتحملها المرأة الريفية في بعض مناطقنا "للمسك" زوجها ١١٠٠ قطعة ذهبية يطلقون عليها "كاس" تحملها المرأة أيام ولادتها الاولى لتحمي طفلها من ما تحمله النساء الاخريات اللواتي يأتين لزيارتها ١١٠وهناك قطعة خرزية لونها بني تثبت بخيط فوق اذن الانسان الذى يشكو من آلام بها ... وقد تستبدل هذه الخرزة بقوقع حلزوني يطلقون عليه "ادنية" هناك الكف "خمسة وخميسة" تعلق ضد الحسد ١١٠٠٠

خاتمـــة

=======

مع تراكم الزمان وظهور الطب الحديث وتراجع الطب الشعبي رويدا رويدا الذى حمل في طياته خرافات ومعتقدات ما زالت متناثرة هنا وهناك...أصبحت تعكس صورتها على الطب الشعبي، وتتصف به حتى أصبحنا نعتقد بأن كل الطب الشعبي مجرد خرافات أو وصفات عجائز .. والحقيقة أن الطب الشعبي يقوم على التجربة كما الطب الحديث... فهناك العلاج الشافي ... وحتى الطب الحديث عندما تذهب الى الطبيب ويصف لك دواء يطلب مراجعته بعد اسبوع فاذا لم يتحسن المريض يصف له دواء آخر وهكذا دواليك ١١٠٠

فهذا القليل من طبنا الشعبي الذى استطعنا جمعه والذى كان يوما ما في السنين القليلة السابقة ذا شهرة كما الطب الحديث..ونحن هنا لا نقدم هذا كعلاج للامراض السابقة وانما نذكر بتراثنا لا أكثر راجين أن نفتح بابا جديدا للزملاء للبحث والتنقيب وتدوين ما تبقى من تراثنا للاجيال القادمة من ابناء شعبنا ...

هوامش :

أخذت بعض الوصفات الطبية الشعبية من السادة "عايش عبد عياش، عطوة ابو عشيبة، محمد السماعنة"

Digitized by Birzeit University Library

من قصة حياة الثائرة الأممية
تمارا بونكه بايدر

تانيا الثائرة التي لا تنسى

عن "غرانما" الجريدة الرسمية
للجنة المركزية للحزب الشيوعي الكوبي

ترجمة : سهاد هاشم

تغطي زهور الاقحوان البيضاء ضريح الثورية الاممية تانيا على مدار السنة، فاصدقاء ورفاق تانيا تعبيرا عن حبهم وتقديرهم لرفيقتهم المقاتلة في حرب العصابات اختاروا زهور الاقحوان المعروفة بزهور اللؤلؤ البيضاء والورود البيضاء .

حقا ان الزمن يتحول الى اسطورة !

من بين أصدقائها ،الصحفي "جوستا سانشير) تتبع مسيرة نضال الثائرة تانيا عن عمله كصحفي لجريدة Diario de la Taz وقام بتتبع نضال العصابات في بوليفيا حتى مقتل قائدها دو البطولة الرائعة ،ارنستو تشي غيفارا .وقد نقل احداث الوادي الكبير Valle Grande ومذبحة "قادو ديبلو" التي جرت في ٣١ آب ١٩٦٧ لمجموعة شجاعة من العصابات يقودها المقاتل الكوبي الاممي "جوكين" الذي حارب الى جانب تشي غيفارا في غابات بوليفيا .

كان جسد تانيا من بين آخر ما وجد في النهر .وبعد مقتلها تمكن جنود النظام البوليفي الرجعي من التقاط انفاسهم .فقد كانت "تانيا" بصوتها القوي ،الثابت تثير معنويات الجيش البوليفي .فهي عندما كانت تطلق صرختها المشهورة :استسلموا ولاتقاتلوا انتم اخوان لنا .ان محاربتكم للثوريين بلا قائدة .انضموا لنا" ! ،كانت معنويات الجنود تتحطم .كان لصوت "تانيا" صدى محلجل يتردد في ظلام الغابة الكثيفة .

Digitized by Birzeit University Library

وعن تأثير صوت "تانيا" على معنويات الجنود، فقد جمع الصحفي اعترافات الذين وصفوا كيف كان صوت تانيا يهزهم فيطلقون النار في الهواء وباتجاه الصوت، متوهمين بأن هناك مئات وأحيانا الاف من المقاتلين معها. وتنتشر في صفوف الجنود اشاعات بعد ذلك من أنهم يواجهون جيشا ثوريا قويا وكثير العدد.

وحينما وصل جسد تانيا الى الوادي الكبير طلبت راهبات دير قريب في المنطقة من الجنود ابقاءه ليتم تشييع جثمانها حسب المراسيم المسيحية فوافق الكولونيل فالنسيا قائد الوادي الكبير والمسؤول عن المنطقة. فأخذن الجسد وتم الباسه حسب التقاليد وغطي بقطعة قماش. وحملن الجسد الى المقبرة لدفنه، وحضر الجناز سرية من الجيش بحجة المحافظة على النظام. وقد اعترف الكولونيل فالينسيا فيما بعد أن الجنود أرادوا توديع المرأة الشجاعة التي قاتلتهم في غابات بوليفيا. واعتبروا محاربتهم لامرأة مثل تانيا هو شرف لهم. وحينما سجي نعشها الى داخل القبر، أنزل الجنود قبعاتهم ونكسوا اسلحتهم بوقفة انضباط عسكرية بصمت واحترام ثم حياها الكولونيل، وانسحب مع جنوده. وحضر مراسيم الدفن كل اهالي المدينة الذين كانوا هناك. وغطوا الضريح بالزهور وأعطي اسم "لورا غواتيارنير بويد". لم يكن أحد في بوليفيا يعرف أنها نفس المرأة التي تحمل اسم "تمارا بونك بايدر"، التي ولدت في الارجنتين لابوين المانيين، وتحمل في نفس الوقت جنسية مواطنة من جمهورية المانيا الديموقراطية، وهي مواطنة في كوبا، ومن وطني أمريكا اللاتينية، وهي شيوعية.

وكتب تشي غيفارا في مذكراته يوم ٨ ايلول ١٩٦٧ "... ذكر الراديو أن بارينتوس" قد حضر جنازة الثائرة تانيا والتي تم دفنها وفق المراسيم المسيحية، وبعد ذلك توجه الى وادي "ماوريكيو"، حيث يقيم هونورانو...".

وبارنيتوس هو رئيس بوليفيا، الذي اشترك مع نائبه في حضور مراسيم الدفن، وانتقل بعد ذلك الى بيت العميل المشهور "هونورانو" الذي اعدم على ايدي جيش التحرير في بوليفيا.

وقد وصف وزير داخلية بوليفيا انذاك انطونيو ارجويدز صوت تمارا بونك كما يلي:

"حينما خرجت تانيا من مخبئها الواقع بين كومة من الاشجار في الغابة لتصل مياه النهر رآها كمين من الجنود لاول مرة المرأة التي يعرفون صوتها القوي الثابت من قبل ان تخرج من الغابة بشعرها الاشقر، وجسدها النحيف من مشقات النضال، لقد بدت لهم كامرأة جميلة جدا. كانت ترتدي بنطلونا مبرقشا وحذاء عسكريا وسترة خضراء مثل تلك التي يرتديها رجال العصابات، اضافة الى مدفع رشاش، واطلق الجنود عليها رصاصاتهم الاولى، فرفعت يديها لتسند الرشاش من حول رقبتها لترد على النار لكن أحد الجنود ويدعى "فارجاس" عاجلها برصاصة اخترقت احدى رئتيها فماتت على الفور".

وقد عرف "أرجويدز"، "تانيا في لاباز، منتحلة شخصية "لورا غوتيريز باود" الباحثة في

Digitized by Birzeit University Library

الدراسات الفولكلورية وعلم السلالات البشرية. لقد تمكنت تمارا من التنقل في اعلى المحافل الرسمية والثقافية في لاباز لنشاطها السري المتواصل الخالي من اى عيوب ولشخصيتها القوية وثقافتها الواسعة .

وقد كان لعلاقات تمارا وصلاتها دور مهم جداً في تسهيل الارضية لقوات العصابات وفي توطيد قوات الحرس في المدينة. ان من الصعب التنبؤ كيف لم تكتشف لوريا ،الذى يعرفها كل شخص،بأنها منضوية تحت لواء تنظيم العصابات "استطاع الجنود التعرف الى لوريا التي لا يعرف اى شخص بأنها ملتزمة في تنظيم العصابات ."ولهذا السبب فقد ابدى تشي غيفارا الملاحظة التالية في مذكراته يوم ٢٧ آذار .

"من الواضح أن الذين يهربون من الخدمة العسكرية او السجناء تكلموا ونحن لا نعرف لماذا اعترفوا وكيف كانت الظروف التي انهاروا فيها ان كل المؤشرات تدل على أن "تانيا"قد كشفت شخصيتها الحقيقية .مما يعني ضياع عامين من العمل الصور والجيد".

في يوم ٩ نيسان ١٩٦٤ غادرت تانيا كوبا ،مستعينة بجواز سفر يحمل اسم "هايدى بايدل غونزليز" ،الى اوروبا الغربية ومنذ ذلك الحين بدأت حياة المقاتلة الاممية التي عرفت فيما بعد باسم تانيا الثائرة التي لا تنسى .

لقد جاءت تانيا الى كوبا لاول مرة في ١٢ مايو ١٩٦١ مرافقة ،أعضاء فرقة البالية الوطنية الكوبية التي تقودها "أليسيا الونسو" .وقد قامت بدور المترجم لاليسيا خلال جولة الفرقة في جمهورية المانيا الديمقراطية.

وكانت فرقة الباليه أول وفد ثقافي كوبي يصل الى برلين بعد انتصار الثورة في كوبا .

وبعد ذلك ،قامت تمارا بونك بمرافقة وفد رسمي عن الحكومة الثورية برئاسة الكابتن انطونيو جينير ،نائب رئيس مركز الاصلاح الزراعي القومي (INRA) وقد عملت كمترجمة لتشي غيفارا الذى كان وقتذاك رئيسا لبنك كوبا الوطني ،خلال القاء تشي محاضرة لطلبة امريكا اللاتينية الدارسين في لايبزغ في ديسمبر ١٩٦٠.

وبالنسبة لتمارا ،فان تجربتها مع جيفارا ،الذى يعتبر من مواطني الارجنتين مثلها ، مثيرة وملهمة وخصوصا بالنسبة لاولئك الطلبة الامريكيين اللاتينيين والالمان الذين كانوا يستمعون الى المحاضرة .

وكثورية ،فلم تعترف تمارا بالحدود القومية ،رغم انها كانت مرتبطة عاطفيا مع القارة التي ولدت فيها. لقد أكد لها تطور المانيا الاشتراكية ضرورة الكفاح من أجل استقلال امريكا النهائي وتطورها للافضل .كما أن حقيقة انتصار كوبا واستطاعة قادتها المنتصرين من حماية أول بلد اشتراكي في الامريكيتين في عام ١٩٦١ ،وهي الجزيرة الصغيرة التي لا تبعد سوى ٩٠ ميلا عن معقل الامبريالية الامريكية ،كل هذا أفعم قلب الشابة الشيوعية بآمال عريضة.

وخلال نشاطاتها السياسية والاجتماعية في الجامعة مع اتحاد الطلبة العالمي IUS. وعصبة الشباب الالماني الحر،اقامت تمارا علاقات صداقة مع مندوبي منظمات شبيهة في

Digitized by Birzeit University Library

امريكا اللاتينية ومن بين هؤلاء ،كارلوس أمادور مؤسس جبهة التحرير الوطنية الساندينيستية في نيكاراغوا .وبقيت في طليعة المشاركين في جميع الاحداث السياسية في الامريكيتين وانشاء حرب العصابات في جبال السييرامايسترا قامت بجمع المعلومات ،رغم انها كانت معلومات معتمرة في بعض الاحيان ،عبر الراديو وبواسطة رسائل مكتوبة ترسلها مع شان أرجنتينيين وبرازيليين،ونيكاراغويين .

وعلمت في يوم ١ كانون ثاني ١٩٥٩ أن النضال الذي يقوده فيدل كاسترو قد انتصر. وبسرعة حصلت على اناشيد "مسيرة السادس والعشرين من تموز" وقامت بترجمتها الى الالمانية على الفور.ووزعت بعد ذلك القصائد على كل معارفها وأصدقائها .ويبدو أن تمارا وأبوبها هم أول مجموعة رسخت تقاليد التضامن مع الثورة الكوبية .وتذكرت كم كان عميقا تأثرها عندما سمعت اخبار انتصار الثورة عبر الراديو.ومنذ تلك اللحظة استحوذت تمارا فكرة زيارةكوبا لكي تتحدث الى الكوبيين وتفعل مثلما فعلوا .

لقد كانت الثورة الكوبية بالنسبة اليها الحدث المادي الملموس والذي من خلاله وجدت ما يشبع حاجتها الشديدة لتقترب أكثر فأكثر من امريكا اللاتينية وقد عبّرت عن ذلك في عام ١٩٥٨ ،وهي في سن الثامنة عشرة من عمرها في اجتماع لحزب الوحدة الاشتركية الالماني التي تنتمي اليه ،فقالت :

"لقد تربيت وتعلمت أن أفكر وأتصرف كماركسية لينينية في جمهورية المانيا الديمقراطية ولذلك فقد اصبح طبيعيا بالنسبة لي أن اقاتل طوال حياتي في هذا البلد وذاك وتحت كافة الظروف في صفوف حزبنا الماركسي اللينيني .ولهذا السبب أصبحت عضوا في الحزب .وان أكثر ما اتمناه هو في العودة الى وطني ،الارجنتين ،وأقدم كل قوتي للحزب هناك .وبالطبع سأعود الى وطني بعد موافقة الحزب .لقد فكرت كثيرا في مستقبلي . ونصحني العديد من الرفاق بالدراسة وقد توصلت الى نتيجة ان الدراسة ضرورية . لسبب بسيط هو انها ستمكنني من خدمة قضيتنا بشكل أفضل عندما أكون أكثر معرفة " .

ان ابوي تمارا ،ناديا واريك بونك هما نموذج لشيوعيين ،وقد قالا تعقيبا عن رغبة ابنتهما في الذهاب الى كوبا : "ان لديها فكرة ان وجودها في كوبا سيعلمها جوهر الثورة الكوبية مما سيساعدها في عملها الثوري الذي تفكر في القيام به فيما بعد بالارجنتين . واذا كانت تفكر وتشعر أن من واجبها ان تقاتل في امريكا اللاتينية ، فليس لنا الحق في ايقافها عن ذلك."

في كوبا ، إنشغلت تمارا باشياء عديدة فقد عملت مترجمة في الكونغرس،وفي نفس الوقت عملت من أجل الجمعية الكوبية للصداقة بين الشعوب ،واشتغلت مترجمة للغة الالمانية في وزارة التعليم الكوبية،وساعدت في تنظيم الاتحاد واشتغلت كمرشدة سياحية،وصحفية في الاتحاد النسائي الكوبي ،وأنهت سنتها الدراسية الاولى في الصحافة من جامعة هافانا ومنذ اليوم الاول لوصولها كوبا فقد التحقت بلجنة الدفاع عن الثورة وعن الميليشيات وقد قامت بتسلق جبال السييرامايسترا ووصلت الى قمة جبل "توريكوينو"حيث عبرّت عن انطباعات جميلة لرحلاتها في السييرامايستيرا .منطلق رواد الثورة الكوبية الاوائل .وقد

Digitized by Birzeit University Library

احيت عدة حفلات بغنائها للاغنيات الفولكلورية الامريكية الجنوبية وكانت تعزف على الاكورديون والجيتار اثناء غنائها .وقد تنازلت عن كل المكاسب التي يحصل عليها عادة الخبراء والفنيون القادمون من الخارج باتفاق مع الحكومة الكوبية ،وعاشت ببساطة مثلما يعيش المواطنون الكوبيون على بطاقة التموين خلال تلك السنوات التي كانت من أصعب الفترات التي عاشتها الثورة الكوبية .وقد اقر الحزب الشيوعي الكوبي انتسابها للحزب كعضوة فيـــه .

وتدريجيا توقفت تمارا عن الذهاب لاماكن اعتادت على ارتيادها . واخبرت اصدقائها أنها تقوم باعداد التراجم لوزارة القوات الثورية المسلحة ؟ ،وأنها بدأت بتدريبات متنوعة لتصبح مناضلة في مجموعات ارنستو تشي غيفارا .وبعد فترة قصيرة ، انتحلت تمارا اسماء مختلفة ،فهي تمارا بونك في كوبا ،هايدى بايدل غونزل ليز في اوروبا ،ماريا ايربارني في برلين ولورا باور في امريكا الجنوبية . ولكن الاسم الذى سيخلد في ذاكرة التاريخ الى الابد هو : تانيا الثائرة التي لا تنسى .

Digitized by Birzeit University Library

ع ٤٧ ، السنة (٥) آذار ١٩٨٤

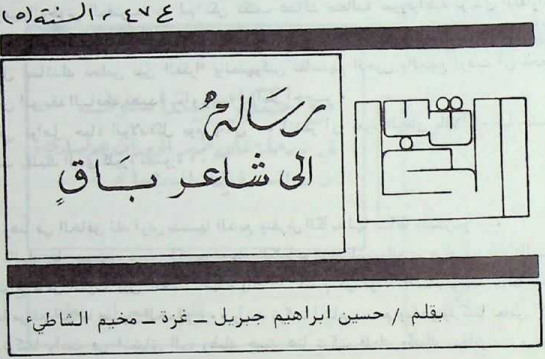

بقلم / حسين ابراهيم جبريل ـ غزة ـ مخيم الشاطئ

ـ صديقي معين بسيسو

ـ تؤلم ذاكرتي حروفك المكتوبة ـ تلك الحروف النظيفة والنابضة ..

وما تزال القصيدة التي تستعصي على الحزن وتأخذه تحضرني . وما أزال أبحث عنك حين تسقط أغنياتك الطافحة بالمرارة على برودة القلب فتغطيها بالارتعاشة وتتسلل الى حدائق المشاعر تماما كالانسام التي ما زالت تعبق برائحة الطين والذكريات القديمة .

يا عزيزي ، ها أنا أرنيك ـ أبحث عنك في السجون علني أجد حرفا منعلقا باصرار على الجدران قد تكون كتبته باصرار نادر يشبه ذاك الذى يسكنك .

أطالع الزنزانة التي أسلموك الى مراحيضها والتي يعلوها الوسخ واراك حافي القدمين شامخ الجبين أنظرك تتقزز وتتقيأ أمعاؤك .. وأنظرهم ينتظرون أن تستفرغ اعترافا او لحظة تداع واستسلام ولكني آراك شامخ تقاومهم حتى النهاية .

يريدونك أن تكون تعيسا .. وتريد أن تأنف تنطلق أغنياتك من حنجرتك كعصافير ملونة وحين تقرر سجنك كنت تعرف جيدا أنك في طريقك الى الحضن الدافئ الذى ستنعم فيه تجربتك الشعريـــة .

Digitized by Birzeit University Library

أذكرك حين قلت (أؤمن بمستقبل الشعر ... لان الشعر جزء من القضية الفلسطينية) تتحدث عن الشعوب وما تتحمل من الام ومتاعب .. تمنحها صفة ولغة يصعب أن يتحدثوا هم فيها .. لانك تعيش معهم بعقلك وروحك .. تراهم يغدون الى السجون بتجمعات كبيرة يتنازلون عن رغبتهم في التبغ مقابل لقمة خبز.. يقدمونها لهم كوجبة واحدة يوميا ..

ها أنت يا صديقي تغادر حظيرة الحياة . وما زالت الارض محملا للاموات والشحاذين والجوعى والوحوش المفترسة .. لم تكن تكتب قصائد متعالية ببروقراطية ترتدي القفازات الطويلة . وتدخن السيجار .

- كل قصائدك تجلس بين الفقراء والمنهوكين تقاسمهم الحزن والجوع أردت أن تجعل من الوريقة الساقطة قصيدة - أو وصية أو أملا أخضر .
- كي تواصل حياة الولادة كل يوم والان .. انتظر أن يعود الزمان طفلا .. كما حلمت وحملت بقلبك الذى كلوزة مقشورة ...

وهنا في الخافق لك أرض يلبسها الدمع وتفرش الكآبة لها بساطا وتستريح . .

فاليك يا صديق دربي أكتب أجمل الكلمات .. فأنت الذى حوصرت بين الصمت واجتراع كأس الموت بين انحناء الهام واحتساء السم في موائد اللئام وكنت دائما تخرج سالما مرتفع الهامة ممشوق الحسام ... وأنت تركتنا لتنام مبتسم وساخر وتركتنا نعاني الالام .. تركتنا وأنت في اشتياق الى وطنك حيث هنا تركت قلمك وكتبك ودفاترك .. تحت أنقاض ودمار الجلادين ...

فتحية لك ولابناء شعبي الذى لا يزال يصرخ ويئن من ضربات الجلادين .

× × × × ×

Digitized by Birzeit University Library

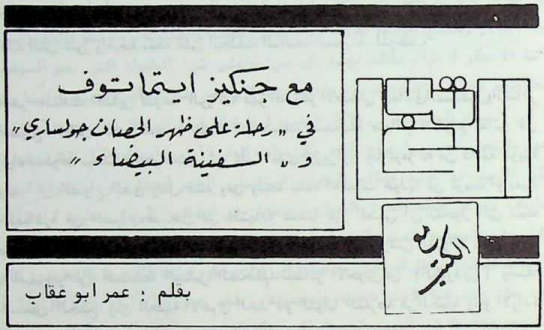

لعل أهم ما يميز روايات الكاتب السوفييتي الكبير جنكيز ايتماتوف هو الجرأة في الطرح والكشف عن الشوائب العالقة في الحياة السوفييتية. واذا كانت المهمة التي اضطلع بها مكسيم جوركي هي المساهمة من خلال رواياته في التحضير والتهيئة لقيام الثورة البروليتارية التي قادت المجتمع السوفييتي نحو الاشتراكية . . واذا كانت المهمة التي اضطلع بها الكتّاب السوفييت من امثال فاديف وسيمونوف وفير شيغورا والكسندربك هي التأريخ للبطولات الفذة التي اجترحتها الجماهير السوفييتية بقيادة الشيوعيين والتي انتهت بالانتصار العظيم على النازية وصيانة الثورة الاشتراكية وبالتالي تقديم دفعة هائلة الى عجلة العملية التاريخية السائرة بحتمية نحو الانتصار الاشتراكي على المستوى العالمي . فان المهمة التي يضطلع بها كاتبنا في اعماله الادبية لم تكن باقل اهمية . لقد اخذ ايتماتوف على عاتقه مهمة النضال الادبي ضد اية ظاهرة تتناقض مع المثل السوفييتية . وحين كانت المهمة الاصعب في البناء الشيوعي هي مهمة بناء الانسان الشيوعي لذا فان ايتماتوف يبرز من خلال شخصياته النقيضين المتصارعين أبـدا :

Digitized by Birzeit University Library

الشخصية السوفييتية المتحققة عبر نضالات الجماهير السوفييتية في المراحل المتعاقبة لثورة البروليتاريا وهي تظهر لنا في اطار مكاني شاسع مداه الوطن السوفييتي بأسره انها شخصية متجسدة في الانسان السوفييتي العادي الذي نصادفه في الرواية جنديا عاد من معركة الدفاع عن الوطن او سائقا لعربة حديثه تابعة للكولحور وتكون متجسدة احيانا في سير اولئك الذين استشهدوا دفاعا عن الوطن. ولعل ايتماتوف يريد ان يقول ان هذه الشخصية السوفييتية الخيرة العظيمة عظم الوطن غنية غناه واسعة اتساعه. الا انها رغم ذلك تبدو لنا في الاطار الزمني الضيق للرواية بعيدة لبعض الشيء بطيئه بعض الشيء وعلى طول البناء الروائي يدور صراع يكاد يكون غير مباشر مع النموذج الاخر الشخصية الذاتية الانانية البيروقراطية التي تبرز واضحة بشعة على الخلفية الناصعة المضيئة للوحة.

أما الجزء الثالث المكون للوحه الروائية فهو الجوهر الانساني المادي المستقبل والمتأثر بنتيجة الصراع. الطفل تلك الصفحة البيضاء الحساسة المنطبعة بمعالم الصراع يعاني من نتائجه ونراه مدفوعا بوحشية نحو مصير بشع على أيدي اوروزكول وما يرمز له من ذاتية شريرة جبانة شرسة ان الصراع الذي وصل قمته وفي وليمة بشعة اجتمعت حولها من قريب أو بعيد الاطراف المباشرة في الصراع. قد حل في النهاية عندما قرر الصبي أن يتحول الى سمكة ولقد تعمد ايتماتوف أن يجعله صراعا غير متوازن في الاطار الزمني للرواية، فمن جهة اوروزكول البيروقراطي المتسلط السكير المتحكم بمصائر الاخرين في (الكوردون) وضيفه المتنفذ السمين الجشع ومن الجهة الاخرى الجد ذو النوايا المفرطة في الطيبة وذو الارادة الميتة والنفسية التي تستعذب الرضوخ لتسلط الاخرين انها شخصية قدرية غيبية التفكير لم تفلح الثورة الاشتراكية والتقدم الاجتماعي والتكنيكي في اذابة جمودها التاريخي ومن هنا يكون ضعفها المستعصي. ان النوايا الطيبة لهذه الشخصية لا تقوم على اسس مادية بل على مفاهيم غيبية لا علاقة لها بالواقع الحديث للمجتمع السوفييتي وبحقائق العصر. ولذلك انهارت هذه الشخصية في صراعها مع نقيضها الشرير البشع والمتحكم بعوامل القوة المادية. ان النوايا الطيبة والمجهودات الحثيثة للجد ليست مؤشرات قوة بل هي مؤشرات ضعف ومن هنا فان الجد لم يفشل في حماية الصبي وحسب بل وجه الرصاص الى اقدس مقدساته عندما تهددت مصالحه الذاتية بالطرد من العمل. ولعل في هذا الموقف حكمة قاسية وهي أن النزعة الفاشية التي يركز ايتماتوف نضاله ضدها تستخدم نقيضها كأداه عندما يكون النقيض ضعيفا مثل الجد مأمون فهل من الصحيح ان يترك الصبي في حمايته . . . . ؟

ان الانتصار المؤقت والجزئي للنقيض الهدام الرجعي والذي ادى الى مقتل الوعول والى انتحار الصبي يبدو لنا على خلفية الحياة السوفييتية والبناء الاشتراكي أمرا لا يصدق غير أن الكاتب يبرزه لنا بفنية رائعة مستخدما المعارضة الروائية بين الجريمة البشعة والخلفية الناصعة.

Digitized by Birzeit University Library

لقد أدت المنجزات الاشتراكية الى ازاحة الطبقات الهائلة من التخلف التي تراكمت عبر قرون عديدة لا يقول لنا ايتماتوف ذلك مباشرة بل مستخدما رمزا اسطوريا فريدا ورائعا ألا وهو الوعلة الام ذات القرون فبعودتها الى غابات ايسيك كول دلالة بالغة على عودة السلام الى قلوب الناس عودة الطمأنينة الى هذه الربوع بعد فقدانها طوال الفترات التاريخية المتعاقبة حيث ساد التناحر البشع والخوف من التشكيلات الاجتماعية الاقتصادية التي سبقت الاشتراكية . هذه حقيقة لا بأس ولكن هناك حقائق اخرى فالكاتب لا يتركنا نعيش الحلم الجميل حتى النهاية فها هو يدق ناقوس الخطر مدويا صارخا بأن المهمة لم تنجز نهائيا بعد ثم يعمد الى تكسير قرونها الرائعة البهية .. وعندما تأبى القرون الرضوخ بصيبة السعار وتتشنج ضرباته معبرة عن انهزام رجولته وانسانيته ... نعم فالمهمة لم تنجز نهائيا الاخطار لا تزال ماثلة تهدد كل شيء واغلى شيء الطفولة التي يعتز السوفييتيون بانجازاتهم نحوها . التهديد يخبرنا ايتماتوف لا يقتصر على الحاضر المستقبل ايضا مهدد . واذا كان الصراع الذى دار في الاطار الضيق لرواية السفينة البيضاء قد بدى محسوما لمصرع لوعول وانتحار الصبي وانهزام الجد بكل نواياه الطيبة أمام ارادة اورزكول الشرير فهو على نطاق الاوسع قد حسم لصالح النقيض السوفييتي الخير لحظة نشر ايتماتوف لروايته فايتماتوف بشخص العلة ويحرض الجماهير ضدها .في غفلة من الزمن سيطرت ارادة الشرير اورزكول على المجتمع الصغير المنعزل في ذلك الكوردون ولكن هزيمته وهزيمة امثاله مؤكدة فهي ولدت لحظة احتفال اورزكول بانتصاره اورزكول محكوم عليه بالهزيمة والعقم فهو داخليا مجدب خاو ومن هنا كانت فاشيته وشوفينيته...لقد هزم حتى أمام قرون الوعلة التي سخرت منه وعندما قرر الصبي التحول الى سمكة لم يبق لاورزكول اى مفر فالهزيمة ضيقت خناقها حول عنقـــه ..

ولعل من السمات البارزة في روايات ايتماتوف هو استخدامه للحيوانات مكونات اساسية في الرواية. ففي رواية "وداعا يا جولساري" نلاحظ ان مأساة تانا باى كانت متوازية مع مأساة الحصان جولساري لقد سار الاثنان مسيرة تكاد تكون متشابهة بل لعله اى الكاتب تعمد ان يجعلهما متشابهين لا في المصير وحسب بل بالاصالة والشمم ونقاء الجوهر والتفاني في العمل ،حتى لكان جولساري يكون رمزا "للشيوعي تاناباى" ولذلك فقد عمقت مأساة جولساري الى حد بعيد مأساة تاناباى وبرأيي ان ذلك اسلوبا مبتكرا في احداث الصدى المطلوب للمأساة التي تكاد تعتصر قلب القارئ وتلسعه وترفعه الى درجة عالية من اليقظة والتحفز .. فالكاتب يستخدم شخصية روائية ورمزها في آن معا ... ويعطي لكل منهما استقلالية عن الاخر وبوحدها في مسيرة متوازية بحيث تنعكس مأساة كل منهما في الاخر فتضاعفها محدثة تأثيرا مركزا على القارئ .فالرصاصة التي قتلت الوعل هي نفسها عمليا التي انهت حياة الصبي الذى لم يمت غرقا وحسب بل قتل بالرصاص وقتل بالبلطة التي حطمت قرون الوعلة ... ان الارادة ذات النزعة الشوفينية التي أخصت جولساري هي نفسها

Digitized by Birzeit University Library

التي احبطت الطاقة الثورية وقمعتها عند الشيوعي تاناباى.وكلما دنت ساعة جولساري كنا نشعر بأن ساعة صاحبه قد دنت ايضا ....

وهذه النزعة الشوفينية التي يتعقبها الكاتب وينبرى لمحاربتها تعيش متطفلة خبيثة جبانة تسحق من يقف بوجهها حتى ولو كان حصانا جموحا او وعلا مطمئنا.حتى قرون الوعلة الام لا تسلم أما (المرأة) الخالة بيكية فهي تسأم صنوف الاهانة والضرب والتنكيل ان النزعة الشوفينية تخلق جوا مجدبا لا مكان للطفولة فيه . فالحملان الصغيرة تنفق والطفل الذكي لا يجد مناصا من أن يتحول الى سمكة،باحثا عن الخلاص فالحياة أقوى من الموت والامل اقوى من اليأس المطبق ويرى الطفل أمله وخلاصه في السفينة البيضاء .تلك الحقيقة الراسخة التي رآها بمنظاره انها موجودة غير بعيدة تحمل له السعادة والطمأنينة والعدالة ان السفينة البيضاء هي الشيوعية القادمة حتما والتي اصبحت على الابواب تحمل في طياتها السلام والعدل والسعادة لاطفال العالم وللبشر قاطبة.فكون الوعول قتلت والجد ضعف وانهار وشبان الكولخوز غادروا المكان بعرباتهم القوية لا يلوون على شيء هذا لا يعني ان الامل مفقود .المطلوب فقط أحد ما يستغيث وسينتبه العملاق الى الظلم الذى احاق بالصبي وبجده وبالخالة بيكية وبالحصان جولساري وبالوعول والعملاق...اذا لا بد من التحول الى سمكة تسبح في النهر وتصل البحيرة وتلحق بالسفينة البيضاء وتوقفها ... النجدة ... النجدة ثمة (ثقوب في جسم السد) وهذا بالضبط ما قام به ايتماتوف ... فالقارئ ما أن ينتهي من قراءة ايتماتوف حتى يسفر بحنق رهيب وحقد هائل على تلك الديدان البشرية.وكأنني بالقارئ السوفييتي يطوى الرواية وينهض من مقعده وقد تنبهت كل حواسه ... وغصه حارقة تعتمل في صدره يخرج الى الشارع الى العمل ... باحثا هنا وهناك عن أخطاء لديه أو لدى غيره . ان ايتماتوف لم يرحمه .. فهو يصرخ فيه . اين كنت ايها المواطن السوفييتي عندما ارتكبت هذه الجرائـــم !!

Digitized by Birzeit University Library

وفاة الكاتب السوفييتي الشهير ميخائيل شولوخوف

بعد حياة حافلة بالعطاء العظيم ،والابداع الدائم النوهج ،رحل الكاتب الشيوعي الكبير ميخائيل شولوخوف ،مخلفا للانسانية تراثا خالدا لا يموت ، لمن يبحث عن الصديق والجمال في التعبير عن معاناة وطموحات الانسان أينما كان ،الانسان الحقيقي .

ولد ميخائيل الكسندر فيتش شولوخوف في ١٩٠٥/٥/٢٤ ،في قرية كروجلين قضاء روستوف في منطقة فوشنسكي لعائلة فلاحيـة .

نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات السوفييتية في وقت مبكر من حياته ،ابتداء من عام ١٩٢٣ ،حيث نشر "قصص من الدون" و"البراري الرمادء" وصدرت له فيما بعد "الحرب الاهلية على الدون" و"الصراع الطبقي المحتدم" ومكان الانسان في التقدم الاجتماعي العظيم الجاري في الغربة" و"أحلام عن العدالة الاجتماعية الجديدة" ،غير أن العمل الادبي العظيم الذى رفعه الى مصاف وطليعة الكتاب العالميين روايته الشهيرة "الدون الهادىء" الذى ترجمت لثلاث وسبعين لغة أجنبية وصـور فيها الكاتـب الصـراع بيـن النظاميـن في عالمنا ،مسهبا في الحديث عن العلاقات الاجتماعية القديمة وضرورة النضال من أجل التخلص منها ،وتدعيم العلاقات الاجتماعية الجديدة وترسيخها ،وقد عالجت الرواية العلاقة بين الفرد والمصير التاريخي للشعب والضرورة التاريخية لحرية الاختيار ،والذى طوره شولوخوف فيما بعد في كتابة مصائر الشعوب ،وقد حاز شولوخوف على جائزة لينين ،ثم جائزة نوبل للاداب عن روايته "الدون الهادىء" وهو عضو في اكاديمية العلوم السوفييتية منذ العام ١٩٣٩ ،وبطل العمل الاشتراكي منذ العام ١٩٦٧ ،وعضو الحزب الشيوعي السوفييتي منذ العام ١٩٣٢ ،وانتخب عام ١٩٦١ ،لعضوية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي .

Digitized by Birzeit University Library

مقابلة مع الشاعر علي الخليلي

أجرى المقابلة / جميل السلحوت

- علي الخليلي
- نابلس - ١٩٤٣
- آخر كتاب صدر له رواية " ضوء في النفق الطويل " وهو الكتاب رقم ١٧ من سلسلة الكتب التي صدرت للشاعر حتى الآن ، سواء في الارض المحتلة او الخارج وسيصدر قريبا كتاب جديد بعنوان " شروط وظواهر في ادب الارض المحتلة ".

" كتبت القصيدة والقصة والرواية والبحث في الادب الشعبي . ما هو مفهومك لهذه الصنوف الادبية ، وكيف تقيمها في الارض المحتلة ؟ "

انني أفهم الادب بشكل عام ، وبأصنافه وأنماطه المختلفة ، على أنه "نوع" موحد من النشاط الانساني ، في سبيل حياة أجمل وأفضل ، فالقصيدة والقصة والرواية والبحث التراثي ، نشاط أدبي يمتاز بالتوجه الفني لتفسير الحياة والواقع ولمحاولة التغيير ، عبر

Digitized by Birzeit University Library

هذا التفسير .وبقدر ما يكون هذا التفسير عميقا وشاملا ،بقدر ما يكون التعبير المقصود ممكنا ومحتما أيضا .لذلك ،فان فهمي للقصيدة هو بالضرورة فهمي ذاته للقصة ،وكذلك البحث والرواية ،ومن البديهي أن هذا الفهم يعني المسألة العامة أو الجوهرية للادب ،أمـــا التفاصيل فيما يخص شكل القصيدة من جهة، وشكل القصة أو الرواية من جهة اخرى ،فانها حالة تتعلق بدراسة الاشكال الفنية المعنيـــة فالقصيدة بداهة ،غير القصة ،وهكـــذا .

أما تقييمي للحركة الادبية المحليـــة، أو لهذه الاشكال الادبية تحديدا ،فانـــني متفائل من حيوية البحث التراثي في الارض المحتلة ،فقد صدرت حتى الان عدة دراسات مستقلة في هذا الموضوع ،كما ان الادبـــاء الشبان يوجهون اهتماما ناضجا بالتراث الشعبـــي .

ولعل القصة القصيرة هي الابرز في النشاط الادبي ،فقد أثبتت القصةالقصيرة جدارتهـا الادبية في الارض المحتلة ،من خلال عدة سماء كرست قدراتها لها ،مثل جمال بنورة وأكرم هنية وركي العيلة وسامي الكيلاني ومحمد أيـــوب وصبحي حمدان وفضل الربماوي وغريب عسقلاني ومفيد ديكات .وان في عودة صبحي شحرورى لكتابة القصة القصيرة ،خيرا كثيرا، لابد ان يساهم في اثراء القصة المحلية ،بخاصةبعـــد صـــدور مجموعته الاولى "المعطف القديم ".

أما القصيدة فهي ،كما نعلم جميعا ،محور حركتنا الادبية المحلية ،وأهم مايميز قصيدتنـا في المرحلة الراهنة ،هوازدياد نضوجها وفعالية انتشارها بين الجماهير ،بالرغم من السهولةالتي يمكن ان تتراكم فيهابعض الحالات الركيكةالتي لا تلبث ان تزول او تنعزل .

تبقى الرواية ،وهي بداية لنا فحسب . فنحن في الارض المحتلة ما زلنا بعيدين عن العطاء الروائي الناضج والمؤثر ،نحتاج للمزيد فالمزيد من التجريب في الرواية ،حتى نستطيع ان نقول أننا نملك الرواية المحلية، وانني لا استثني نفسي في ذلك .رغم صدور روايتين لي ،حتى الان .فالرواية عمل ضخم ، يمتلئ الكاتب رهبة ازاء هذه التجربـــة . بالتأكيد ،أن تجربة سحر خليفة ذات أهمية كبيرة ،ولكنها لا تمثل ما نطمح ونسعى اليه .ان رواية الارض المحتلة ما زالت في بطن الحركة الادبية المحلية ،وأحسب ان المستقبل محتم لولادة روائية عظيمة ،بخاصة واننا ،رغم الحصار القطيع حولنا ،لنا في الروائي العظيم اميل حبيبي أعظم مساعد على خلق التأثير الايجابي لصياغة روايتنا المحلية .القادمة. ولا أعني النسخ او التقليد المباشر ،وأنمـــا عنيت الاستلهام والاستعداد للصبر والمثابرة وتكرار التجربة واستيعاب النقد .حتى تتوهج الموهبة ،وتخترق أصابعنا المقيدة كل حصار، وكل احباط أو قيـــد .

أنت متهم بالغموض في كتابـــاتـــك وخصوصا الشعر منها .وانا أقول هناك فرق بين الرمز الذي يفهمه القارئ، والرمـــز الذي يصل حد الطلاسم .فما ترد علـــى هـذه التهمـــة ؟

تهمة ؟ ولكن ،لنتفق أولا على تعريف محدد للغموض،وتعريف محدد للوضوح أيضا. هل يمكن ذلك ؟ ولعلنا من الضروري قبل ذلك أن نتفق على تعريف محدد للشعـــر ..

ان الشعر كما أرى،هو عكس الكلام الواضح الصريح اليومي العادي "والا أصبح كل كلام شعرا .وكل شعر مجرد كلام (بهذا ،أعتقد) يمكن ان نتابع مسألةالتعريف للغموض والوضوح أعني لغة الكلام ،لغةالعمل ،ولغة التفاهم "بين

Digitized by Birzeit University Library

الناس هي بالضرورة لغة الوضوح. حتى الرمز، في هذه اللغة اليومية "المعيشية"، مفهوم وواضح، رغم بعض التورية التي تم استهلاكها جيلا بعد جيل، كالامثال الشعبية التي تختزن التشابيه والمجاز والاستعارة.. الخ، ولكنها مفهومة وواضحة بحكم منطق التداول الشعبي المستمر والحي لها. أما الشعر، فانه غير هذه اللغة، وغير هذا الكلام، رغم أنه – أي الشعر، لا بد أن يتضمن بعض هذا حتما، فلا تناقض بينهما وانما يعمل الشعر من جانبه على خلق وجوده الادبي الفني في ظاهرة جمالية جديدة ومستقلة. الشعر بذلك يستوعب واقع "الوضوح" ويحوله الى لغة جميلة تماما. جميلة بالمعنى الفني الابداعي. هنا، يدخل الغموض الى حيث لا بد منه إن شعرا بلاغموض، هو في واقع الحال، ليس شعرا! كيف ؟ صحيح. اذا اتفقنا ان "المساومة" على ثمن كيلو الخبز أو البصل مثلا، ليست شعرا، ولكنها لغة هامة وضرورية في وضوحها المطلق للوصول الى ثمن محدد لا استغلال او غش فيه، اذا اتفقنا على ذلك، ندرك ان اللغة او اللوحة الفنية أو الاغذية... الخ، التي تريد ان تصل الى معاناة الواقع اليومي للحصول على رغيف الخبز أو "قنارة" البصل دون غش او استغلال ايضا هي لغة "شاعرية" لا بد ان تشتمل على "مفردات" ذات عمق ودلالة وذات قدرة على تفجير ركام المخيلة والحلم... على شكل كتابة أدبية متميزة، وبالتالي، لا بد أن تتجاوز قليلا او كثيرا ذلك الوضوح اليومي المعتاد، الى كثافة في الفكر، وكثافة في العاطفة وكثافة في الخيال. ليس الرمز وحده هنا فالرمز موجود حتى في مساومات البيع والشراء ولكنه الحلم الذي يصنع الشيء الكثير من الادب. وكلنا يعلم، أن من لا يحلم، لا يثور وأن بالتالي، من لا يثور، لا يكتب أدبا جديدا.

على أية حال، يبدو أن المسألة، من زاوية أخرى، مرتبطة بمفهوم "الطرب" في الشعر الغنائي، والطرب هنا، يعني الوضوح الى حد السذاجة أو الركاكة، وقد اعتاد القارئ منا ان يكون مجرد مستمع أكثر منه أي "شيء" آخر هو "أذن" فحسب، يحتاج بها الى كل وضوح مطلق، كي يطرب ويتجلى: يا ليل.. ويا عين... الخ ؟! ولكن القصيدة العربية الجديدة تنفر من الطرب كثيرا، بخاصة وهي تنفر من السذاجة والركاكة. لا بد من الغوص في هذه المسألة: نحن بحاجة ماسة لتكسير عشرات القوالب الجاهزة، ولحرق كثير من القش المتراكم، لا بد من لسعة الحرق، ويبدو أننا في قلب المحرقة حقا. والا كيف يمكن ان نفسر انتشار غنائيات مظفر النواب لفترة قصيرة عابرة؟! هي المحرقة الكبرى، وهي التي تفرز شاعرا بوزن محمود درويش، رغم كل ما يقال عن غموضه – قصيدته الاخيرة مثلا مديح الظل العالي – ليصبح الرمز الاول للشعر العربي المعاصر كله.

بصفتك رئيس دائرة الكتاب في الارض المحتلة، ما هو تقييمك لانجازات هذه الدائرة، وما هي ايجابياتها وسلبياتها والعقبات التي تقف في طريقها، وما هو تصورك للنهوض بها ؟ ولماذا لم ينعقد المهرجان الادبي الثالث ؟

أعتقد ان طموح دائرة الكتاب كان أكبر من امكاناتها. مع ذلك استطاعت هذه الدائرة بمشاركة أعضائها من الادباء والكتاب أن تقوم بمهرجانين أدبيين متتابعين ١٩٨١، ١٩٨٢، وتلك كانت أهم ايجابية لها، كشفت في نفس الوقت عن معظم سلبيات هذه الدائرة ذاتها. فالمهرجانان رغم أهميتهما، لم يستطيعا تمثيل أدب الارض المحتلة بالشمول الصحيح،

Digitized by Birzeit University Library

وبالعمق الناضج. وبالتالي، كان لا بد من الوقوف طويلا أمام امكانية عقد المهرجان الثالث من عدمه. وكان الافضل، كما صار، عدم قيام هذا المهرجان، طالما لم تتوفر الفرصة ليكون شاملا وممثلا لافضل حالات أدبنا المحلي.

ان دائرة الكتاب ليست رابطة، وليست جمعية مستقلة وانما هي دائرة فحسب في جمعية الملتقى الفكري العربي، وبالتالي لا تملك هذه الدائرة قرارها بنفسها، أي ان الادباء والكتاب فيها لا يملكون قرار تمثيلهم، رغم وجود الانتخابات الداخلية. فالدائرة بكل ما ينتج عنها مرتبطة بقرار الجمعية، وأرى ان هذا الواقع لا يسمح للادباء بممارسة نشاطهم باستقلالية تامة. واعتقد انه لا بد من محاولة الادباء أنفسهم للحصول على رابطة مستقلة بهم، ينشطون من خلالها، ويتحركون لتطوير حركتهم الادبية المحلية، بمساعدة ومعاضدة كل الجمعيات والنقابات في الارض المحتلة.

بصفتك محرر "الفجر الادبي" ما هو دور الصحافة المحلية في دعم الكتابات الادبية ؟

للصحافة المحلية كل الدور المباشر في دعم الكتابات المحلية. فمن خلالها نشأت الحركة الأدبية المحلية. واعتقد ان صحافتنا المحلية تعطي الاهتمام الكبير بالادب المحلي. لدينا البيادر الادبي، والكاتب، والفجر الادبي، اضافة الى الصفحات الادبية في الصحف اليومية في الارض المحتلة، ولدينا "الجديد" و"الاتحاد" و"الغد" في حيفا ... وكلها تحاول ان تكون المنبر الوطني الملتزم بتشجيع وتطوير الحركة الادبية المحلية.

مع ذلك، فأنني انتقد هذه الصحافة، بما في ذلك نفسي، لنشر بعض المحاولات الادبية المتواضعة جدا. أقول "المتواضعة" حتى لا أقول الركيكة جدا. وهي محاولات تصطف عن وعي وعن غير وعي أحيانا، وبشكل مؤسف حقا، الى جانب الكتابات الناضجة. مما يسيء لهذا النضوج والرقي في كتابتنا المحلية، والحل، في رأيي، هو اصدار مجلة خاصة بالناشئين، كما في كثير من المجتمعات. مجلة خاصة بأدب هؤلاء الشبان الجدد المتحمسين، وهي ستكون الخطوة الاولى، أو "المدرسة" الادبية التي ينتقل بعدها هؤلاء الناشئون الى المجلات الاخرى المتخصصة والناضجة، والا، واذا بقي الحال، على ما هو عليه يختلط الحابل بالنابل فأنني أخاف أن ينفر كثير من الادباء الممتازين عن النشر في الصحف والمجلات، ليكتفوا بالتالي بنشر بعض الكتب في كل عشر سنوات ١ وهناك حل آخر، مؤقت وهو فرز بعض الصفحات في كل مجلة، للأدباء الناشئين، وقد فعلت ذلك في الفجر الادبي"، فخصصت ثلاث أو اربع صفحات لهم تحت عنوان "كتابات شابة" حرصا على استمرار هؤلاء الناشئين وربطهم بالمجلات المتخصصة من جهة، وحرصا على عدم "خلط الحابل بالنابل" من جهة اخرى.

هل تعترف بوجود حركة ادبية في الارض المحتلة، وان وجدت فما هي سماتها ؟

سؤال يستفز الخاطر ١ بالتأكيد هناك حركة أدبية، وهي حركة ناضجة وهامة وأساسية

Digitized by Birzeit University Library

أن أدبنا المحلي ذو درجة ممتازة من النضوج والرقي، بشكل عام. ويجب الا ننسى في هذه الشهادة / الواقع، أننا تحت الاحتلال، وأن الرقابة لها الفعل المضاد المؤثر، رغم ذلك، فقد حققنا المسيرة، ونحن نتطور، ونحن نواصل هذا التطوير كل يوم، ولا يمكن، في المنظار العام، ان نحاسب المسألة بكمية ما نشرنا من الكتب هذا العام أو ذاك، رغم أهمية الكم طبعا – وأنما أفضل ان نرى المسألة من عمق وشمول، فنكتشف أننا قد فرضنا أنفسنا على حركة الادب الفلسطيني في كل مواقعه، والادب العربي، اضافة الى العالمي

ولو بجزء يسير وأنا أعلم ان كثيرا من قصصنا وقصائدنا قد تمّ ترجمته الى لغات عالمية، كما أن بعض كتبنا قد أعيد نشره في بعض العواصم العربية، ونحن بالتأكيد نحلم بحالات أفضل ونحلم باختراق اوسع للحصار حولنا.

أما سمات هذه الحركة، فهي أولا: المواجهة اليومية للاحتلال، أن أدبنا هو أدب مقاومة بالضرورة، وهي ثانيا: التفاؤلية المؤكدة بوعي المستقبل، وهو مستقبل يتجاوز الهزائم الحالية والمذابح المتكررة، وهي ثالثا: حركة جماعية، حركة جماهير مثقفة تحترم طليعتها الادبية وتحتضنها على حبة القلب. لذلك، تتراجع كثيرا أي ظاهرة لأي شللية أو نجمية فردية.

ما هو فهمك "للقصيدة النثرية"، وهل تعتبرها شعرا؟

كما سبق وقلنا أو سألنا: ما هو الشعر أصلا؟ هو الكلام الموزون المقفى الذي له معنى؟ بالتأكيد أنا لا أوافق على هذا التعريف. فالوزن والقافية والمعنى لا تشكل كلها مجتمعة، مفهومي للشعر. ان الشعر كما وصل المفهوم الجمالي الحديث له، هو هذه الجمالية اللغوية التي ينشط بها الانسان من أجل رؤية أجمل، وأفضل لكل الاشياء. إذن، النثر الجميل شعر، أو كما قلت أنت: "القصيدة" النثرية، وهي شعر حتما. ومن البديهي ان هذه الرؤية لا تلغي الشعر التقليدي – الكلاسيكي – العمودي – ذا التفعيلة.. الخ، وانما هي تضاف حديثا الى تراث الشعر. ان الشعر هو الشعر اذن، كان بوزن خليلي، أو كان بلا أوزان في أي نوع.

ما هو دور النقد في الارض المحتلة. وهل هناك نقد بالمفهوم العلمي لهذه الكلمة؟

سوف نقول باستمرار، الان وبعد خمسين عاما، ان الحركة النقدية الادبية غير كاملة وغير شاملة. لماذا؟ لان النقد هو "التنظير"، هو "تفعيل" الحدث الادبي كله، وبالتالي، فان الطموح النقدي كبير وحاسم دائما.

أما على مستوى نسبي، فأنني أتحسس وجود نقد محلي، بخاصة في صحافتنا المحلية، على شكل دراسات ومقالات، وهو ما نسميه بالنقد الانطباعي، وهو بالضرورة نقد هام بسبب قدرته على الوصول الى أوسع فئات القراء.

وأما بالنسبة للعلمية في الموضوع فأعتقد أن اشارات قد بدأت بالبزوغ. هناك. على سبيل المثال، دراسة عادل الاسطة حول القصة القصيرة المحلية التي نال عليها درجة الماجستير من الجامعة الاردنية، وهناك دراسة صالح أبو اصبع عن القصيدة المحلية، وهناك دراسة فخرى صالح.. وغيرهم. وهي دراسات تشير لما قصدت.

Digitized by Birzeit University Library

لم أكد أصل الى ذلك الركن المنزوى من المعسكر "والذى اعتدت الاعتكاف فيه كلما سنحت لي الفرصة بذلك" حتى سمعت ذلك الصوت يدوى بشؤم .

أوه .. ١١٠٠ انها الصافرة ..١١٠٠

وتسمرت في مكاني كالصنم أصغي .. وفقط أصغي .. وأحسست قلبي يكاد يقفز خارجا .. حيث أخذ النبض يخفق بعنف .

انهت الصافرة نعيقها وساد الصمت للحظات .. ومن خلال تكيفي وسط تلك الايكة من اشجار السرو الهرمة والباسقة الطول . اخذت ارقب بوجل شخوص زملائي العساكر وهم يقفزون من بطون خيامهم ويتوجهون كالسهام تجاه مخزن السلاح ، ومن هناك الحظهم كالشياطين وهم يقذفون باجسادهم وسط ذلك الصف الطويل من العربات المجنزرة .

ادهشني احساسي بتلك الرائحة الغريبة التي أخذت تتفاعل وحاسة شمي .. ولاول مرة عرفت بان للحركة والضجيج رائحة .. انها رائحة الموت .

وفجأة !! لست أدرى كيف ... استحضرت وجه امي الحزين .. يا الهي كم احبك يا امي ... كالحلم اراها كما لو انها تريد ان تقول لي شيئا .. ها هي على وشك ان تنطق

– شعيب ماذا دهاك (كان صوت صديقي حسان يأتيني من بعيد مستنكرا)

– هل جننت .. هلم اسرع وخذ سلاحك واتبعني .. لم يبق احد سواك .. ماذا ؟ أتريد أن ينعتك حاييم بالجبن ؟

بانفعال غريب قذف حسان بكلماته وتساؤلاته هذه .. ووخزتني آخر كلمة تفوه بها "الجبن" .. وخزتني في اعماقي وخزا اليما ، مما جعلني لا أدرى كيف وبأى سرعة وجدت نفسي ممسكا بقطعة السلاح التي تفوح منها رائحة القتل والشر ، وأطرح نفسي كشيء لا انساني على

Digitized by Birzeit University Library

مقعد سيارة الجيب ،حيث كان بمحاذاتي صديقي اياه.

وبعد موجة اخرى من الصخب والضجيج وجعير أجهزة الاتصال الثقيلة والخفيفة تحركت القافلـــة .

لم تكن هذه تجربتي الاولى..في الخالصة كنت!! وفي ترشيحا كنت!!! وفي بيسان ايضا...وفي كل مرة،أى بعد انتهاء كل معركة،كنت اشاهد تفاصيل عملية التنكيل بالجثث الثلاث .حيث غالبا هم يأتون ثلاثا ..ثلاثا .

ولكن هذه المرة،كل شيء مختلف تماما،اذ أن شيئا من ذلك العداء الذى كنت اضمره لهم..لم يعد موجودا في كياني البتة.ومن قلب هدير القافلة،احاول ان اهرب بفكرى بعيداً الى هناك،حيث بيتنا الابيض المحاط باشجار الصنوبر الوارفة الظل والكابية الاخضرار، واتذكر وجه امي الكرملي المسيح بمنديلها الهادىء الالوان كقوس قزح في أصيل يوم كانوني، وهي تتبعني بعيدا عن بوابة الحديقة بخطوات معدودات ،وذلك اثناء وداعها لي في آخر مرة، كلماتها لا زالت حتى الان محفورة في ذاكرتـي

(شعيب يا ولدى،لا تصدقهم عندما يقولون لكم عنهم بانهم مجرمون وقتلة اطفال.بل المجرمون الحقيقيون هم اولئك الذين يقصفون بالفانتومات مخيمات البؤس والصفيح ... اتذكر يا شعيب عندما قلت لي انت بنفسك ان جنرالهم الاعور هو الذى تسبب في حدوث مجزرة معلوت..انهم ابرياء مثلك يا ولدى..وكل واحد منهم له ام مثلي تنتظر...كن حذرا واياك ان تقتل احدا منهم..تحاشى ذلك يا ولدى..اتدرى ما الذى حدا بوالدك ان يسميك شعيب ؟ لقد كان يخشى ان يسرقوك منا اثناء فترة التجنيد الاجبارية.هكذا أوصاني أن أقول لك ، وذلك قبل ان يلفظ انفاسه الاخيرة تحت أغصان الدالية المقدسة) .

وافيق من حلمي اليقظ.

آه مرة ثانية مع هدير القافلة..وأجدني لا ارادياً أضع كفي على فوهة البندقية ألجمها كي أقي أنفي من رائحة القتل والشر التي تتصاعد منها..وبيدى الاخرى ألكز حسان .

– ماذا بك يا شعيب ؟

– أين نحن الان

– اجتزنا القدس وفي طريقنا نحو بيت لحم

– هكذا اذن...يبدو لي بانها ليست معركة من ذلك النوع

– اتدرى يا شعيب !!! أقسم بأن مواجهة الموت أفضل بكثير من مواجهة اطفال عزل، تلامذة صغار يتظاهرون ،بكل هذه الاعتدة والقوات .

– ولكن الى متى سنظل هكذا كالدمـــى ؟

ويتنهد حسان ويقول بصوت خافت"سوف لن نعدم الوسيلة وما عليك الا أن تحذر لانهم يتشممون رائحـة الكـلام "

ووصلنا مشارف بيت لحم كانت المدينة هائجة وشوارعها تموج بصراخ الجماهير وأجيجها

Digitized by Birzeit University Library

.. كل شيء في حالة من الغليان ،والغضب يشع من العيون والحناجر..والمظاهرات في كل مكان...وكان علينا أن نتوجه للمدارس أولا .. ووصلنا.. ترجلنا..ثم اقتحمنا..كانت صرخات كبار الضباط وهو يلقون بأوامرهم واضحة وصريحة :ـحطموا عظامهم...علموهم.. اسحقوا أصابعهم الحقيرة .

وتتمزق ذاتي ألما .أي حقد أسود ،وأي نفسية جبانة تعكسها هذه الصيحات .لقد كنا نعد بالمئات من الجنود واليهود والعرب والدروز ،وما أن وصلنا المدرسة حتى انهمرت فوق رؤوسنا المعممة بالحديد زخات من الحجارة.وفي هذه المرة جاءت الاوامر لحملة الغازات السامة والمسيلة للدموع بقذف الصبية..وكان المنظر الذى شهدته ساحة المدرسة ومداخل الصفوف بشعا ورهيبا..اذ أن الجثث الصغيرة التي أخذت تترنح من آثار الغازات ..وصراخ الاطفال الذين امتزجت دماؤهم بدموعهم ،كل ذلك كان من شأنه ان يحرك انسانية من لا انسانية له ،وعبر ابواب المدرسة اقتحمت مئات النسوة ساحةالمدرسة بوجوههن الغاضبة. وهن ينشدن حماية فلذات أكبادهن .

ووسط هذا التلاطم الناقم جاءتنا الاوامر "الاقتحام عنوة وبعنف "

Digitized by Birzeit University Library

حول المؤلف

"مارك رازومين"

الكاتب السوفيتي "مارك راروميين" يعيش في جمهورية "لاتفيا السوفيتية" وهذه الاقصوصة المترجمة من مجموعته الاولى والصادرة عن دار "الكاتب السوفيتي" تحت عنوان "الاشجار تزهر حزينا".

ترجمت أعمال الكاتب الى لغات كثيرة، وقد كتبها في أوقات مختلفة، متناولا فيها المسائل الادبية ـ الاخلاقية، ومحاولا بطريقة فلسفية ادراك مظاهر الحياة اليومية العادية، معللا معنى في جوهرها.

كتابات "مارك راروفش" مكرسة في معظمها لوضع الانسان العامل في لاتفيا الرجوازية سابقا، وكذلك في امريكا الخ. كذلك الحال يتحدث عن الانسان السوفيتي المعاصر ويؤكد بطاقته الخلقية.

كما أنه يتحدث عن العلاقات بين الناس، ملاحظا النمو والتطور الجديد. أصاب الكاتب بقلمه الحاد السائل، جميع المهملات والرواسب، وفضح نزعة البرجوازية الصغيرة وضيق الافق، والانانية، واللامبالاة.

— وقوف ! محكمـــة . .

قرأ السكرتير قرار الاتهام :

— "المتهم بدون شك . . انسان شريف، غير أن . . ."

— لماذا اذن استدعيتموني للمحكمة في هذه الحالة طالما أنني شريف !؟ اعترضت واثقا.

تابع السكرتير يقرأ .

Digitized by Birzeit University Library

– "بغض النظر عن ما تقدم ، كان المتهم طوال حياته سارقا ومختلسا .."
– هل تعترف بأنك مذنب أم لا ؟
– لا ،وألف لا !.. أنا لم أختلس أى شيء ، ولا في أى وقت كان . حاولت دائما أن ألتزم بمراعاة قوانين الحياة الانسانية العامـــة ...
– لا تتظاهر ! / فاطعني رئيس المحكمـة /. ها هي التهم الثقيلة / وبنفس الوقت دفع بزمرة من الاوراق الى الطاولة وهو يعرضها /
– أخبرنا / أكمل الرئيس / كيف استعملت في حياتك تلك الميكانيكا الدقيقة ، مثل الدمـــاغ ؟. كيف نظمت هذا الجهاز المدهش،مثل القلب؟..وماذا فعلت مع ذلك السلاح،كالروح !؟..مع كل هذه الادوات والالات الصعبة المعقدة كالاعصاب !؟.. كيف تصرفت مع كل هذه الاجهزة الدقيقة..السمع والنطق..الرأس ؟! / صمت الرئيس برهـــة /
– الوثائق تشهد كيفية استقبالك واستخدامك لعجائب الطبيعة الموهوبة هذه..انك نادرا ما سمعت الموسيقى ! ليس دائما ما لاحظت النجوم..الغابة..الحقول..جمال الطريق المنقوش..بهجة الطيور بصباح مشرق !.. وأخيرا الناس..انك لم تلاحظ الناس أنفسهم !.. لم يذكر عنك ،انك ذهبت ولو لمرة واحدة لكي تسبح عاريا في مياه بركة نظيفة ،واستنشقت بعمق هواءاً نقيا وسط الجبال الجميلة والقمم العالية !.. ماذا يمكنك أن تقول في تبريرك لكل ذلك ؟!
– لا شيء ،ولكن بماذا تتهمونني..؟ ولكن يا ترى هل أنا مالك كامل السلطة..أتلك الاشياء لـي ..!؟
– آح .. أترى ! لا زلت تنظر لكل شيء بنزعة المالك الصغير..! للاسف أنه لا يوجد في قوانين المحكمة بند خاص عن المجرمين بحق أنفسهم..ولكنك تستحق على جريمتك عقوبة كبيرة ! وسنجدها حتما... / وبدأ رئيس المحكمة بتقليب الصفحات في كتاب القوانين بسرعة / بأية تهمة قذفوني / هذا ما لم أعرفه /فقد استفقت من نومي مذعورا..! لكن منذ ذلك الوقت وهذا السؤال يعذبني :
– أية عقوبة يستحقها الانسان الذى كان يسرق نفسه طوال حياتـــه ؟!

Digitized by Birzeit University Library

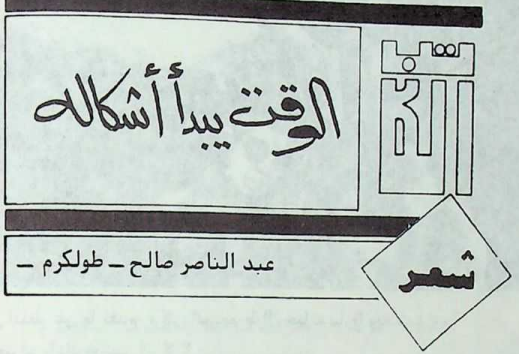

مدخل :

هلا وجع الشمس والعشب والروءية السائدة
هلا نجمه الزّمن العائده
ـ هل اوقظ عينيك في القلب
ينتفض القلب ، تخرج أغنية؟
ـ لا حدود لاغبنة الوطن المستحيل ـ
وما تَعِبَ القمح
ما تعب البرتقالُ الذى يتشكّل في الارض ،
انّ الضحيّة تنهضُ للثأر من موتها
ينهض الميّتون ، الضحايا ،
وتمتهن الارضَ أقواتها ،
والدّماءُ التي هُدِرَتْ تستعيدُ براءتها
تستعيدُ السنابلُ قاماتها
والحقولُ رياحينَها ،
والبلابلُ أصواتها
والبيوتُ تضاريسها ،
وتحتضنُ الحقيقه أجزاءها العائده.
وفي زمن الانتفاضة ينفجرُ الاحمرُ القرمزيّ
ويبتدئ الوطنُ المنتظر
ويسقُطُ بين الاخاديد زيف الصور.

الاختراق :

سأبدأ من شارع لا ينام
ومن بيدر تدّعيه الجداولُ ،
من عاملٍ لم تكلّ يداهُ عن الجهدِ
أبدأُ من قرية هامده.
ـ ولا بدّ ان أهتدي في نهاية هذا المطاف إليه
حصاناً ألِفَتْهُ معارك عينيكِ
اثقله السعيُ فوق ضباب الطريقِ
وهجر المسافاتِ ،
جسداً عالقاً بالفتوحاتِ
يركع متّكئاً فوق حدّ الحسام .
يتغرّب في الارضِ
ينْشِدُ مُدناً تتخبّأ في الوحلِ ،
أو سفناً في البحيراتِ
أو قمراً في الركام .

Digitized by Birzeit University Library

لا منزلٌ ، لا حدود له ، لا مُقام
يتغرّب في الارض
يرسم أشكاله بالدماء التي نزفت في الممرّات ،
يُنشِدُ في ظلمة الليل :
– لا تَعبري النهرَ يا امرأة الزمن المستباحة
تنسج من شعرها مدخلا للغرائز ،
تكتب بالدمّ ملحمة الموت ،
مذبورةً أنتِ للعشـــق
للغضب المتجدّد
يأتي زمانك ،
تخترقين الفراغ الذي يعتليك
الصراخ الذي يتبعثرُ حولك ،
يأتي زمانُ من الاقحوان المكثّف ،
فانتـــــظري !!

اسقاطـــات :

تداخلتْ الارضُ في جسدي كالخلايا
مدنٌ تتلوى ،وتحمل أثقالها في الصباح المبكر
تكسر أسيجة الخوف ،
بين ازدحام الشوارع بالناس صباحاً
وبين ازدحام الشوارع بالجثّث في الليل ،
تنتفضُ المدنُ العربيّة
تطلقُ أعينها باتّجاه المقادير والشهداء ،
وتكشفُ ليلَ الزلازل عابرةً
نحو كلّ الجهات .
ها أنت تبنين أحصنة ومتاريس للعشق
يا مدناً من شظايا الزهور القتيلة
يغمرها الماءُ ،
يغسل الماء ما تركته عصورُ التخلّف
ما جمّعتْهُ الاساطير والقصص البائدة

خاتمـــــه :

يأخذ الوقت أشكاله
تبدأ الارضُ موعدها
والدمّ القادم هذا دمي ،مهرة العشق ،
قمح المساكين ،جمهرةُ النسوة في العرس
شوق الساجين للشمس ،ورد البنات
الجميلات ، عشب البحيرات ، سعي المقاتل
للنصر ، اطلالة الثورة العارمة .

:::::::::::::::

أقول : سلاما على الجسد المتوحّد
تحت حراب التناقض والغفلة السائدة
سلاما على النخل والشجر المتصلّب
ألقي سلاماً على الشمس
في أردية الفقراء ،
سلاما على السفن التي ذهبت
ولكنّها السفن العائدة

Digitized by Birzeit University Library

سَبّل عيونه ومدّ إيده يحنّونه

شعر : سميح فرج

اهداء : الى الشهيدة الهام أبو زعرور
التي انتقلت من عرس الى عرس

بزغت وهي ترود
كانت تنبع من ذاكرة السامر
من مستقبل عاصفة الايدى
من خاطر الظلمة
من سابلة البسطاء ... الحدّائين المهرة
من كبد العمال ... الفلاحين ...
كانت تنبع من جبل النار على دقة موت متناغم
هذا سر حرارتها
أو سيلا ينساب طريا .. ورخيا عذبا
يتواصل فيه الشعراء .. الفقراء ..
وظلال المدن المنسوفة ،
من عينيها يشرق حدس الخيال
ويغيب الى حيث قلوب الناس
كانت تخرج من خصلة شعر
من حقبة قهر
من دالية عالية
من شبابة راع
من سنارة أم تنسج زمنا صلبا

Digitized by Birzeit University Library

من عبء رقاق وعر معتم
من قافلة سبقتها
من سارية بم تنصب بعد ...
كانت "الهام" رويدا تمشي
قبل الموت وبعد المـوت
أهلا بحمائم هذا العـام
عيبال بكلل رقتها المسكونة وطنا مسحوقا
وبرتل ضحكتهـا
أو أصداء الضحكـة
في زمن تشعل فرحته النار
كانت "الهام" رويدا تمشي
تختار الزينة من حيّ القصبة
فستان أخضر أم أحمـر ؟
هذا الابيض أجمـل
والخاتم فضـي لامـع
والاحد القادم ،يوم الفرحة ،يقترب اليها
يرفع يـده
ويدق الصدر
كانت "الهام" الجبلية تمعن صوب البحر
كي تغرق في دمعة يأسا
أو تتوحد فيهـا
وتجمع كل أغانيهـا
وتشد المركب وتغنـي
وتميد الارض المبتهجة من رقة خطوتها
ونغنيهـا
(وسبل عيونه ومد أيده .يحنونة)
والطلقة ترقـب
تتحفـز
من أين تمـر ... ؟
حتى تفتح شباكا في قلب عروس
أو تستوطن فيـه
من أين تمـر ... !؟

قفزت فوق الاعوام وقالت
أعوام الفرحة ليست زمنا عاديا
وانكسرت في عمق الصـورة
والتحمت مع موج البحر اللا متناهي

وأبت "الهام" الجبلية أن تبلغ سن العشرين ولكن

Digitized by Birzeit University Library

قصائد عراقية

شعر : محمد العراقي

(١)

خذني الى وطني
خذني الى سجني
خذني الى قبر
صغير في العراق

(٢)

في الصباحات نبحث
عن وطن للحمائم
وطن للعيون
وطن للطفولة
للوجوه التي الفناها
للقلوب التي تخترق
حاجز الصمت
تنتشل الحب سرا
في ليال غادرتها صباحاتها
تنام الحمائم في وطني
يوقظها صوت الشرطي وعصى الجلاد .

محمد العراقي : ـ شاعر شاب عراقي عضو رابطة الكتاب والصحفيين الديمقراطيين العراقيين نشر قصائده في صحف ومجلات مختلفة عربية يدرس الادب الروسي حاليا في معهد متخصص في الاتحاد السوفييتي .

Digitized by Birzeit University Library

(٣)
قمر البصرة
لا يخشى الزنج
ونجم البصرة
لن يصبح نيزك

(٤)
انا ابن دجلة
ما ارخت جدائلها
يوما ....
ولا انطفأت في حوضها النار

(٥)
في الزنزانات السرية
في وطني
انساني الفاشيون
كل الاسماء ...
اسمي ... اسمك
اسم حبيبتي السمراء
في الزنزانات السرية في وطني
يولد ابناء الفقراء

(٦)
رئتي سمائك يا عراق
والزاب يمضي نحو قلبي
هادئا .
يا فراتا صار
شرياني وريدا
ترتوي منه القبائل
والقذائف .
وانا اهاجر
جسدى التواءات الجبال
وماء دجلة كافور يطهرنا

(٧)
وطن معتقل
ضحكة هاربة
ابتسامة محكومة بالاعدام
قصيدة في قفص الاتهام
الرسائل مزقها الرقيب
والغربة تملأ الغرفة
وامي تنتظر
فكيف نهرب الوطن

(٨)
اصنع من هذى الغيمة
متراسا
لطفل يولد بعد قليل

Digitized by Birzeit University Library

الى الصديق محمد شريم

نعتذر بشدة لعدم "نشر مقالك الهام حول "الجبهة الثقافية في المناطق المحتلة" لاسباب خارجة عن ارادتنـــا .

الى الصديق محمد نجم ناشف وقصـــة "حب وأقـــدار"

أظنك تمارس كتابة القصة لاول مرة، اذ نجد اضطرابا في الافكار والاراء التي تعالجها القصة وترمي الى تصويرها فنيا ،فكيف يسوغ لشخص يحب فتاة حبا حقيقيا التخلي عنها ، وترك مصيره ومصيرها "للاقدار"وقدر ان يتجاهل الدعوة رغم نيران حبّه ،قدّر ان لا يخرج عن المألوف رغم صغر سنهما او ربما بسبب صغر سنه ،قدّر ان يجتهد في دروسه حتى يتفوّق وعندها تفعل به وبها وبحبهما الاقدار ما تشاء" .

ثم كيف يسوغ لنا ،اعتبار ذلك حبا خصوصا تلك العلاقة التي كانت النظرة والرسالة هي كل ما فيها ،فالحب تفاهم متبادل وعلاقة من نوع خاص بين اثنين .

لكل ما تقدم أرى تناقضا غير مبرر في احداث القصة .فهناك حب ثم تخلّ عن هذا الحب ،وبعد زواجها ينقم بطل القصة على المجتمع ويعتزل الناس ويهرب من القرية الى المدينة .

ان من اهم عناصر النجاح في القصة، منطقية احداثها وواقعيتها وفي اضعف الحالات الاقتراب الشديد من الواقع ،ابتغاء لمزيد من الاقناع ،وتعميق مشاعر واحاسيس القراء ، لاحداث المتعة الفكرية ،والشعورية ،ان كتابة القصة الناجحة بحاجة الى ممارسة ومطالعة طويلة للعديد من كتابات القصاصين المشهورين ،حتى تتكون لديك حصيلة فكرية واسلوبية متقدمة ،وفي تقديري أن ما ذكر يشكل شرطا اساسيا لكتابة القصة الناضجة .

الى الصديق العزيز صالح الرابي

نعتذر عن نشر القصة المترجمة التي ارسلتها الينا بعنوان (المنتقم) لانها تصور احداثا ،وتقدم مفاهيم وقيما مقلوبة عن واقع المجتمع السوفييتي الان .

Digitized by Birzeit University Library

ان صفحات المجلة مفتوحة لكل ما هو تقدمي في الفكر والثقافة الانسانية.

اننا نرحب بترجماتك القصصية التي تصب في هذا الاتجاه ونحنُ في الانتظار والاستعداد الدائم للنشر.

الصديق العزيز المحامي يوسف مرار

وصلتنا قصتك "الا تستطيع يا أمي شراءها" ونحن اذ نرحب بك وباستمرار الكتابة الينا، نعتذر لك عن نشر القصة سابقة الذكر، لاننا رأيناها أقرب الى فن الخطبة منها الى الفن القصصي، فعباراتها حماسية، ومعانيها ومدلولاتها واضحة صريحة ذات اهداف وعظية تعليمية مباشرة.

وخير دليل على ذلك حديث الام الى ابنها في القصة، ...

"معنا الناس الواعون الكاشفون لاثرياء شعارات الوطن والوطنية والقومية والدين والشرف والعرض...معنا آهات المناضلين المسجونين في الزنزانات المظلمة...معنا المكبلون تحت كراسي الزعامة...معنا المخنوقون باسم الحرية ..الخ"

ويتجلى ذلك في حديث السائق :

"الله يلعن كل واحد من هذه المنطقة.. يلعن اجدادنا وآباءنا الذين تركوا هذه الارض ..مرفوض اى سبب لتعليل تركنا لهذه الارض ...الحياة هي الارض ١٠٠ ١المذلة هي الموت ١٠٠ والموت بالعز هو الحياة "

آلا توافقنا ايها الصديق الرأى في أن مستوى لغة الام والسائق وعمق معاني ما يطرحون أعلى من المستوى الثقافي والعلمي للام والسائق معا...فاللغة وعمق المعاني تبدو لشخصيات متعلمة مثقفة نالت خطاً عاليا منهمـــا .

اضافة الى ذلك تطرح القصة قضايا أثبت الواقع مخالفتها له ،فالناس لم يفسح لهم مجال الاختيار حتى يتزرعوا في ارضهم ووطنهم بل اكرهوا على ذلك ،وكانت المؤامرة أقوى منهم ومن قدراتهم على المواجهة والتحدى.

والطفل رضوان تقدمه القصة لنا طفلا ساذجا كأنه يحيا في عالم غير عالم اهله وشعبه ،وكأنه لا يكتوى بنار الهجرةوالعيش في ظروف مهينة في المخيم ،تفرض عليه هذه الظروف فهم حقيقة وضعه او الافتراب منه.

لكل ما تقدم آثرنا عدم نشر القصة آملين منك ايها الصديق تقدير ذلك ،راغبين في استمرار التواصل بيننا .

ناصر من القدس
صاحب قصتين في برقية .

نأسف لعدم وجود مكان لمثل المادة التي أرسلتها في مجلتنا فالكاتب تسعى لتدعيم أسس ثقافة انسانية تقدمية،وتعمل على ترشيد العطية الادبية الابداعية ورعايتها وتطويرها .أما "النكت" الدارجة ومواد التسلية الفارغةمن أى مضمون فقد تجد مكانا لها في مجلات أو جرائد تهتم بهذا الامر.

Digitized by Birzeit University Library

× الاخت فاطمة ـ بنت الاحزان :

لا ندرى سبب اصرارك على تسمية نفسك "بنت الاحزان" ان الحزن المتواصل يقعد صاحبه ويمنعه من المشاركة في أى عمل من شأنه أن يغير بعض المعوقات.ان كلماتك التي ترجمت أحاسيسك نحو لوحة الفنان فتحي غبن التي نشرتها الكاتب تدل على وعي بالاشياء ومعرفة لاسبابها ،ونحن عندما نستطيع تفسير الاشياء نقدر حتما ،وبجهود مشتركة ، على تغييرها ،والحزين يرتبط بالحزن ولا يستطيع الانعتاق منه للعمل على فهم الاشياء وتفسيرها ان رسالتك تظهر مدى وعيك ومعرفتك وتتناقض تماما مع الحزن الذى تصرين على أن تكوني ابنة له.

لقد أرسلنا نسخة من كلماتك الى الفنان فتحي غبن ونأمل ان يطلنا رده قريبا ،وتحية لقولك الرائع : "لنضع سويا اشراقة شمس غدك وغدى" .

× شاكر فريد حسن، مصمص ـ المثلث :

نشكر لك اهتمامك بالكاتب ومحاولتك التعبير عن رأيك السياسي من خلالها . لقد حالت ظروف خاصة دون نشر دراستك المعنونة "لا بديل عن الوحدة الوطنية الفلسطينية وعن التحالف الفلسطيني ـ السورى ـ الوطني اللبناني " ،نكرر شكرنا لك ومعـــذرة .

× الصديق حسن جبريل ـ غـزة

نشكرك على رسالتك القيمة ،ونحيي فيك هذا الاهتمام الواعي بأمر التراث الشعبي ،ولكننا نعتقد أن مطالبة الدول العربية وأجهزتها ،وكذلك الجامعة العربية وسائر الاجهزة الرسمية بتبني برامج الحفاظ على التراث الشعبي العربي قضية لا يمكن تحقيقها لسبب بسيط جدا ،وهو التناقض الاساسي بين مفاهيم" هذه الانظمة وأجهزتها ،وبين "المفهوم" الشعبي الذى يندرج تحت التراث الشعبي

نحن نؤمن أن الجهود المبرمجة القائمة على التحليل العلمي لواقع التراث الشعبي ،كتعبير عن العلاقات الاجتماعيةالقائمة هو الاساس الذى يمكن أن تقوم عليه أى دراسة جادةأو برامج جمع المادة التراثية

ان تدوين الاغاني وجمعها مثلا عمل طويل ومستحيل ان لم يقم على منهج واضح،لاختلاف كلمات الاغنية الشعبية في كل منطقة فالاغنية تعبير عن علاقة ما قائمة على أسس اقتصادية اناغاني العمل هي تعبير عن حياة الانتاج ،وأغاني الافراح تعبير عن حياة التسرية ،وأغاني الندب تعبير الحياة الروحية وهكذا ،ومجموع هذه الحيوات ينطلق من واقع اقتصادى يشمل افراد المجتمع جميعا بما يتداولهم من علاقات انتاج قائمـــة .

وعلاقات الانتاج هذه بالطبع لها تجلياتها الاجتماعية في المجتمع الزراعي في الريف ،والذى يكاد يسم تراثنا الشعبي بسمته العامة والذى يكاد يكون محور دراسة الدارسين اليوم ،ولها تجلياتها ايضا في مجتمع الطبقة البرجوازية الصغيرة في المدن الكبيرة ،وأخيرا في المجتمع البدوى الذى كان موجودا في جنوب فلسطين .

وبعد ،فاننا نرحب بأى جهود عملية تقوم على أساس مرمج ضمن منهاج موحّد يعمل بموجبه جميع الدارسين والمهتمين بأمر التراث الشعبي .

Digitized by Birzeit University Library

لكانب اصداء ثقافية

النهج

دفاتر الماركسية اللينينية في العالم العربي

مجلس التحرير

يوسف فيصل — علي بانيب
زكي خيري — ميشيل كامل
نعيم الاشهب — اسحاق الخطيب
د. عزالدين عامر — محمود بن طالب
محمود امين العالم — د. حسين مروة
فهد الحمود — يوسف الحسن

٢

رئيس التحرير
فخري كريم

تشرين الثاني ١٩٨٢

P.O.Box 111, Prague 1, Czechoslovakia — P.O. Box 533, Nicosia, Cyprus

تصدر عن مركز الابحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي

صدر في تشرين ثاني عن مركز الابحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي العدد الثاني من مجلة "النهج" وتحتوي صفحاتها الثلاثمائة والثلاث والثمانون، على عدد كبير من المقالات والدراسات الهامة.

حيث كان محور العدد حول الاحزاب الشيوعية في البلدان العربية والقضية الفلسطينية

وأسهم في الكتابة حول المحور كل من "ماهر الشريف (فلسطين) وموريس صليبي (سوريا)، اسحق الخطيب (الاردن)، عبدالله الراشد (البحرين)، مسفر صالح (السعودية).

ونشرت المجلة مقالين بقلم جورج البطل (لبنان)، وسالم علي (السعودية) استمرار لنقاش محور العدد السابق حول حركة التحرر الوطني العربية.

كما أجرت "النهج" حوارا مع المناضل "خالد بكداش، الامين العام للحزب الشيوعي السوري حول قضايا التاريخ وقضايا الساعة.

كما تضمن العدد ثلاث موضوعات بمناسبة مائة عام على وفاة كارل ماركس، حول بداية الحركة الشيوعية في فلسطين (ماهر الشريف) ظروف دخول الافكار الماركسية الى البحرين (سعد سالم)، اعمال ماركس والمكتبة العربية (فالح عبد الجبار).

كما تناولت "النهج" مناقشة لكتاب محمد حسنين هيكل "خريف الغضب" الصراع في بيت البرجوازية الكبيرة بقلم يوسف درويش.

كذلك قدم احمد الناصري مقالا هاما في الاقتصاد وحول الطفيلية ونموها في العراق.

واشتملت النهج على مناقشة عدد من القضايا الراهنة، "الشيوعيون والنضال ضد الحرب" بقلم ف ـ زاغلادين و"نهجان في مواجهة مشكلة نزع السلاح".

هذا بالاضافة الى مجموعة من الابحاث في الادب، وعدد من القضايا الفكرية الهامة، بالاضافة الى عدد من التقارير والوثائق ومقتطفات من نشرات الاحزاب الشيوعية في البلدان العربية.

كما طالبت "النهج" باطلاق سراح المناضل د.عز الدين عامر، عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوداني وعضو مجلس تحرير "النهج"، واعلنت وقوفها الى جانب الحزب الشيوعي السوداني بمطالبة اطلاق سراح د. عامر وكافة المعتقلين.

Digitized by Birzeit University Library

مطبوعات نوفوستي في سنتها العشرين

– بين ٢١٢ دار نشر في الاتحاد السوفياتي تحتل دار نوفوستي، التي ستحتفل في عام ١٩٨٤ بذكراها العشرين، مكانا خاصا، فهي جزء من وكالة أنباء اجتماعية جرى تأسيسها عام ١٩٦١. ويسترشد هذا الجهاز الاعلامي للمنظمات الاجتماعية السوفياتية في عمله باحكام الدستور السوفياتي ويهدف الى العمل على نشر الانباء الصادقة عن الاتحاد السوفياتي في الخارج، وتعريف الاوساط الاجتماعية السوفياتية بأوجه حياة شعوب البلدان الاخرى. وبهذا تساعد وكالة انباء نوفوستي، ودار النشر التابعة لها، على تنمية وتعزيز روح التفاهم والثقة والصداقة بين الشعوب.

ان مطبوعات دار نوفوستي متنوعة، وتشمل الكتب والكراريس والالبومات والنشرات. وهي تنشر عموما ١٠٠٠ مطبوعة في السنة، بنسخ يزيد عددها الاجمالي على ٢٠ مليونا. وتتحدث هذه المطبوعات، التي تصدر بـ ٣٤ لغة من لغات شعوب العالم، عن حياة ومشاكل وانجازات الشعب السوفياتي في شتى مجالات الاقتصاد، والثقافة والتعليم، والرياضة، وعن علاقات التعاون التي تربطه بشعوب البلدان الاخرى. هذا وتلقى مذكرات الشخصيات الحكومية والاجتماعية والعسكرية السوفياتية البارزة، وكذلك كتب مسلسلة "الاتحاد السوفياتي في نظر الضيوف". شعبية واسعة لدى القراء في داخل الاتحاد السوفييتي وخارجه..

تقول يفغينيا بوتشكو
نائبة مدير قسم الاعلان
والدعاية، تقيم دار
عملية مع اكثر من ١٠٠
نشر في ٤٠ بلدا من
العام. اما اشكال التعاون
في منتهى التنوع: اعا
المخطوطات والمواد
الخاصة، وابداء العون
الاجانب في جمع واعدا
مواد في الموضوع الذي
على ان المهمة الرئيسية
هي، بالطبع، اعداد ونش
مطبوعاتها.

اصدرت الدار في عا
١٩٨٣ الكثير من الكت
الموجهة الى القارئ العر
وعلى ما تشير اليه ردود
فان الكراس "لينين
الاقتصاد الاشتراكي"، و"قام
موجز للاصطلاحات السيا
و"الهجوم الاخير"، ال
يسرد مذكرات احد المشار

في معركة برلين في أيا
مايو عام ١٩٤٥، وك
"الاتحاد السوفياتي نصي
الشعب العربي الفلسطي
وكذلك "تاريخ الاتح
السوفياتي في الصور"
اثارت اكبر الاهتمام.

استطردت يفغينيا بوتشكو

Digitized by Birzeit University Library

تقول: ان عام ١٩٨٤ سيحمل معه للقارئ العربي لقاءات ممتعة ومفيدة مع كتب تنشرها دارنا باللغة العربية، منها كراسان يضمان مختارات من مقالات وخطب وتقارير مؤسس الدولة السوفييتية فلاديمير لينين، تحت عنوان "فلاديمير لينين بصدد الديمقراطية الاشتراكية"، و"فلاديمير لينين بصدد المباريات الاشتراكية". كما زود هذان الكراسان بالتعليقات الضرورية وسيغدو كتاب التثقيف السياسي معينا جيدا للمهتمين بالعلوم الاجتماعية. فهو يضم معلومات اولية عن المجتمع وقوانين تطوره، ويشرح مقومات الانتاج الاشتراكي، والمبادئ التي تبنى عليها العلاقات بين افراد المجتمع في ظل الاشتراكية. أما كتاب "الاشتراكية، لا الرأسمالية" فيبحث بعمق — وباللجوء الى البراهين المقنعة — الحالة الراهنة للاقتصادين الرأسمالي والاشتراكي.

"بلغة الارقام" — تحت هذا العنوان سيصدر كراس بقلم ل. فولودارسكي، الذي يترأس طوال سنين عديدة وكالة الاحصاء المركزية السوفياتية. يتحدث الكراس عن تاريخ تاسيس وتنظيم خدمات الاحصاء في البلاد واهمية الاحصاء في تخطيط الاقتصاد الوطني.

اما كراس "الولايات المتحدة — الاعتماد على الانظمة الرجعية" فيبين المرتكزات العامة لنهج واشنطن الرامي الى الاطاحة بالحكومات الشرعية، التي لا ترتضيها، وكيف يقوم البيت الابيض بارساء الانظمة الديكتاتورية الرجعية في مختلف مناطق العالم ودعمها، وهو يستمد موضوعه من مادة واقعية واسعة.

دون مغالاة، يمكن القول بان رواية نيقولاي أوستروفسكي "كيف سقينا الفولاذ" تعتبر من أكثر الكتب شعبية، لا في اوساط الشباب السوفياتي فحسب، بل والاحداث في العديد من البلدان الاخرى، بما في ذلك العربية. في عام ١٩٨٤ ستصدر دار نوفوستي كتابا تحت العنوان نفسه يتحدث عن تاريخ الاتحاد السوفياتي والشخوص الادبية المحببة لدى الشباب السوفياتي. وتروى المقدمة القصيرة التي تتصدر هذا الكتاب عن الحياة — المأثرة التي عاشها نيقولاي اوستروفسكي، مؤلف الكتاب الخالد، حول بافكا كورتشاغين.

وفي الختام قالت بغينيا بوتشكوفا: ان شعار دار نوفوستي الاعلام لصالح السلام والصداقة بين الشعوب. وان مطبوعاتنا تشهد اقبالا شديدا، ونالت نجاحا لدى قراء العديد من بلدان العالم.

اصدارات جديدة بالروسية لابن مجيد وابن جبير و الشهرستاني

— في مطلع العام الحالي ١٩٨٤، صدر في موسكو كتب جديدة من التراث العربي ضمن سلسلة "آثار آداب الشرق". وعلى سبيل المثال، في مجلدين "كتاب الفوائد في مبادئ وقواعد علم الملاحة". الموسوعة البحرية العربية التي تعود للقرن الخامس عشر. ومؤلف الكتاب هو الملاح العربي المشهور احمد بن مجيد، مرشد عمارة

Digitized by Birzeit University Library

البرتغالي فاسكو دى غاما الذى قادها الى الهند. المجلدان دراسة مفصلة ونصا مخطوطا ،مع ترجمته الروسية.

وفي السلسلة ذاتها المشار اليها ،صدرت كذلك "يوميات سفر" ابن جبير الذى حج في العامين ما بين ١١٨٣ – ١١٨٥ من غرناطة الى مكة ،وتعتبر رحلته من أبرز مؤلفات الادب الجغرافي العربي .

كما صدر ،لاول مرة ،كتاب الفقيه محمد بن عبد الكريم الشهرستاني الذى عاش في القرن الثاني عشر. وهو الكتاب الشهير الذى يحمل عنوان "كتاب الملل والنحل" ، والذى يشكل موسوعة موجزة للاديان والتعاليم الدينية والفلسفية في الشرق العربي بالقرون الوسطى المأخرة.

ألف ليلة وليلة بالالمانية

– برلين الشرقية : ذكر هنا ان ترجمة المانية جديدة عن قصة ألف ليلة وليلة العربية المشهورة ظهرت في محال الكتب هنا مؤخرا .

وقيل ان الترجمة جاءت في كتابين يحتويان على ٨٠٠ صفحة بها أكثر من ٥٠ قصة وهي السابعة من سلسلة منشورات جديدة تقدمها دار نشر الادب العالمي

وضمن مترجم الرواية الالماني الشرقي شولار ماكس كتاب ألف ليلة وليلة مقدمة عن مرجع القصص التي فيه ومصطلحات عربية واسلامية رائعة .

أمل دنقل اوراق الغرفة (٨)

صدرت ،مؤخرا ،في القاهرة آخر مجموعة شعرية لامل دنقل بعد وفاته ،وهي بعنوان "أوراق الغرفة ٨" وتضم هذه المجموعة اربع عشرة قصيدة كتبها أمل قبل أن يغيبه الموت ،وفيما كان يغالبه ومن أجواء هذا الشعر المشهد الاتي :–

الطيور مشرّدة في السموات ،
ليس لها أن تحط على الارض
ليس لها غير ان تتقاذفها
فلوات الرياح ،
ربما تنتزل
كي تسترح دقائق
فوق النخيل – التماثيل
أعمدة الكهرباء
(..) ما الذى يتقى لها..
غير سكينة الذبح .
غير انتظار النهاية
ان اليد الادمية .. واهية القبضة
تعرف كيف تسن السلاح..

الطاهر وطار الى الفرنسية

في باريس صدرت في أيام اللاز للكاتب الجزائري الطاهر وطار ،باللغة الفرنسية عن منشورات "الازمنة الراهنة" قام بترجمتها بوزيد اكوزار وكتب مقدمة لها ،الكاتب المعروف هنرى الية ،ورواية اللاز تعتبر من الروايات الهامة التي تحدثت عن وقائع حرب التحرير الشعبية ..

Digitized by Birzeit University Library

لعبة الحب والثورة

تستعد فرقة النجوم للفنون المسرحية برام الله لعرض مسرحيتها الجديدة "لعبة الحب والثورة" وهي من تاليف الكاتب المسرحي رياض عصمت واخراج يعقوب اسماعيل حيث يبدأ عرضها مع بداية شهر نيسان بمنطقة رام الله، وسيتم عرضها في بقية المناطق المحتلة، والمسرحية تعالج قضايا اساسية متعلقة بالوضع الحالي، عربيا ومحليا.

طيور نفي ترتسا

"طيور نفي ترتسا" كتاب للمحامي وليد الفاهوم يصدر قريبا في الناصرة معالجا فيه قضايا السجينات الفلسطينيات في سجن النساء الاسرائيلي "نفي ترتسا" كما يعالج قضية تحرير المرأة الفلسطينية من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. معتبرا ان الفتاة الفلسطينية حطمت الحواجز والعقبات التقليدية المفروضة في مجتمعنا.

قصص من بلاد الفقراء

صدر ليوسف القعيد الكاتب المصري مؤخرا في القاهرة مجموعة قصصية جديدة بعنوان "قصص من بلاد الفقراء" وهي تجميع لاعماله القصصية التي كتبها مؤخرا، ويوسف القعيد علامة ادبية بارزة قدم وما زال يقدم للحياة الروائية والقصصية العربية انتاجا خصبا.

"بير الشوم"

رواية الكاتب الفلسطيني فيصل حوراني "بير الشوم" اصبحت مسلسل تلفزيوني من ١٣ حلقة، اخرجها المخرج العراقي فيس الزبيدي، والرواية تحكي قصة القرنتان" المسمية الكبيرة" و" المسمية الصغيرة" خلال حرب ١٩٤٨، وهما اشبه بقرية واحدة في علاقتهما النضالية ضد الصهيونية.

جامعة بيرزيت
النشرة الداخلية

صدرت النشرة الداخلية الشهرية عن مكتب العلاقات العامة بجامعة بيرزيت وتضمنت كلمة خاصة لنائب رئيس الجامعة د. جابي برامكي تحدث فيها عن استمرار الجامعة في تأدية رسالتها ودورها في اعقد الظروف، وجاء في كلمة مكتب العلاقات العامة ان هذه النشرة تصدر في ظروف غير عادية، وان اغلاق الحرم الجامعي القديم لمدة ثلاثة اشهر هو الاغلاق الثامن لصرح بيرزيت منذ عام ٦٧.

ضمت النشرة كذلك كلمة وداع للاستاذ المناضل غسان حرب كتبها الدكتور امين ابو الليل حيث قال "حين فارقتنا ابا الفجر، ارتحلت الخضرة عن روابي الوطن، وجف الزيت من زيتون بيرزيت".

وتضمنت كذلك تهنئة للدكتور عبد الفتاح بمناسبة حصوله على جائزة شومان، وهو مدير مكتب الوثائق والابحاث واستاذ مشارك في دائرة دراسات الشرق الاوسط، بالاضافة الى تهنئة العاملين بالجامعة بمناسبة افتتاح ناديهم الجديد، الذي يجمع بينهم خاصة بعد اتساع الجامعة وصعوبة الاتصال بينهم اثناء الدوام.

هذا بالاضافة الى معلومات عن مكتب التسجيل وعدد طلبة الجامعة، واخبار داخلية تتعلق بالطلبة مثل السكن، المواصلات، الكافتيريا وغيرها من المواضيع.

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

اجعل من بيتك قصرًا

باستعمال بلاط أرض من **رخام** أو **جرانيت**

رخام للحمامات والمنافع بدل الكيراميكا

انتاج

بولص اخوان

اكبر منتجي ومصدري الرخام في البلاد

اسم شهير في صناعة الرخام في اسرائيل والعالم

- اجود واروع انواع الرخام الاجنبي والمحلي
- تشكيلة كبيرة وخلابة من الرخام والجرانيت للاستعمال بدل بلاط الأرض.
- رخام فاخر بدل الكيراميكا للحمامات والمنافع سمك ٧ ملم

تنزيلات كبيرة بالأسعار لغاية ٨٤/٣/٣١

رخام ١٧ دولار ابتداء من للمتر المربع

جرانيت ٣٨ دولار ابتداء من للمتر المربع

الخليل - هبرون

بولص اخوان - كرمييئيل - المنطقة الصناعية ت: ٩٨٨٨٩٥، ٠٤/٩٨٥٧٥٩.

أوليفتي

مؤسسة شروق

للأجهزة الالكترونية ولوازم المكتب

رام الله - شارع يافا - ت: ٩٥١٢٤٢

أوليفتي **olivetti**

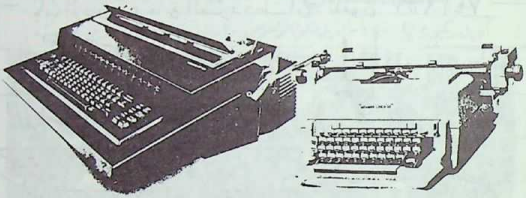

ليـنيا ٩٨ Linea 98

آلة كاتبة عادية

ET-121

آلة كاتبة بثلاث لغات

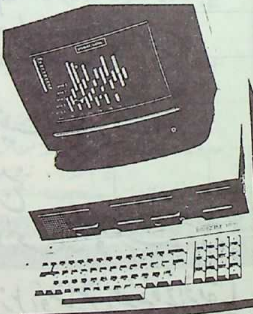

إن كنت تبحث عن

الأفضل..!!

نحن نوفر لك ما تحتاجه.

ونأتي اليك متى تشاء

أرخص الأسعار

صيانة سريعة - متقنة

olivetti

كمبيوتر M-20 M-40

Digitized by Birzeit University Library

جديد للذي يبحث عن الجودة

مركز بيت لحم للرخام والجرانيت

بإدارة
أحمد سرور - أبو نضال -

باب الزقاق - عمارة الفرد قطان - تلفون ٧٤١٨٥٧

أشهر أنواع
الدرسكات المستوردة

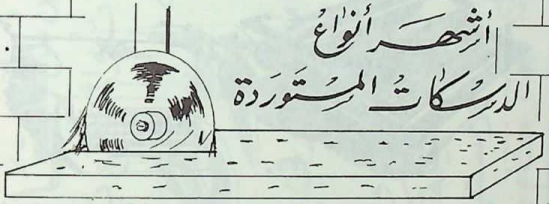

بمختلف الأحجام والمقاسات
مستوردة مباشرة من ايطاليا وبلجيكا

* كافة أنواع البلاط والجرانيت والرخام
* أفخر أنواع المجالي للمطابخ
* أحجار بناء بأنواعها المحلية والمستوردة
من الهند وتركيا وايطاليا والبرازيل ومناطق عديدة في إفريقيا

Digitized by Birzeit University Library

بشرى للمواطنين يعلن

معرض هاواي للسيارات

لأصحابه: رفاتي وأبو غربية

عن وصول سيارات

أوبل موديل ١٩٨٤ الألمانية الشهيرة

أوبل ريكورد S ١٨٠٠ - أوبل سكونا الوكسوس - اوبل سكونا S - اوبل كاريت

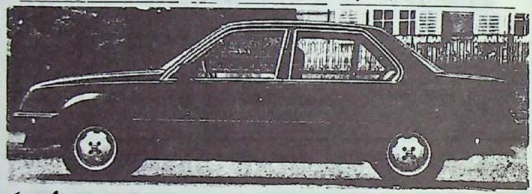

مع إعادة القرض الإلزامي الحكومي إلى المشتري الذي تبلغ نسبة ١٥٪ من ثمن السيارة

التسليم فوراً

وصلت إلى معرض هاواي أول تشكيلة من سيارات

B.M.W. ٣١٩ ١٤ بواب

على الزبائن الذين حجزوا سيارات من هذا النوع مراجعة ادارة المعرض لاستلامها

ملاحظة: توجد لدينا مجموعة مختلفة من السيارات الجديدة والمستعملة وبأسعار مخفضة

بيع - شراء - تبديل جميع أنواع السيارات

رام الله - شارع القدس ـــــ ـــــ ـــــ تلفون ٩٥٢٧٤٣

Digitized by Birzeit University Library

5 MAR
BIRZEIT

هاتف
٩٥ ١٩٧٤

معهد الفنون الجميلة رام الله
INSTITUTE OF ARTS-RAMALLAH
تأسس ١٩٧٨

ص.ب
١١٢٩

رام الله - ميدان المغتربين

تدريس : الموسيقى ، الرسم ، التمثيل ،
الاخراج ، الفولكلور .

أ - دورات سنوية لجميع فئات الشعب

ب - دراسة منتظمة لمدة سنتين للحصول على دبلوم

لمن لا يقل مؤهله عن التوجيهي

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

5 MAR 1984

AL-KATEB
for human culture
and progress

Editor -- Asa'd AL-asa'd
Jerusalem

P.O. Box 995
Ramallah

47

الكاتب
للثقافة الإنسانية والتقدم

Digitized by Birzeit University Library